بدع الاعتقاد
وأخطارها على المجتمعات الإسلامية

الشيخ محمد حامد الناصر

موقع الكاشف
/http://www.alkashf.net

موقع صيد الفوائد
/http://www.saaid.net

المقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصلى الله على رسولنا الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } [الأحزاب:70-71].

أما بعد:

فإن هذا البحث قد جاء إيضاحاً وتفصيلاً للباب الأخير من كتابنا السابق.[1]

والذي تحدثنا فيه عن مظاهر الانحراف في المجتمعات المعاصرة. تلك الانحرافات التي تتمثل في ظهور الإلحاد – بينما لم يسبق لعرب الجاهلية أن عرفوا الإلحاد تماماً وإنما أشركوا الله شرك الألوهية.

وتتمثل في عودة الشرك بنوعيه، وسيادة القوانين الوضعية في معظم ديار المسلمين.

وتتمثل في شيوع البدع في معظم المجتمعات الإسلامية.

---

1 (?) الحياة الدينية عند العرب في الجاهلية والإسلام: الباب الخامس بعنوان: مظاهر الانحراف في المجتمعات المعاصرة.

* ولما كان موضوع البـدع العقدية – خاصة – شـائعاً وخطـيراً، وجـاء مـوجزاً في ذلك الكتـاب، فقد فصـلت القول فيها وأفردت لها هذا الكتاب.

واقتصرت على البـدع العقديـة، كثـيرة الانتشـار في مجتمعاتنا المعاصرة، والشـائعة بين النـاس، لخطورتها على عقيـدة الأمـة، ولما تشـيعه من مفاسد في حيـاة المسـلمين، وخاصة أنها ترفع شـعارات الإسـلام بأساليب ملتوية، ابتعدت بها عن هديه الصافي.

* وقد تحدثت عن فكر الإرجاء الذي مـازال يتسـرب إلى عقول الأمة وقلوب أبنائها.

وعن الغلو في الـدين ((التطـرف))، ولعله امتـداد لفكر الخـوارج من بعض الوجـوه –كما سـيأتي- وعن التصـوف بمعتقداته وأسـاليب أهله في التربية والسلوك.

أما العقلانيـون أحفـاد المعتزلة في تأليه العقل ومعتقدات أخـرى، فسـوف نخصـهم ببحث مسـتقل[1]، إن شاء الله تعالى.

* وقد حاولت جاهـداً أن أرجع إلى آراء هـذه الفـرق في كتب أصحابها، وإلى البحوث الحديثة الـتي تحـدثت عنهم، لألقي الضوء على عقائدهم وأفكـارهم، وربطت هذه العقائد بجذورها القديمـة، مع التركـيز على الآثـار السلبية لهذه البدع على مجتمعاتنا المعاصرة.

وذلك مسـاهمةً مـني في بيـان الحـق، وقمع البـدع، عسى أن يتوب جاهل، أو يعـود مغـرر فيـه، وأن تكـون

---

1 (?) تحت عنوان: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب.

هنالك مناعة وتحصـــين لمن لم تصـــله لوثة هـــؤلاء المبتدعة.

* وقد حاولت جاهـداً -كـذلك- أن ألقي الضـوء على الأفكـار والمنطلقـات، مبتعـداً عن تجـريح الأشـخاص، ورؤوس هذه التيارات، لأن القصد هو بيان الحق وإبراء الذمة، والمشاركة في إنقـاذ هـذه الأمة مما تعانيه من تفكك واضطراب.

* وقد جاء الكتاب في تمهيد وثلاثة أبواب:

1- البـاب الأول: في ظـاهرة الإرجـاء، وبيـان أخطارها على المجتمعات المعاصرة.

2- البـاب الثـاني: خصص للحـديث عن الغلو في الـدين ((التطرف)) وقد تحـدثت فيـه: عن ظـاهرة التطـرف في حياة المسلمين المعاصرة.

كما تعرضت لتطـرف الأعـداء وغلـوهم في القـديم والحـــديث، واســتغلالهم لهــذه الظـــاهرة - على قلة القـــائلين بها - من أجل شن حملتهم ضد ما أســـموه ((بالأصولية الإسلامية)) للتنفير منها.

3- البـــاب الثـــالث: في التصـــوف، نشـــأته واشـــتقاقه وانحرافاته وآثاره في حياة الأمة.

والله أسأل أن يلهمنا الصواب في القول، والإخلاص في العمل، إنه سميع الدعاء.

محمد الناصر

مكة المكرمة: 4/7/1415هـ

بين يدي البحث
مفهوم أهل السنة والجماعة
ومنهج أهل البدع في الاستدلال

1- مفهوم أهل السنة والجماعة.
2- مفهـــوم البدعـــة: تعريفها وأنواعها وأحكامها.
3- الحجة للكتـــاب والســـنة لا للـــرأي والعقل.
4- منهج أهل البدع في الاستدلال.

1- مفهوم أهل السنة والجماعة:

لقد كـان لأهل السـنة والجماعة منهجهم في تنـاول القضـايا الشـرعية، إذ يعتمـدون على الكتـاب والسـنة، ومنهج السلف في القرون الثلاثة الأولى، خلافاً للفـرق المنحرفة الضالة.

فمن هم أهل السنة والجماعة يا ترى؟!

((إنهم هم الذين اعتصموا بكتاب الله تعـالى، وسـنة نـبيهم صـلى الله عليه وسـلم في عقائـدهم، وسـائر أصول دينهم. ولم يعارضوا نصوصهما بالعقل أو الهوى، وتمسكوا بما كـان عليه الصـحابة رضي الله عنهم، من دعـائم الإيمـان، وأركـان الإسـلام، كالحسن البصـري، وسـعيد بن المسـيب، ومجاهـد، وأبي حنيفـة، ومالـك، والشافعي، والأوزاعي، وأحمـد، والبخـاري، ومن سـلك سبيلهم والتزم منهجهم عقيدة واستدلالاً.

أما هؤلاء الذين خرجوا عنهم في مسائل من أصـول الـدين، ففيهم من السـنة بقـدر ما بقي لـديهم مما وافقـوا فيه الصـحابة (رضي الله عنهم) وأئمة الهـدى من مسـائل أصـول الإسـلام، وفيهم من البـدع والخطأ بقدر ما خالفوهم فيه من ذلك قليلاً أو كثيراً...)).[1]

((فأهل السـنة والجماعة هم المستمسـكون بسـنة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، الـذين اجتمعـوا على ذلـك، وهم الصـحابة والتـابعون وأئمة الهـدى المتبعون لهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والتقوى والعمل إلى يـوم الـدين، هم الـذين اسـتقاموا على

---

1 (?) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث: جـ3، ص177.

الاتّباع وجانبوا الابتداع في أي مكان وأي زمان، وهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة)).[1]

((وأهل السنة والجماعة لا يعتدون ولا يقتدون ولا يلتزمون إلا بعلم وسلوك السلف الصالح، ومن أخذ عنهم والتزم جماعتهم، وسار على دربهم، وتقيد بأصولهم، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم، تعلموا تفسير القرآن والحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا رأي ولا ذوق ولا عقل ولا وجد غير ذلك)).[2]

((إن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب عن الجماعة وفارقها، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً.

والأساس الذي بنيت عليه الجماعة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلال وأهله في النار)).[3] ولو كثروا، فقد نقل عن الفضيل بن عياض قوله: ((اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين)).[4]

ومعنى الجماعة: يمكن أن يصنف في مجموعتين:

المجموعة الأولى: وتجتمع فيها أربعة أقوال:

1- الجماعة السواد الأعظم من أهل السنة.

---

1 (?) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة: د. ناصر العقل، ص14.

2 (?) معالم الانطلاقة الكبرى: محمد عبد الهادي المصري، ص67.

3 (?) كتاب شرح السنة: البربهاري، ص21 تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، ط1، دار ابن القيم.

4 (?) الاعتصام للإمام الشاطبي، ص83، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

2- الجماعة هي أئمة العلماء المجتهدين.
3- الجماعة هم الصحابة على وجه الخصوص.
4- الجماعة هم أهل الإسلام مقابل الكفار.

فمدار هـذه الأقـوال كلها مبـني على معـنى الاتبـاع، لـــذلك فـــإن الجميع اتفقـــوا على اعتبـــار أهل العلم والاجتهاد هم الجماعة.[1]

أما المجموعة الثانية: فهم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على الإمام الشرعي، وهو القول الخامس.

وإذا درست النصـــوص الســـابقة الـــتي وردت في الجماعة ينظر في ســياقها، وكلام أهل الســنة في كل نص، ثم يـــنزل النص على المعـــنى الواقع عليه من الإطلاقين، إذ لا تعارض بينهما[2].

* ومن هؤلاء الفرقة الناجية الـتي وصـفها ابن تيمية رحمه الله فقـــال: ((أحق النـــاس أن تكـــون الفرقة الناجيــة: هم أهل الحـديث والسـنة، الـذين ليس لهم متبــوع تتعصــبون له إلا رســول الله صــلى الله عليه وسـلم ، وهم أعلم النـاس بأقواله وأحوالـه، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم هم فقهاء دينها، وأهل معرفته بمعانيها، واتّباع سـبيل السـابقين الأولين من المهـاجرين والأنصـار، واتّبـاع وصـية رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حيث قـال: ((عليكم بسـنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعـدي، تمسـكوا

---

(1) الاعتصام: الشاطبي، جـ2، ص226.

(2) الغلو في الدين في حياة المسـلمين المعاصـرة: عبـد الـرحمن بن معلا اللويحـق، مؤسسـة الرسـالة، 1912م.

بها، وعضوا عليها بالنواجـذ، وإيـاكم ومحـدثات الأمـور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)).

ويعلمـون أن أصـدق الكلام كلام اللـه، وخـير الهـدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره، من كلام أصناف الناس))[1].

هذه هي طريقة السلف من أهل السـنة والجماعـة، اتّباع لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وســلم ، ولن ينصر الإسلام وأهله إلا بالعودة إلى المنبع الصافي أما أهل البدع فلا يتبعون إلا الهـوى والـرأي عاريـاً عن الدليل الصحيح من الكتاب والسنة.

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: ((قبض رسول الله وقد تم هــذا الأمر واســتكمل، فإنما ينبغي أن نتبع آثــار رســول الله صــلى الله عليه وســلم ، ولا نتبع الــرأي، فإنه إذا اتبع الــرأي جــاء رجل آخر أقــوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جــاء رجل غلبك اتبعتــه، أرى هذا لا يتم)).[2]

وقال أيضاً رحمه الله: ((السنة مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)).[3]

---

1 (?) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: عبد العزيز السلمان، ص440، مؤسسة مكة للطباعة.

2 (?) انظر: الاعتصام للشاطبي: ص105.

3 (?) الفتاوى: لابن تيمية، جـ4، ص137، جمع عبد الرحمن بن محمد قاسم، مكتبة المعارف – الرباط.

2- البدعة: تعريفها وأنواعها وحكمها:

البدعة: مأخوذة من البدع وهو الاختراع على غير مثل سابق.

وفي الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به الدين أمر إيجاب أو استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك.[1]

والابتداع على قسمين:

- ابتداع في العادات: كالمخترعات الحديثة، وهذا أمر مباح.

- وابتداع في الدين وهو نوعان:

أ- بدعة قولية اعتقادية: كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة، والمعتقدات المنحرفة للفرق الضالة كلها.

ب- بدعة في العبادات: كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أنواع:

- ما يكون في أصل العبادة: مثل ما يسمى أعياد المولد ونحوها، أو إحداث صلاة غير مشروعة، أو صيام غير مشروع، أو أعياد غير مشروعة.

- ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة: كما لو زاد أحدهم ركعة خامسة في صلاة الظهر والعصر مثلاً.

---

1 (?) المرجع السابق: جـ4، ص108.

- ما يكون في صفة أداء العبـادة: كالأذكـار بأصـوات جماعية مطربة.

- تخصـيص وقت للعبـادة المشـروعة: كليلة النصف من شعبان للصلاة والقيام فيها، أو صيام يومها، فأصل الصلاة والصيام مشروع، ولكن تخصيصه بـوقت يحتـاج إلى دليل.[1]

ومن أبرز الأسباب المؤدية إلى البدع:

- الجهل بأحكام الدين.

- اتّباع الهوى والخضوع لسطوة العادات.

- التعصب لآراء الرجال، مما يحول بين المرء واتّبـاع الدليل.

- التشـبه بالكفـار في عـاداتهم وأسـاليب حيـاتهم وتفكيرهم.[2]

هـذا ومن المعلـوم ((أنه لا حـرج في أخذ العلـوم الدنيوية عن غير الرسـول صـلى الله عليه وسـلم ، مثل الطب والحساب والفلاحة.

أما الأمـور الإلهية والمعـارف الدنيويـة، فهـذا العلم يؤخذ عن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لا غيره)).[3]

((ذلك أن التصـور الإسـلامي يـدع للعقل البشـري، وللعلم البشـري ميدانه واسـعاً كـاملاً، فيما وراء أصل التصـور ومقوماتـه، ولا يقف دون العقل يصـده عن

---

1 (?) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: د. صالح الفوزان، ص292-293.

2 (?) السابق بإيجاز، ص298-299.

3 (?) شرح العقيدة الطحاوية: جـ1، ص230، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1408هـ.

البحث في الكـون، بل يـدعوه إلى هـذا البحث ويدفعه إليه دفعاً..)).[1]

وأصل البـدع، كما قـال عبد الله بن المبـارك: أربعة أهواء ومن هذه الأربعة أهواء تشعبت الاثنتان وسبعون هوى: القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج.

- فمن قـــدم أبا بكر وعمر وعثمـــان وعليـــاً على أصحاب رسول اللـه، ولم يتكلم في البـاقين الآخـرين، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

- ومن قـال: الإيمـان قـول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره.

- ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهـاد مع كل خليفة ولم ير الخـروج على السـلطان بالسـيف، ودعا لهم بالصـلاح فقد خـرج من قـول الخـوارج أوله وآخره.

- ومن قال: المقـادير كلها من الله عز وجـل، خيرها وشـرها، يضل من يشـاء ويهـدي من يشـاء، فقد خـرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة.[2]

حكم البدعة في الدين:

كل بدعة في الـدين محرمة وضـلالة لقوله صـلى الله عليه وسلم : ((إياكم ومحدثات الأمـور، فـإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)).[3]

---

1 (?) خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب، ص119.

2 (?) كتاب شرح السنة: البربهاري، ص57.

3 (?) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((من أحـدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)).([1])

فدل الحديث على أن كل محـدث في الـدين بدعـة، وكل بدعة ضـلالة مـردودة ومعـنى ذلك أن البـدع في العبـادات والاعتقـاد محرمـة، ولكن التحـريم يتفـاوت حسب نوعية البدعة.

* فمنها ما هو كفر صـريح كـالطواف بـالقبور تقربـاً لأصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لهـا، ودعـاء أصـحابها والاستغاثة بهم، وكذلك مقالات غلاة الجهمية...

* ومنها ما هو من وســائل الشــرك كالبنــاء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

* ومنها ما هو فسق اعتقـــادي: كبدعة الخـــوارج والقدرية، والمرجئة فيما خالفوا فيه الشرع.

* ومنها ما هو معصــية: كبدعة الصــيام قائمــاً في الشمس، وكبدعة التبتل.[2]

وقد حذر السـلف من البـدع وبينـوا خطورتهـا، حـتى قـال بعضـهم (البدعة أحب إلى إبليس من المعصـية)، لأن المعصـية قد يتـوب صـاحبها أما البدعة فنـادراً ما يرجع عنها.

ونهوا عن توقـير أصـحاب البـدع، بل دعـوا إلى هجر أصحابها.

عن هشام بن عروة قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : ((من وقر صـاحب بدعة فقد أعـان

---

[1] (?) رواه البخاري ومسلم.

[2] (?) الاعتصام: الشاطبي، جـ2، ص37.

على هــدم الإســلام)) لأن توقــيره مظنة لمفســدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحـــداهما: إلتفـــات العامة إلى ذلك التوقـــير، فيعتقدون في المبتـدع أنه أفضل النـاس، فيـؤدي ذلك إلى اتّباعه على بدعته دون اتّبـــاع أهل الســـنة على سنتهم.

الثانيــة: أنه إذا وقـــره من أجل بدعته صـــار ذلك كالمحرض له على إنشاء الابتداع في كل شـيء، فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه.[1]

ويكفي المبتدع إثمـاً أن عليه وزر من يعمل ببدعتـه، ففي الصـحيح أن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم قال: ((من سنَّ سـنة سـيئة كـان عليه وزرها ووزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً)).[2]

وقد غزت البـــدع بأنواعها المجتمعـــات الإســـلامية، وخاصة في هــذا العصــر، حــتى كــادت أن تطغى على كثــير من طوائف المســلمين، مما سنوضـحه في هـذا الكتاب إن شاء الله.

---

1 (?) الإبداع في مضار الابتداع: علي محفوظ، توزيع دار الإصلاح في الدمام، ط5، 1956م، ص108-110.

2 (?) رواه مسلم.

3- الحجة للكتاب والسنة لا للرأي والعقل:

لقد عـارض أهل الأهـواء الكتـاب والسـنة معتمـدين على تحكيم عقــولهم وآرائهم، مما أدى إلى انحــرافهم وضلالهم.

وقد وقف علمــاء هــذه الأمة يــردون على المبتدعة هــؤلاء ويــبينون لهم الطريق الأقــوم... مع العلم بــأن العقل الســليم قلما يتعـارض مع النقل الصـحيح. قـال شارح الطحاوية:

((إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم النقــل، لأن الجمع بين المــدلولين جمع بين النقيضــين، ورفضــهما رفض النقيضــين، وتقــديم العقل ممتنع لأن العقل قد دل على صــحته الســمع، ووجب قبــول ما أخــبر به الرسول صلى الله عليه وسلم)).[1]

فالأصل عند المســـلمين عند التلقي هو القـــرآن والسـنة وهما معيـار على العقـل. قـال ابن عبد الـبر: ((واعلم يا أخي أن الســنة والقــرآن هما أصل الــرأي والمعيار عليه، وليس الـرأي بالمعيـار على السـنة، بل السـنة معيـار عليـه، ومن جهة الأصل لم يصل الفــرع أبداً...)) وقـال أيضـاً: ((من عـارض السـنن برأيه ورام أن يردها إلى مبلغ نظره فهو ضال مضل)).[2]

ويتحدث ابن القيم محـذراً من فسـاد هـذا الطريـق، طريق الـرأي وحـده ويقـول: ((لما أعـرض النـاس عن تحكيم الكتاب والسنة، والمحاكمة إليها، واعتقدوا عدم

[1] (?) شرح الطحاوية: جـ1، ص228.

[2] (?) جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر، جـ2، ص173، ط1398هـ.

الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقـــوال الشـــيوخ، عـــرض لهم من ذلك فســـاد في نظـــرهم، وظلمة في قلـــوبهم، وكـــدر في أفهـــامهم، ومحق في عقـولهم، وعمتهم هـذه الأمـور، حـتى رُبي فيها الصـغير، وهـرم عليها الكبـير، فلم يردّها منكـراً، فجاءتهم دولة أخرى، قـامت فيها البـدع مقـام السـنن، والنفس مقام العقل والضلال مقـام الهـدى... والجهل مقام العلم..)).[1]

ولاشك أن ابن القيم رحمه الله يحـــذر من اتّبـــاع الهـوى والعقل على حسـاب النص، أما القيـاس الـذي يعتمد على مشابهة النصوص، والاجتهاد في قضـية عند أهل الاجتهـاد، فما كـان مـردوداً عنـده ولا عند علمـاء الأمة.

ذلـــك: ((أن دلائل العقل قلما تتفـــق.. وأهل البدعة يأخـــذون الـــدين عن المقـــولات والآراء، فـــأورثتهم الافتراق.. بينما كـان اتفـاق أهل الحـديث لأنهم أخـذوا الـدين من الكتـاب والسـنة، وطريقة النقـل، فـأورثهم الاتفاق والائتلاف)).[2]

لقد كان أئمة السلف حريصين على المنهج الصحيح: الكتـاب والسـنة. فكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الناس: ((إنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم)).[3]

---

[1] (?) الفوائد: لابن القيم، ص48، ط1، 1400هـ.

[2] (?) الحجة في بيان المحجة: أبو القاسم الأصبهاني، جـ2، ص182.

[3] (?) جامع بيان العلم وفضله: جـ2، ص34.

وبعد أن تــبين للنــاس أمر دينهم، فلا عــذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا هدى يركبه، حسبه ضلالة فقد ثبتت الحجة وانقطع العــذر - كما روي عن عمر - فعلينا الاتّباع، لأن الدين إنما جاء من قبل الله تعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، فقد بين رســول الله صلى الله عليه وسلم السنة لأمتــه، وأوضــحها لأصحابه، فمن خـالف أصـحاب رسـول الله في شــيء من الدين فقد ضلّ.[1]

إلا أن شـــيوخ الضـــلال من الجهمية والمعتزلـــة، اعتمدوا على كثرة الجـدل، وضـروب الأقيسـة، وأنـواع الخيال، فضلوا وأضلوا.

يقول ابن القيم رحمه الله: ((أين العلم الذي أسنده محمد بن عبد الله عن جبريل عن رب العـــــــالمين سبحانه، من الخواص الذي سـنده شـيوخ الضـلالة من الجهمية والمعتزلة...

وأين الأقـــوال والآراء الـــتي إذا مـــات أنصـــارها والقــائمون بهــا... من النصــوص الــتي لا تــزول إلا إذا زالت الأرض والسـماوات))([2])، ((أفيظن المعـرض عن كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسـلم أن ينجو غــداً بــآراء الرجــال، ويتخلص من مطالبة الله له بكــثرة البحــوث والجــدال، أو ضــروب الأقيســة، أو بالشطحات والمشاورات وأنواع الخيال؟)).([3])

---

1 (?) الحجة في بيان المحجة: أبو القاسم الأصبهاني، جـ2، ص377.

2 (?) اجتماع الجيوش الإسلامية: لابن القيم، ص43-44، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

3 (?) المرجع السابق: ص46.

وقـال الإمـام أحمد رحمه الله فيما صـنفه من الـرد على الزنادقة والجهميــة: ((الحمد لله الــذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهـــوى، ويصــــبرون فيهم على الأذى، يحيـون بكتـاب الله المـوتى، ويبصـرون بنـور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس أحيــــوه، وكم من تائه ضال قد هـدوه، فما أحسن أثـرهم على النـاس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحار المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقــدوا ألوية البدعة...)).[1]

وما زالت الحـرب دائـرة يشـنها أصـحاب البـدع في هذه الأيام، من زنادقة وعقلانيين، ناهيك عن المتصوفة الــذين تجــاوزوا الشــريعة إلى الــذوق والوجــد، أما المستشرقون فقد أشعلوها حربـاً خبيثة لا تخبو نـيران أحقادها. وإلى هـذا أشـار السـباعي رحمه الله بقولـه: ((إنها سلسلة متتابعة من الجهـود، لم تنقطع منذ أربعة عشر قرنــاً، وســتظل قائمة مــادام للإســلام أعــداء، يغيظهم ضوء الإسلام البـاهر فيـدفعون بعصـبية عميـاء حمقاء لتهديم كل ما يتصل به من قرآن وسنة واجتهاد، ولتشويه كل من حمل لواءه، من رسول الله وصحابته إلى حملته من أعلام الســـنة والتشـــريع، ولإفســـاد الحقائق المتصلة به من حضارة وتاريخ)).[2]

وقد انتشر إنكــار الســنة في العــالم الإســلامي مع الأسف في الهند وغيرهـــا، تقـــول دائـــرة المعـــارف الإســلامية الأرديــة: ((لقد تغلب العقل على النقل في

---

1 (?) درء التعارض بين العقل والنقل: لابن تيمية، جـ1، ص18، ط1401هـ - الرياض.

2 (?) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، ص2-3.

الآونة الأخيرة، فـأخرج إلى حـيز الوجـود أناسـاً أنكـروا حجية السنة، فمنهم من نادى بسلب حق التشـريع من المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من فسر الرسول بـالقرآن، ومنهم من جعل أحكـام النـبي حينية خاصة لعصـــره، ولمن خـــاطبهم، ومنهم من أقر بحق التشريع لـه، غـير أنه رد السـنة لأن روايتها غـير ثابتـة، ولهــذه الطائفة اعتمــاد كلي على المستشــرقين في ترديد الشبهات الواردة على السنة النبوية)).[1]

وهذه الدعوة من أبـرز خصـائص المدرسة العصـرية ((العقلية)) الحديثة مما سنعرضه مفصـلاً إن شـاء الله في بحث مستقل بعد هذا الكتاب.

---

1 (?) أثر الفكر الغربي: خادم حسين بخش، ص359، نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية: جـ11، ص408.

4- منهج أهل البدع في الاستدلال:

يعتمد منهج أهل البـــــــدع على مناقضة منهج أهل السنة والجماعة خلال القرون الثلاثة المفضلة...

يعتمد منهج هؤلاء على تأليه العقل، وتأويل السنة أو رفضـها ورد مقاصد الشـارع، وقد جعلـوا للهـوى على أنفسهم سلطاناً...

((والمبتدع إنما يكون محصـول قوله بلسـان حاله أو أفعاله: أن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشـياء يجب أو يســتحب اســتدراكها لأنه لو كــان معتقــداً لكمالها وتمامها من كل وجــه، لم يبتــدع، ولا اســتدرك عليهــا، وقائل هــذا ضــال عن الصــراط المســتقيم. قــال ابن الماجشــون: ســمعت مالكــاً يقــول: (من ابتــدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسـلم خـان الرسـالة، لأن الله يقـول: **{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }** فما لم يكن يومئذ دينــاً فلا يكون اليوم ديناً)).[1]

((فهــذا الــذي ابتــدع في دين الله قد صــير نفسه نظــيراً أو مضــاهياً، حيث شــرع مع الشــارع، وفتح للاختلاف باباً، ورد قصد الشارع في الانفـراد بالتشـريع وكفى بذلك)).[2]

---

1 (?) الاعتصام: للإمام الشاطبي، ص49، ص51.

2 (?) المرجع السابق نفسه.

أبرز انحرافاتهم:

* ومن أبــرز انحرافــات أهل البــدع أنهم يفســرون القرآن برأيهم ومعقولهم، وما تأولوا من اللغة، ولهذا لا تجدهم يعتمدون على أحاديث المصـطفى صـلى الله عليه وسلم ، ولا الصحابة والتابعين وأئمة المســلمين، فلا يعتمــدون لا على الســنة، ولا على إجمــاع الســلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجـدهم لا يعتمــدون على كتب التفســير المــأثورة، ولا الأحــاديث وآثــار الســلف، وإنما يعتمــدون على كتب الأدب وكتب علم الكلام التي وضعها رؤوسهم)).([1])

لقد وضح ابن تيمية رحمه الله هنا حقيقة منـــــاهج المبتدعة في تفسير القـرآن، وردهم لكل المـأثور: من السنة وآثار السلف، وبين الأدوات التي يعتمـدونها، من كتب الأدب وعلم الكلام، وهــذا هو شــأن أتبــاعهم من مبتدعة اليوم، أصحاب المدرسة العصــرانية - العقلية - في تنــاولهم للتفســير أو الفقــه، أو أمــور هــذا الــدين، يحــاولون تطويعها حسب متطلبــات الحضــارة الغربية وآراء أساتذتهم من المستشرقين.

* تأليه العقل:

وذلك من أبــــرز انحرافــــاتهم، ولاشك أن مشـــايخ المعتزلة وأمثـــالهم من أهل البـــدع يعـــترفون بـــأن اعتقادهم في التوحيد والصـفات والقـدر، لم يتلقـوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه)).([2])

---

[1] (?) الإيمان: لابن تيمية: ص114، المكتب الإسلامي، ط3.

[2] (?) الرد على الزنادقة والجهمية: الإمام أحمد بن حنبل، ص186.

* ومن شـأنهم دائمـاً الجـدل والخصـومة، ورفضـهم الاحتكـام للكتـاب والسـنة، ((وإذا رأيت الرجل يخاصم في دين الله، ويجادل في كتاب الله، فإذا قيل له، قال رسول الله. قال: حسبنا كتاب الله. فاعلم أنه صــاحب بدعة.

وإذا رأيت الرجل إن قيل له لم لا تكتب الحـــــديث؟ قال: العقل أولى، فاعلم أنه صاحب بدعة. قال علمــاء الســـنة: ليس في الـــدنيا مبتـــدع إلا وقد نـــزع حلاوة الحديث من قلبه)).([1])

* ومن أبرز ضلال المبتدعة: ((ردهم للأحاديث الــتي جرت غير موافقة لأغراضـهم ومـذاهبهم، ويـدعون أنها مخالفة للمعقــول، وغــير جارية على مقتضى الــدليل فيجب ردها))[(2)] وهذا ما أشار إليه ابن تيمية رحمه الله إذ يقـول: ((وإن عامة ضـلال أهل البـدع كـان بسـبب: أنهم يحملــون كلام الله ورســوله على ما يــدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك)).([3])

* ومن طرائق المبتدعة أنهم يزعمون، أن ما جاء به الرســول هو الحــق، وأنهم يلــتزمون شــريعته، ولكنهم ربما ضــلوا الطريــق...)) وكل فريق من المبتدعة إنما يـدعي أن الـذي يعتقـده هو ما كـان عليه رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، لأنهم ملـتزمون في الظـاهر بشـعائر الإسـلام، ... إلا أنهم طلبـوا الـدين، لا بطريقة من الكتاب والسنة، بل رجعوا إلى عقولهم وخواطرهم

---

[1] (?) الحجة في بيان المحجة: أبو القاسـم الأصـبهاني، جــ2، ص433 ، رسـالة دكتـوراة، جامعـة أم القـرى 1406هـ.

[2] (?) الاعتصام: ص231.

[3] (?) الفتاوى لابن تيمية: جـ7، ص116.

وآرائهم، فطلبوا الدين من قبلها، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرض على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرَّفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم)).[1]

* وهؤلاء المبتدعة لم يبلغوا في علوم الشريعة ما يمكنهم من الاجتهاد فيها بإطلاق إما لعدم الرسوخ في معرفة كلام العرب والعلم بمقاصد الشريعة، وإما لعدم الرسوخ في العلم بقواعد الأصول التي من جهتها تستنبط الأحكام الشرعية، وإما لعدم الأمرين جميعاً.[2]

ومن الأسباب التي أدت إلى زيادة الانحراف:

((أن أي انحراف عن السنة ولو كان قليلاً، وبالمعنى الشمولي للسنة، لابد أن يزداد هذا الانحراف، ثم تأتي الروافد من هنا وهناك باجتهادات خاطئة، أو تصورات باطلة، فتتسع رقعة الباطل، ومن العسير عندئذ عودة أصحابه إلى الجادة المستقيمة إلا أن يشاء الله)).

وهذا ما حصل للمتصوفة خلال المراحل التي مروا بها، مما سنوضحه خلال الحديث عن الصوفية.[3]

* وكلما بعد العهد ظهرت البدع وكثر التحريف الذي سماه أهله تأويلاً ليقبل، وقل من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد سمي صرف الكلام عن

---

[1] (?) لوامع الأنوار البهية: للسفاريني، جـ2، ص225، ط2/1405هـ.

[2] (?) الاعتصام: ص220.

[3] (?) الصوفية: محمد العبدة، طارق عبد الحليم، ص31، دار الأرقم – الكويت/1406هـ.

ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلاً، وإن لم يكن ثمت قرينة تــوجب ذلــك. ومن هنا حصل الفساد، فإذا سموه تأويلاً قبل وراج على من لا يهتـدي إلى الفرق بينهما)).[1]

* ((والمبتدعة عادة يقابلون البدعة بالبدعة. فعندما غلا بعضــهم في علي ، كفّــره آخــرون، وعنــدما غلا بعضـهم في الوعيد - الخـوارج - غلا آخـرون في الوعد حـتى نفـوا بعض الوعيد - يعـني المرجئة - وعنـدما غلا المعتزلة في التنزيه حـتى نفـوا الصـفات، غلا آخــرون في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه))[2].

* وإن جميع هــــذه الطوائف من المبتدعة تــــنزل القرآن على مذاهبها وبدعها وآرائها.

فـــــــــالقرآن عند الجهمية جهمي، وعند المعتزلة معتزلي، وعند القدرية قدري، وعند الرافضة رافضــي، وكذلك هو عند جميع أهل الباطل، وما كانوا أوليــاءه { **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ** } [الأنفال:34].[3]

توبة بعض الخارجين على منهاج السلف من المتكلمين والمتصوفة:

ومن نعمة الله أن عامة الخـــــارجين على منهــــاج السلف من المتكلمة والمتصوفة، يعترف عند المــوت، أو قبل المـــوت برجوعه عن ذلـــك، لما لمســـوه من الحـيرة والاضـطراب، والعـدول عن كلام رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى كلام الرجال.

---

1 (?) شرح الطحاوية: جـ1، ص13.

2 (?) شرح الطحاوية: جـ2، ص799 بتصرف يسير.

3 (?) انظر شفاء العليل: 1/220، وشرح الطحاوية: جـ1، ص244.

((ومن هؤلاء المتكلمين الذين رجعوا عن طـريقتهم: أبو الحسن الأشـــــــــعري، فقد تبحر في علم الكلام والاعـــــتزال... ثم ســـــأل الله أن يهديه إلى الطريق المستقيم، فتاب من الاعتزال، حيث خـرج إلى النـاس في الجامع بالبصـرة، فصـعد المنـبر بعد صـلاة الجمعة وانخلع (كما قـال) من جميع ما كـان يعتقـده كما انخلع من ثوبه)).[1]

ومثل هــذا ما رُوي عن أبي حامد الغــزالي، عنـــدما تـرك كتب الفلسـفة، والكلام في التصـوف، ورجع إلى كتب السنة والحديث.[2]

وقال أبو عبد الله محمد بن عمـر الـرازي في كتابـه الذي صنفه في أقسام اللـذات: ((لقـد تـأملت الطـرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القـرآن، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي...

نهـــــاية إقـــــــدام ... وأكـــــــثر ســـــــعي
وأرواحنا في وحشة ... وحاصــل دنيــانـا أذى
ولم نســتفد من بحثنا ... قيل وقالـــــــــوا[3]

ويقول إمام الحرمين أبو المعالي الجويني:

((لقد خضت البحر الخضــم، وتــركت أهل الإســلام وعلــومهم، وخضت الــذي نهــوني عنــه، والآن إن لم

---

1 (?) ينظر كتابه: الإبانة في أصول الديانة، وفيه بيان رجوعه إلى عقيـدة السـلف، وهـو آخـر كتبـه، وانظـر المنتقى من منهاج الاعتدال، ص41.

2 (?) انظر: كتابه تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت.

3 (?) الفخر الرازي في كتابه أقسام اللذات، صنفه آخر عمره، عن الفتاوى لابن تيمية: 4/72-73.

يتداركني ربي برحمته، فالويل لفلان، ها أنا أموت على عقيدة أمي)).([4])

[4] (?) الفتوى الحموية الكبرى: ابن تيمية، ص7، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الباب الأول
ظاهرة الإرجاء وأخطارها على المجتمعات المعاصرة

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول: الجـــــــــذور التاريخية لبدعة الإرجاء.

الفصل الثاني: تطور هذه الظاهرة.

الفصل الثـالث: الإيمـان قـول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الفصل الرابــع: العلاقة بين إيمـــان القلب وعمل الجوارح.

الفصل الخـامس: آثـار بدعة الإرجـاء على المجتمعات المعاصرة.

مقدمة:

يعتبر الفكر الإرجائي من أشد الانحرافات التي وقعت في تاريخ المسلمين، حيث ترك آثاراً خطيرة في حياة الأمة، ما تزال تنخر في جسمها حتى الآن.

وعندما نبحث الإرجاء على أنه فرقة من الفرق التي طواها التاريخ، فإن من أهم ما يفوتنا هو معرفة حقيقة واقعنا المعاصر الذي بات يسيطر عليه الفكر الإرجائي بكل سلبياته.

((إنه ظاهرة فكرية نشأت ثم تطورت إلى واقع ضخم، يواجه كل دعوة تجديدية...

إن هذه الأمة وهي تتراخى عن العمل بالتدريج، وتنحدر من قمة الامتثال رويداً رويداً، كانت تجد في الإرجاء تفسيراً مريحاً يبرر لها تراخيها وتفريطها، فكل ما انحسر عنه العمل واقعياً ستره ثوب الإرجاء الواسع نظرياً...

لقد صارت هذه الأمة تعتقد أن التصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان هو حقيقة الإيمان الذي أنزل الله به الكتب وبعث به الرسل، وجعله مناط النجاة من عذابه في الآخرة... وأصبح معنى كون الصلاة والزكاة والصيام والحج أركاناً للإسلام هو اعتقاد وجوبها والإقرار به وإن لم يعمل من ذلك شيئاً)).[1]

---

1 (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: د. سفر الحوالي، المقدمة، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، 1405-1406هـ.

((لقد كـان فكر الإرجـاء على امتـداد الـزمن أشد خطراً على العقيدة الإسلامية، والحيـاة الإسـلامية، من كل معـاظلات الفلسـفة الـتي دخلت في دراسة العقيدة.

فـالقول بـأن الإيمـان هو التصـديق، أو هو التصـديق والإقرار وإخراج العمل من مسـمى الإيمـان، كـان من أخطر المزالق الـتي أدخلتها الفـرق على تلك العقيـدة الصافية، ومفهومها الصحيح عند المسلمين)).[1]

((إن إخــراج العمل من مســمى الإيمــان في هــذا الدين الذي نزل لينشئ واقعاً معيناً تحكمه شريعة الله ومنهجه للحيـاة، أمر مـذهل في مجـرد تصـوره، فضـلاً عن أن يصــدر عن علمــاء معتــبرين في تــاريخ هــذه الأمة!)).[2]

ولم يقتصر فكر الإرجــاء على غبش التصــور لــدى عامة المسلمين بل تعداهم إلى واقع الدعوة الإسلامية المعاصرة.

((إذ أن أصـحاب الـدعوة ينقسـمون غالبـاً فـريقين، وكل فريق تتوزعه فرق وآراء واجتهادات..

أحدهما: فطن إلى أصل القضية ومكمن الداء فـأراد أن يصحح الأصـول ويجلي بـدهيات الـدين، ويربط ذلك بالعمل وضـرورته ولكنه سـلك في سـبيل ذلك حرفية عقيمة في الفهم، إثارة موغلة في الغلو ظانـاً أن هـذا هو منهج العزيمة والاستقامة فوقع في طامة التكفير - تكفير أعيان عوام المسـلمين من المخـالفين - وبـذلك

---

1 (?) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب. ص28، ص129، ط1/1407هـ.

2 (?) المرجع السابق نفسه.

نفر هــذا الفريق من بدعة الإرجــاء والتــبرير ليقع في بدعة شر منهــا... فتحــولت دعوته إلى نظرية عقيمة تتآكل كل يوم وتفرز بدعاً جديدة.

والآخـــر: انطلق في دعوته بـــدون منهج واضح ولا تصـور اعتقـادي متكامـل، فلم يتنـاول الأمر بالتأصـيل العلمي، بل بـــالتهويش العـــاطفي، فكـــان أن واجهه أصـحاب الفريق الأول بأصـول وقواعد لا يملك مثلهـا، ولا يستطيع ردها، فهرب من التكفير إلى التــبرير وأخذ يسند هذا الواقع المنحـرف ويؤصـله بنظريـات بدعيـة، ووجد في مــذهب المرجئة الــذي أصــبح هو الظــاهرة الفكرية العامة بغيته.

فالفريق الأول: أعاد مذهب الحرورية جذعاً.

والفريق الثاني: أحيا مذهب المرجئة غضاً ونقله من الدوائر الأكاديمية التقليدية إلى منهج العمل والتغيير)). (1)

وســوف نفصل القــول في بدعة الإرجــاء مع بيــان آثارها في تخدير المسلمين عن العمل القويم، وتهوين أمر المعاصي على عامتهم.

ثم نتحدث عن التطرف والغلو في الـدين موضـحين أبعــاد هــذه البدعة وخطورتهــا، معتمــدين في كل ذلك على النصـوص الشـرعية، ومنهج السـلف في مناقشة البدع عموماً.

كل ذلك بأسـلوب مبسـط، يجعل قـراءة هـذا الفكر سهلاً ميسراً بإذن الله.

---

[1] (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: المقدمة.

الفصل الأول
الجذور التاريخية لظاهرة الإرجاء[1]

يرجع فكر المرجئة إلى الفتن التي اجتاحت ديار المسلمين منذ مقتل عثمان بن عفان ، وما تلاه من حرب صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

لقد فجرت هذه الفتن كثيراً من المواقف والآراء وردود الأفعال بين الصحابة أنفسهم.

* فبعض كبار الصحابة وأجلائهم مثل سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد وغيرهم رأوا موقف الحياد، مع إجلالهم لكبار الصحابة كعلي وعثمان ومعاوية.

* وبعض سكان الأطراف والمرابطين على ثغور الجهاد فوجئوا بمقتل أمير المؤمنين عثمان ، ثم فوجئوا بما تلا ذلك من أحداث، وما استطاعوا أن يستبينوا رأياً فيتبعوه أو يرجحوا طرفاً فيوالوه، فآثروا مسألة الفريقين المتقاتلين والركون إلى حياد ولا حيلة لهم في قبوله، وهؤلاء هم الشكاك من أهل الحيرة والتردد. كانوا يقولون: كلهم عندنا ثقة، ونحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون هو الذي يحكم بينهما.

فهؤلاء - إن صح إطلاق الإرجاء على موقفهم - فهو إرجاء حيرة لا إرجاء فكرة، وهذه الحيرة كانت خاصة

---

[1] (?) انظر: نشأة الإرجاء: من رسالة ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي من ص163-حتى ص255.

بقضـية الحكم على المختلفين بالخطأ أو الصـواب، أما موالاتهم والإقرار بفضـلهم وسـابقتهم، فلم يكن موضع شك عندهم.

* وهنالك فئة ضـاق أفق أصـحابها عن تفهم الخلاف فثارت ساخطة على الطرفين، دون تبصر في الـدوافع أو تريث في الحكم.

ومن هــؤلاء فرقة أعلنت نقمتها وســخطها على كل الأطــراف وقــالوا: كيف يختلف أصــحاب رســول الله صــلى الله عليه وســلم ، ويتقــاتلون وهم أصــحاب رسول الله وأعلم النـاس بالـدين؟! والأصل أن يكونـوا أكثر الأمة تمسكاً ووفاقاً ودعوةً وجهاداً!!

إذن لقد انحرفوا عما كـانوا عليه زمن رســول اللــه، بلا شك ولا ريب، ومن ثم فلا حرمة لمن نكص على عقبيه، ولا اعتبـار لسـابقته في الإسـلام مـادامت هـذه خاتمته!!!

هذه الفكرة تبناها الفكر الخارجي الـذي بلغ به حنقه على الأطــراف جميعها إلى تــدبير مــؤامرة لاغتيــال زعماء الخلاف (علي ومعاوية وعمرو بن العاص) رضي الله عنهم.

وهذا هو أصل المذهب الذي يـرى تخطئة وتفسـيق، أو تكفير كلا الطائفتين، وصار هذا مذهب كثير من أهل الأهواء من المعتزلة والخوارج وبعض المتكلمين.[1]

* وكــان من هــذه الفئة فرقة أقل غلــواً وشــططاً فقــالوا: لقد حــدث بين الصــحابة ما حــدث، وهم على الدرجة العليا من الفضل والعلم، ومعـــنى ذلك أن في

---

[1] (?) المرجع السابق، ص170-171.

الأمر ما لا نستطيع إدراكه، ولا نأمن مغبة الحكم عليه، ولا يمكن ترجيح أحد الطـرفين، وأن نـبرئ أنفسـنا من الوقـوف مع أحد منهم أو عليـه، ولـذلك فإننا نكل أمر الجميع إلى الله وهو الـذي يتـولى حسـابهم ونحن لا نـوالي أحـداً منهم ولا نعاديـه، ولا نشـهد له بحق ولا باطل.

ولم تتجرأ هذه الفرقة على تكفـير الصـحابة، كحـال نظيرتها الأولى ورأوا أن الـذي يتفق مع مـوقفهم، هو اعتقاد أن ما ارتكبوه - أي الصـحابة - هو دون الشـرك بالله تعالى، ومن ثم فهم داخلون تحت المشيئة.

وهـذه الطائفة هي الـتي يصح أن توصف بأنها أصل الإرجاء، سـواء ما نشأ منه في أحضـان الخـوارج، وهم الأعم الأغلب، أو ما كان آراء فردية ومواقف نفسية.

* ويمكن اعتبار وقعة صفين هي المنطلق التـاريخي لهذه الفتنـة، بل إن حادثة التحكيم هي الشـرارة الـتي فجرت بركانها.

لقد أنتجت هذه الحادثة وذيولها فرقتين كبـيرتين، أو منهجين كبيرين، ما يزال لهما وجود ملموس وانحـراف بعيد حتى الآن.

هـذان المنهجـان همـا: التشـيع والخـروج، وكلاهما ناشئ عن علة واحدة، هي الغلو ولكنه غلو متضاد.

وكان من آثار هـذه الفتنة أن أصـبحت المعسـكرات المتحاربة ثلاثة: أهل العـراق - أهل الشـام - الخـوارج، وأصـبحت المنـاهج الاعتقادية ثلاثـة: السـنة، والخـروج والتشيع.

وهــذا التفــرق وما صــحبه من صــراع أدى إلى نمو بــذرة الإرجــاء الــتي تكــونت في الفتنة الأولى (مقتل عثمان) لتصبح منهجاً رابعاً فيما بعد.[1]

* إلا أن فكر المرجئة تطـــور بعد ذلك ليصـــبح من قضــايا الاعتقــاد ولــذلك عنــدما ســئل ابن عيينة عن الإرجاء، وفيم سميت المرجئة مرجئة قال:

((الإرجاء على وجهين: قوم أرجوا أمر علي وعثمان، فقد مضى أولئك، أما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، فلا تجالسوهم ولا تؤاكلــوهم، ولا تشاربوهم ولا تصلوا عليهم)).[2]

ويقــول ابن جرير الطــبري شــارحاً لهــذا القــول: ((والصــواب من القــول في المعــنى الــذي من أجله ســميت المرجئة مرجئة أن يقــال: إن الإرجــاء معنــاه: تــأخير الشــيء، فمــؤخر أمر علي وعثمــان رضي الله عنهما إلى ربهما، وتارك ولايتهما، والبراء منهما مرجئــاً أمرهما فهو مرجئ، غــير أن الأغلب من اســتعمال أهل المعرفة بمــذاهب المختلفين في الــديانات في دهرنا هذا: هو هذا الاسم فيمن كان من قوله الإيمان قول بلا عمــل، وفيمن كــان من مذهبه أن الشــرائع ليست من الإيمان...)).[3]

ومن كلام الإمــام ابن عيينة وشــرح الطــبري لــه، ما يــدل على أن المرجئة الأولى هي طائفة من النـــاس كــانت تــرجئ أمر عثمــان وعلي إلى اللــه، فلا تتولاهما

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص196-197.

2 (?) تهذيب الآثار: محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. ناصر الرشيد وعبد القيوم عبـد رب النـبي، جــ2، ص 181، ط1407هـ.

3 (?) المرجع السابق: 2/182.

ولا تتــبرأ منهمــا، فهي مضــادة لمن يكفرهما أو يغلو فيهما - أو بأحــدهما - وكـذلك فهي مضـادة لمن يـرى تقديمهما وفضلهما ووجوب موالاتهما.

والإرجــاء عنــدها ليس في مســألة الكفر والإيمــان عامــة، وإنما هو في الموقف من الصــحابة المختلفين في الفتنة - رضي الله عنهم - خاصــة، فهم مناقضــون لما كــان عليه عامة الخــوارج من تكفيرهما، وما كــان عليه عامة الشـــــــيعة من الغلو في عليّ والحط من عثمــان، أو تكفــيره، وكــذلك فهم يخــالفون ما عليه الجماعة في أمرهما.[1]

((فطائفة الشــكاك هــؤلاء ممن لم يســتطيعوا أن يحددوا لأنفسهم موقفاً معينــاً من الخلاف، وخاصة من كان على الثغور البعيـدة منهم، كـانوا يشـعرون بـالألم الفـاجع لما حل بالمسـلمين، وبالأسى البـالغ لتفـرقهم بعد الاجتمــاع، فكــانت تحن إلى عهد الشــيخين وأول عهد عثمـان، وتكـره أن تسـمع أو تفكر في شـيء مما حدث بعد ذلك...

فإرجــاء هــؤلاء هو إرجــاء شك وحــيرة ونفــرة من الخوض في القضية، لا إرجـاء عقيـدة وفكـرة... خلافـاً لأفكار الخوارج...

فأصل الإرجاء إذن خارج مذهب الخوارج هو التحـول تدريجياً من موقف سلبي إلى عقيدة ومبدأ)).[2]

وسوف نتحدث عن تطور هـذه الظـاهرة في البحث القـــادم، وكيف تحـــولت تـــدريجياً من بدعة نظرية

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص225.

2 (?) المرجع السابق، ص242.

ولأســباب معينــة، إلى عقيــدة ومبــدأ، وظــاهرة عامة تسيطر على كثير من مظاهر حياة المسلمين.

الفصل الثاني
تطور ظاهرة الإرجاء

*** إرجاء الفقهاء.**

*** إرجـاء الجهمية ومن تـأثر بهـذه البدعة قديماً وحديثاً.**

تطور ظاهرة الإرجاء

لقد تحـوّل الفكر الإرجـائي العـام من بدعة نظريـة، يـدين بها أفـراد معـدودون إلى ظـاهرة عامة تسـيطر على الفكر الإسلامي، بل والحياة الإسلامية عامة.

وقد مر هـــذا الفكر بمراحل متعـــددة، وتبـــاين من طائفة إلى أخرى، إلا أن أهم مرحلتين مرّ بهما:

- إرجاء الفقهاء والعبّاد من جهة.

- وإرجــاء المتكلمين، أو ما يســمى بإرجــاء الجهمية من جهة ثانية.

إرجاء الفقهاء:

ويقصد به: أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقـرار باللسان. أو ((المعرفة بالله، والإقـرار باللـه، والمعرفة بالرسول والإقـرار بما جـاء به من عند الله في الجملة دون التفسير)).[1]

وهو شـــبهة نظرية أخطأ فيها بعض العلمـــاء نتيجة ردود فعل خاصة، ورأي غير مجــرد، مثله في ذلك مثل زلة العالم، أو خطأ المجتهد، في أي مسألة نظرية.

وقد كان لثورة ابن الأشعث، وظهـور الحجـاج عليـه، ثم ملاحقة العلماء والبطش بهم، أسـوأ الأثر في بـروز قـــرن الإرجـــاء هـــذا بين صـــفوف هـــؤلاء البائســـين، المستســـلمين للأمر الواقـــع، كما تجـــرأ الـــذين كـــانوا مرجئة من قبل فأعلنوا مذهبهم واستغلوا آثـار الهزيمة

---

[1] (?) مقالات الإسلاميين: لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمـد محـيي الـدين عبـد الحميـد، 1/221، طبعـة ثانية، 1996م، مكتبة النهضة المصرية.

لنشـره، كما نشط الخـوارج وخلت لهم السـاحة أكـثر من ذي قبل....[1]

وقد قـام أئمة أهل السـنة والجماعة بجهد مشـكور لمقاومة هــذه الفكــرة ومحاصــرتها في مهــدها... إذ لاحظ العلماء أن مذهب هؤلاء المرجئة الفقهاء يتضمن أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان.

فهذا الأوزاعي رحمه الله يقول: ((كان يحيى بن أبي كثـير، وقتـادة، يقـولان ليس من أهل الأهـواء شـيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء)).[2]

ويقول إبراهيم النخعي التابعي المشهور، وقد عاصر أحداث الحجاج[3]: ((الإرجاء بدعـة، إيـاكم وهـذا الـرأي المحدث)) وقال عن المرجئة: ((تركوا هـذا الـدين أرق من الثـــوب الســـابري)) ومن أقواله أيضـــاً فيهم: ((لفتنتهم عنـــدي أخـــوف على هـــذه الأمة من فتنة الأزارقة)).

ورغم أن القـائلين بالإرجـاء كـانوا عبـاداً زهـاداً في الغالب إلا أن أهل السنة والجماعة لم يـألوا جهـداً في مقاومة فكرهم، ولذلك فلا غرابة إذا تشدد ورثة هـؤلاء التابعين من أئمة السنة على المرجئة مثل: وكيع، وابن المبـارك، وابن معين، والإمـام أحمد والبخـاري، وأبي داود ونحـوهم، وذلك أن الإرجـاء الغـالي قد ظهر في زمنهم.[4]

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص261-262.

2 (?) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، 7/395.

3 (?) انظر: طبقات ابن سعد: 6/199، طبعة الشعب بمصر.

4 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص263-264.

فهذا هو الخط الأول الذي سار عليه الإرجـاء وهو ما سمي بإرجاء الفقهاء، وهو الاكتفاء بـالقول دون العمل في مسمى الإيمان، وهذا الإرجاء هو الـذي ذمه علمـاء السلف، ((ولا يفوتنا هنا أن كلمة المرجئة في اصطلاح هؤلاء العلماء - علماء السلف - إنما تعني هذا الإرجـاء، أي إرجـاء الفقهـاء، وظل هـذا قائمـاً حـتى بعد ظهـور الجهميـــــــــة، فكل ذم أو عيب قيل في المرجئة فهو منصــرف لهم وحــدهم حــتى منتصف القــرن الثــاني تقريباً، بل هو الأغلب إلى القرن الثالث)).[1]

فهـؤلاء الفقهـاء عنـدما جعلـوا الأعمـال خارجة عن مسمى الإيمـان، لم يعارضـوا وجوبها والمعاقبة عليهـا، مع وجوب ترك المحظورات، ولهـذا عـدّ بعض العلمـاء أن الخلاف كله لفظيّ.

يقول ابن تيمية (رحمه الله) عنهم[2]: وهـذه الشـبهة التي أوقعتهم - يعني شبهة عـدم التعـدد والتبعيض في الإيمـان - مع علم كثـير منهم وعبادته وحسن إسـلامه وإيمانه، ولهذا دخل في إرجـاء الفقهـاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين، ولهـذا لم يكفر أحد من السـلف أحـداً من مرجئة الفقهـاء، بل جعلـوا هـذا من بـدع الأقوال والأفعـال، لا من بـدع العقائـد، فـإن كثـيراً من الـــنزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطـــابق للكتـــاب والسنة هو الصواب، فليس لأحد أن يقول بخلاف قـول الله ورسـوله، لا سـيما وقد صـار ذلك ذريعة إلى بـدع أهل الكلام من أهل الإرجـــاء وغـــيرهم، وإلى ظهـــور الفســق، فصــار ذلك الخطأ اليســير في اللفظ ســبباً

---

[1] (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص264.

[2] (?) الإيمان لابن تيمية: ص377، مع تخريج الألباني للأحاديث، بيروت.

لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، ولهـذا عظم القـول في ذم الإرجاء)).

منطلق شبهة هؤلاء المرجئة:

إن منطلق الشبهات... في الإيمان، وأسـاس ضـلال الفـــــرق جميعها فيه هو أصل واحـــــد، اتفقت عليه الأطـراف المتناقضة ثم تضـاربت عقائـدها المؤسسة عليها.

ذلك أن الخـوارج والمعتزلة والمرجئة - بـأنواعهم - اتفقوا على أصل واحـد، انطلقـوا منه هو ((أن الإيمـان شـــــيء واحد لا يزيد ولا ينقص)) وأنه لا يجتمع في القلب الواحد إيمان ونفاق، ولا يكون في أعمـال العبد الواحد شعبة من الشرك، وشعبة من الإيمان.

فالمرجئة وجـــدوا أن النصـــوص الكثـــيرة والنظر العقلي يدلان على فساد قول الخوارج من أن مـرتكب الكبـيرة غـير مـؤمن، وكـذلك المعتزلة حيث سـلبوا مسمى الإيمان عنه، ولم يدخلوه في الكفـر، وابتـدعوا ما أسموه ((المنزلة بين المنزلتين)).

ثم وجد المرجئة أن ارتكـاب المحظـورات وتـرك الفرائض هو من جنس الأعمال لا الاعتقادات، فاتفقت سائر فرقهم على إخراج الأعمال من مسمى الإيمـان، حـتى يسـلم لها الأصل المـذكور، فيظل تـارك الصـلاة مثلاً أو مرتكب المحـرم مؤمنـاً، بل لم يتـورع بعضـهم عن التصريح بمسـاواة إيمانه بإيمـان الملائكة والنبـيين بناءً على هذا الأصل.

ثم اختلفت فرق المرجئة: فمنهم من يقول: الإيمان محله القلب ومنهم من يضيف إليه إقرار اللسان، والذين قالوا: محله القلب، اختلفوا في التسمية. فقال بعضهم: هو المعرفة، وقال آخرون: هو التصديق.[1]

ولهدم هذه الشبهة شرعاً نقول بإيجاز:

1- انعقد الإجماع من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهو إجماع يستند إلى النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، في زيادة الإيمان ونقصه، واجتماع النفاق والإيمان في القلب الواحد، واجتماع الشرك والإيمان في عمل الرجل الواحد.[2]

2- تفاضل المؤمنين في الأعمال الظاهرة تفاضلاً لا ينكره إلا مكابر، فمنهم القانت الأواب، والمجاهد الدائب، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه المنهمك في فسقه.

3- تفاوت المؤمنين في الأعمال الباطنة، كالحب والخوف والرجاء والذكر والتفكر في آلاء الله وآياته، والخشوع واليقين.. ونحو ذلك، مما لا يجحده إلا معاند مكابر.

4- تفاوت الناس في العلم: فالمعرفة والعلم واليقين، لكل منها درجات متفاوتة، والإنسان الواحد نفسه، قد يكون إيمانه بشيء أقوى من إيمانه بشيء آخر، ويكون إيمانه بالشيء اليوم أقوى منه غداً أو العكس.

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص280-281 بتصرف واختصار.

2 (?) المرجع السابق: ص282-283 بإيجاز.

أما الخط الثـاني وهو الأكـثر خطـراً، فهو ما يسـمى بإرجاء الجهمية، الـذي تـأثر كثـيراً بعلم الكلام، والغـزو الفلسفي، فهو مجال حديثنا في الصفحات القادمة[1].

---

[1] (?) مما سنفصله في الفصل القادم.

2- الخط الثاني من الإرجاء وهو ما يسمى بإرجاء الجهمية:

ويعتمد على القول بأن الإيمان هو المعرفة فقط.[1]

وقد انقرض القائلون بأن الإيمان هو مجـرد المعرفة القلبية ولكن العجيب هو قيـــام أعظم مـــذهبين في الإرجاء وهمـا: الأشـعرية والماتريدية (اللـذان يشـكلان جملة الظاهرة العامة) على أصـوله في أن الإيمـان هو ما في القلب فقط...

وقد اسـتطاع هـذا الخط الجهمي أن يحتـوي الخط الأول وغـيره من الخطـوط، ويصـبح هو المهيمن على فكر أكثر الفرق الإسلامية انتشاراً.[2]

((ولقد أصبحت الظـاهرة العامة للإرجـاء في طورها النهائي مكونة من مذهبي الأشعرية والماتريدية اللذين شمل انتشارهما معظم الأقطار الإسلامية، وتبنتها أكثر المعاهد الإسـلامية شـرقاً وغربـاً، وهـذا من أعظم السمات الفكرية لعصور الانحراف في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية العامة)).[3]

والغـريب أن أكـبر ظـاهرة غريبة وفـدت على الفكر الإسـلامي هي ظـاهرة الغـزو الفلسـفي الإغـريقي، إذ كيف تقبل أمة الـوحي والتوحيد الخـالص، فكـراً وثنيـاً لأمة مشركة منقرضة؟

---

1 (?) مقالات الإسلاميين: لأبي الحسن الأشعري، 1/211، ط3-1400هـ مكتبة النهضة المصرية.

2 (?) الأحوال الدينية عند المسلمين في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة المسلمين: رسالة ماجستير - جامعة أم القرى، علي بن بخيت الزهراني، 1414هـ.

3 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص296.

هـذا الغـزو هو الـذي تـرك الأثر الكلامي والفلسـفي الـذي أوجد رؤوس الضـلالة لكثـير من الأفكـار الزائغة هذه.

الجهمية وتغلغل الشرك والوثنية بين ثنايا رؤوسها:

فبشر المريسي يهـــودي، كما نص عليه الـــدارمي والإمام أحمـد، وإبـراهيم النظـام ((بـرهمي)) فقد ذكر بعض العلماء أنه كـان يخفي برهميته بـالاعتزال، وكتبه تدل على ذلك.[1]

وعبدك الصوفي ((ثيوصـوفي)) والثيوصـوفية معناها الحكماء الإلهيون، وعبد الله بن المقفع ((مجوسي)).

وهنـاك سوسن النصـراني، ولبيد بن أعصم اليهـودي وغـــيرهم[2]، وكـــان المســـلمون ينفـــرون من الفكر الدخيل، فلما فتح المسلمون أرض فارس ووجدوا فيها كتبـاً كثـيرة، كتب سـعد بن أبي وقــاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهمـا، يسـتأذن في شـأنها، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في المـــاء فـــإن يكن ما فيها هدى، فقد هدانا الله بأهـدى منـه، وإن يكن ضـلالاً فقد كفانا الله! فطرحوها في الماء أو في النار.[3]

وعلى هذا ثبتت الطائفة المنصورة في كل العصـور، ولكن المنهج التوفيقي الـذي ابتليت به هـذه الأمة عكر على هذا المنهج الحازم مواقفه وأفسد كثيراً، في حين أراد إصلاحاً وتوفيقاً.

---

1 (?) سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي، 10/542، مؤسسة الرسالة – بيروت.

2 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص297-298.

3 (?) مقدمة ابن خلدون: ص480 طبعة مصر.

هذا المنهج يرى إمكان الجمع بين الوحي والفلسفة، بين منهج القرآن ومنهج اليونان[1]، والخروج لموقف أو رأي وسط بينهمــا، فكــثر التأويل وكــثرت المخالفــات للنصوص القطعية، حتى انحاز أصحاب هذا الاتجاه إلى جانب الفلسفة.[2]

لقد تحول هذا الفكر إلى إخــراج العمل من مســمى الإيمــان كما عرفنــا، وأصــبح الإنســان مؤمنــاً كامل الإيمــــان، ولو لم يركع لله ركعــــة، ولو لم يعمل في الإسلام خيراً، حتى أن كثيراً من الأشــعرية والماتريدية صــرحوا بنفي أن تكــون شــهادة أن لا إله إلا الله داخلة في الإيمان.

يقول أبو منصور البغدادي أحد أئمة الأشعرية:

((أما الإقرار وهو قول كلمة الشهادة، والعمل الــذي هو فعل المأمورات وترك المنهيات، فليس من الإيمان ولا يكون تاركهما كافراً، فــإن كــان تاركــاً للإقــرار كــان مؤمنــاً عند الله فحســب، وإن كــان تاركــاً للعمل كــان مؤمناً عند الله وفي أحكام الدنيا أيضاً))([3]).

ويقــول ســعد الــدين التفتــازاني ضــمن كلام معقد طويل عن مسألة النطق بالشــهادتين وحكمــه: ((أن ها هنا مطلبين، الأول: أن الإقرار ليس جزءاً من الإيمــان، والثاني: أنه (أي الإيمان) التصديق لا غــير)). وهو ينقل عن شرح المواقف: ((أن السجود للصنم بالاختيار يدل بظــاهره على أنه ليس بصــدق، ونحن نحكم بالظــاهر

---

[1] (?) انظر: مقدمة كتاب كبرى اليقينيات: د. سعيد رمضان البوطي.

[2] (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص300.

[3] (?) أصول الدين: عبد القادر البغدادي، بيروت، الطبعة الثانية، ص268.

فلذلك حكمنا بعدم إيمانـه، حـتى علم أنه لم يسـجد له على ســــبيل التعظيم، بل ســـــجد له وقلبه مطمئن بالإيمــان، لم يحكم بكفــره فيما بينه وبين الله تعــالى، وإن أجري عليه حكم الكافر في الظاهر))([1]).

ومن الكتاب المعاصرين من تحدث عن حكم النطق بالشــهادتين على طريقة القــوم فقــال: ((أما من لم ينطق بالشــهادتين بغــير ســبب من الأســباب ولكنه مصدق بقلبه، مطمئن إلى دين الله وأحكامـه، فـالقول الــراجح أنه نــاج عند اللــه، وإن كــان لا يعامل معاملة المسـلمين لعـدم العلم بإيمانـه، وعـدم الـدليل عليـه، وهــذا كله فيمن يريد الــدخول في الإســلام، أما أولاد المؤمــنين فهم مؤمنــون وإن لم يحصل منهم النطق بالشهادتين إلا إذا ظهر منهم ما يتنافى مع الإيمان)).[2]

وهكـذا يتفق قـدماء القـوم ومعاصـروهم على هـذا الأصل الخطير الذي سوف نوضح مخالفته التامة للحق في الفصول القادمة.

فإذا كانت الشـهادتان وهما الـركن الأول من أركـان الإســلام قد أخرجهما هـــؤلاء المرجئة الضــالون من حقيقة الإيمان، وجعلوهما شرطاً لإجـراء أحكـام الـدنيا على المكلف فحســب، فما بــال الأركــان الأخــرى والأعمال الفضلى التي أمر بها الإسلام؟!

يقول شـيخ الإسـلام ابن تيمية ((ومن هنا يظهر خطأ قــول جهم بن صــفوان ومن اتبعــه، حيث ظنــوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، ولم يجعلوا أعمال

---

1 (?) انظر: المواقف، ص387، شرح العقائـد النسـفية ص427، وسـعد الـدين التفتـازاني من أشـهر أئمـة الكلام المتأخرين ت793هـ نقلاً عن ظاهرة الإرجاء، ص353.

2 (?) تبسيط العقائد الإسلامية: الشيخ حسن أيوب، ص33.

القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنــاً كامل الإيمان بقلبـه، وهو مع هـذا يسب الله ورسـوله، ويعادي أولياء الله، ويـوالي أعـداء اللـه، ويقتل الأنبيـاء ويهدم المسجد، ويهين المصاحف، ويكـرم الكفـار غاية الكرامـة، ويهين المؤمـنين غاية الإهانـة، قـالوا: وهـذه كلها معاصٍ لا تنـافي الإيمـان الـذي في قلبـه، وقـالوا: إنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار، لأن هـذه الأقـوال أمـارة على الكفر ليحكم بالظـاهر كما يحكم بـالإقرار والشهود...)).

إلى أن قال: ((وهـذا القـول مع أنه أفسد قـول قيل في الإيمـــــان فقد ذهب إليه كثـــــير من أهل الكلام المرجئـة، وقد كفر السـلف كوكيع بن الجـراح، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول)).

ويقول في موضع آخر:[1]

((والتحقيق أن إيمــان القلب التــام يســتلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظـاهر، ولهـذا صـاروا يقـدرون مسـائل يمتنع وقوعها لعـدم تحقيق الارتبـاط الـذي بين البـدن والقلب، مثل أن يقولـــوا: رجل في قلبه من الإيمــــان مثل ما في قلب أبي بكر وعمــــر، وهو لا يســـجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ويـزني بأمه وأخته ويشـرب الخمر نهار رمضان، يقولون: هـذا مـؤمن تـام الإيمـان، فيبقى سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الإنكار)).

هـذا هو الفكر الإرجـائي الـذي أفرزته هـذه الفـرق المنحرفة وإن المسـلم ليكـاد يـذهل مما كتبه المرجئة

---

1 (?) كتاب الإيمان: لابن تيمية يرحمه الله، ص179.

المتكلمــون حــول حقيقة الإيمــان، وهــذا ما نخر في جسم الأمة، وأودى بها إلى مهاوي الهلكة.

ولبيان فساد هـذا المعتقد سـوف أخصص الفصـلين القادمين للـرد على هـذا الزيـغ، فالإيمـان قـول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصـــية، وهو مـــذهب أهل السنة والجماعة.

أما الفصل الرابع فســوف يخصص لبيــان الارتبــاط الوثيق بين إيمــان القلب وعمل الجـوارح، وعن حقيقة الترابط بين أجزاء الإيمان على ضـوء مـذهب السـلف، خلافاً لما أجمع عليه أهل الإرجاء من إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

الفصل الثالث
الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

ويدل على ذلك:

1- حقيقة الجيل الأول الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم وواقع هذا الدين.

2- إجماع علماء السلف على أن الإيمان قول وعمل وعلى ضلال المرجئة.

3- الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة على اقتران العمل بالإيمان، وعلى فساد بدعة المرجئة في إخراج العمل من مسمى الإيمان.

الإيمان قول وعمل
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

نريد أن نناقش في هذا الفصل بدعة المرجئة الذين يــرون أن الأعمــال خارجة عن الإيمــان، وأن الإيمــان شـــيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل النـــاس فيه بل قالوا: ما هو أسوأ من ذلــك، وهو أن ارتكـاب جميع المحرمات، وترك جميع الطاعـات، لا يـذهب شـيئاً من الإيمان، إذ لو ذهب منه شيء، لم يبق منه شيء، وهذا ما اتفقت عليه فرقهم كلها.[1]

وقد جعل المرجئة أن أعظم أركـــان الإســـلام وهو الشهادتان، بمنزلة شهادة الشهود أو القرائن الظاهرة، التي قد يكون الواقع مخالفاً لها، حـتى أنهم قـالوا: إن من سبّ الله، أو قتل الرسول، يجوز أن يكـون مؤمنـاً في البـاطن، ولا يكـون كـافراً قـط، إلا إذا انتفى العلم الباطن من قلبه... وما سوى ذلك لا نجزم بكفره، وإن أقمنا عليه أحكامه الظاهرة.

وينقض هذه الآراء الضالة:

1- حقيقة الجيل الأول وواقع هذا الدين.

2- إجمـــاع علمـــاء الســـلف على ضـــلال هـــذه المعتقدات.

3- الأدلة الصـريحة من الكتـاب والسـنة على فسـاد آراء المرجئة هذه.

---

[1] (?) انظر: كتاب الإيمان لابن تيمية، ص210.

1- حقيقة الجيل الأول وواقع هذا الدين:

كـانت حقيقة الجيل الأول الـذي ربـاه رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، حقيقة حية للإيمـان كما فهموه وتربـوا عليه لقد كـانت حيـاتهم حلقـات قاسـية من المعانـاة والتربية بالأحـداث والتجـارب والفتنة والابتلاء.

كان الإيمـان الراسخ في القلـوب يحـرك ذلك الجيل لأعمـال ضـخمة، فكـانت التضـحيات وكـانت الغـزوات والسرايا وكان الجهاد ينشر هذا الـدين، كل ذلك يعتـبر برهانـاً سـاطعاً على حقيقة دين الله تعـالى، وحقيقة النفس الـتي يجب أن تـؤمن به وتسـتقيم عليـه، مع صراع مستمر لدحر الجاهلية بكل أشكالها.

((وقد استمرت سيرتهم امتداداً لسيرة النبي صلى الله عليه وسـلم في الجهـاد بكل ضـروبه، ففتحـوا الآفاق والبلاد وفتحوا القلـوب والعقـول ونقلـوا للنـاس هدى نبيهم حياً ماثلاً، فما انقضى عصرهم حـتى أنفقت كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله...

كانوا يعملـون ذلك على أنه هو حقيقة الإسـلام، وهو شعب الإيمان، وهو مفتاح الشهادتين...))[1].

وخير من وضح هذه القضية من الـدعاة المعاصـرين الأسـتاذ سـيد قطب رحمه الله إذ يقـول: ((إن حقيقة العبادة لو كـانت مجـرد الشـعائر التعبدية ما اسـتحقت كل هذا الموكب من الرسل والرسالات، وما استحقت كل هذه الجهـود المضـنية الـتي بـذلها الرسل صـلوات الله وسـلامه عليهم، وما اسـتحقت كل هـذه العـذابات

[1] (?) ظاهرة الإرجاء: د. سفر الحوالي، ص53-54.

والآلام التي تعـرض لها الـدعاة والمؤمنـون على مـدار الزمـان، إنما الـذي اسـتحق كل هـذا الثمن الباهظ هو إخـــراج البشر جملة من الدينونة للعبـــاد وردهم إلى الدينونة لله وحــده في كل أمـــر، وفي منهج حيــاتهم كله)).([1])

2- إجماع علماء السلف على خلاف هذه المعتقدات:

عندما اتسع الخلاف بين الفرق في موضوع الإيمــان ظهـرت الحاجة إلى قـول فصل يعـرف النـاس به هـذا المفهوم في الكتاب والسـنة، فتـواردت أقـوال علمـاء الجماعة في جميع الأمصـار على معـنى مـوجز شـاف مقتبس من الكتاب والسنة، وموافق للعقل والفطـرة، ومـترجم لواقع الجيل الأول وهـو: ((أن الإيمـان قـول وعمل يزيد وينقص)).([2])

قـال الإمـام البخـاري رحمه اللـه: ((لقيت أكـثر من ألف رجل من العلماء بالأمصـار، فما رأيت أحـداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)).([3])

وقال الإمامان الجليلان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان فيما رواه عنهما الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم قال:

((سـألت أبي وأبازرعة عن مـذاهب أهل السـنة في أصـــول الـــدين، وما أدركا عليه العلمـــاء في جميع الأمصـار، وما يعتقـدان من ذلك فقـالا: أدركنا العلمـاء

---

[1] (?) طريق الدعوة في ظلال القرآن: أحمد فايز، بيروت، ط6، ص153.

[2] (?) ظاهرة الإرجاء: الحوالي، ص131.

[3] (?) اللالكائي: 1/172، والحافظ في الفتح: 1/47.

في جميع الأمصار - فكـان من مـذهبهم: الإيمـان قـول وعمل يزيد وينقص)).

ثم ذكر عقيـــدة عظيمة أيضـــاً جـــاء فيهـــا: ((وأهل الكبائر في مشـيئة الله عز وجـل، ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل سرائرهم إلى الله عز وجل)).[1]

وقال أبو عبيد القاسم بن سـلام، وله كتـاب مصـنف في الإيمان قال: هذه تسمية من كـان يقـول: الإيمـان قـــول وعمل يزيد وينقص (وعـــدد العشـــرات من أئمة العلم في الأقطـار) ثم قـال: وهـؤلاء جميعـاً يقولـون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهو قول أهل السـنة المعمول به عندنا)).[2]

ويقول الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي:

((والمشهور عن السـلف وأهل الحـديث أن الإيمـان قول وعمل وفيه وأن الأعمـال كلها داخلة في مسـمى الإيمـان، وحكى الشـافعي على ذلك إجمـاع الصـحابة والتـــابعين، ومن بعـــدهم ممن أدركهم وأنكر الســـلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، ومن هؤلاء سعيد بن جبير وقتادة والنخعي والزهري وغيرهم وقـــــال الثـــــوري: هو رأي محمد أدركنا النـــــاس على غيره)).[3]

* وهنا شـــبهة لابد من إزالتهـــا، وقد أثارها المرجئة على أن السلف أهملوا إيمان القلب.

---

1 (?) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم اللالكائي: 1/176-179. تحقيق: د. أحمـد سـعد الحمدان.

2 (?) عن الإيمان: لابن تيمية، ص293-295، تخريج الألباني، بيروت.

3 (?) جامع العلوم والحكم: تحقيق محمد أبو النور، 1/57، مختصر.

والواقع أن المرجئة عندما ابتدعوا القول في أن الإيمان قول فقط، كذبهم السلف وردوا عليهم دعواهم قائلين: بل هو قول وعمل، من هنا نشأت العبارة، ذلك أن أعمال القلوب لم تكن موضع نزاع بين السلف وأصناف المرجئة المتقدمين إلا فرقة شاذة هي فرقة الجهم بن صفوان، ومن وافقه كالصالحي، وهي فرقة كفرها السلف بهذا وبمقالاتها الأخرى في الصفات والقدر.

وإنما أصبحت أعمال القلوب محل نزاع كبير بعد أن تبنى الأشاعرة مذهب جهم في الإيمان، وحصروه في عمل قلبي واحد هو التصديق ومال إليهم الماتريدية بعد ذلك.[1]

وقال أيضاً: ((إن من قال من السلف الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح)).[2]

وقال ابن القيم: ((إن الإيمان قول وعمل: والقول قول القلب واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح)).[3]

وسوف نفصل القول في العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح في الفصل القادم إن شاء الله.

---

1 (?) انظر: الفتاوى: لابن تيمية، 7/582.

2 (?) الإيمان: لابن تيمية، ص162، طبعة بيروت.

3 (?) عدة الصابرين لابن القيم: ص129.

3- أما أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

فعليه أدلة كثـــيرة نـــذكر بعضـــها مما ينقض رأي المرجئة.

فالمعصية لا تخـرج من الإيمـان ولكنها بالتأكيد تـؤثر فيه قـال صـلى الله عليه وسـلم : ((إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتـــة، فـــإذا هو نـــزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبـه، وهو الـران الـذي ذكره الله تعـالى: **{ كَلاَّ بَـلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَـانُوا يَكْسِـبُونَ (14) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُـــــونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ }** [المطففين: 14-16].[1]

وفي السخرية من مقولة المرجئة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، قال وكيع: ((أترى إيمان الحجـاج بن يوسف مثل إيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟)).([2])

بل ينتفي الإيمان تماماً إذا خالطه الشرك الأكبر.

هذا ((وإن ذل المعصية لابد أن يقوم بالقلب، فيورثه خوفـاً من غـير اللـه، وذلك شـرك، ويورثه محبة لغـير الله، واستعانة بغير الله في الأسباب الـتي توصـله إلى غرضـه، فيكـون عمله لا باللـه، ولا للـه، وهـذا حقيقة الشرك.

نعم قد يكـون معه توحيد أبي جهل وعبّـاد الأصـنام، وهو توحيد الربوبيـة، وهو الاعـتراف بأنه لا خـالق إلا الله، ولو أنجى هذا التوحيد وحده لأنجى عبّاد الأصـنام،

---

[1] (?) أخرجه الإمام مسلم، ومالك في الموطأ.

[2] (?) كتاب السنة: أحمد بن حنبل رحمه الله، جـ1/310. تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، ط1.

والشأن في توحيد الألوهية هو الفـارق بين المشـركين والموحدين)).[1]

والواقع أن المعـنى الـذي يسـتحق به العبد المـدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمـور: التصـديق بـالقلب والإقـرار باللسـان، والعمل بـالجوارح، قـال تعـالى:**{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِـرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُـوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُـهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانَاً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ يُنفِقُـونَ (3) أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِـرَةٌ وَرِزْقٌ كَـرِيمٌ }** [الأنفـال:2-4] فـأخبر تعـالى (أن المؤمن من كانت هذه صفته).[2]

كيف لا يزيد الإيمـان بالطاعـة، وهو يتغـير في نفس صـاحبه خلال تلاوة القـرآن، والـذكر واتصـال القلب بالله خلال العبادة خلافاً لغيرها من الأوقات.

عن حنظلة قال: كنا عند رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فوعظنا فـذكر النـار، قـال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان، ولاعبت المرأة، قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فـذكرت ذلك له فقـال: وأنا قد فعلت مثل ما تـذكر. فلقينا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فقلت: يا رسـول اللـه! نـافق حنظل. فقال: مَهْ؟ فحدثته بالحديث، فقال أبو بكـر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل. فقال: يا حنظلة، سـاعة وسـاعة، ولو كـانت تكـون قلـوبكم كما تكـون عند

---

[1] (?) مدارج السالكين: ابن القيم الجوزية، جـ1، ص327، دار الراية للنشر، ط1/1411هـ.

[2] (?) شرح صحيح مسلم: جـ1، ص146-147.

الذكر، لصافحتكم الملائكـة، حـتى تسـلم عليكم في الطرق)).[3]

الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة:

الأدلة على اقتران العمل بالإيمان كثيرة:

قال تعالى: **{ وَمَا كَـانَ اللَّهُ لِيُضِـيعَ إِيمَـانَكُمْ }** [البقـــرة:143] أي صـــلاتكم إلى بيت المقـــدس قبل تحويل القبلة.

وقد اسـتدل من السـلف قـديماً الإمـام أبو بكر بن الحسـين الآجـري قـال: إن الله عز وجل لم يثن على المؤمـنين بأنه قد رضي عنهم، وأنهم قد رضـوا عنـه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجـاة من النـار إلا بالإيمـان والعمل الصـالح، وقـرن مع الإيمـان العمل الصـالح، فلم يـدخلهم الجنة بالإيمـان وحـده حـتى ضم إليه العمل الصالح الذي قد وفقهم إليه، فصار الإيمـان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقاً بقلبـه، وناطقـاً بلسـانه، وعاملاً بجوارحه.

وقال رحمه الله: قد تصـفحت القـرآن فوجـدت فيه ما ذكرته في سـتة وخمسـين موضـوعاً من كتـاب الله عز وجـل، أن الله تبـارك وتعـالى لم يـدخل المؤمـنين الجنة بالإيمان وحـده، بل أدخلهم الجنة برحمته إيـاهم، وبما وفقهم له من الإيمان به والعمل الصالح.

وهـذا رد على من قـال: ((الإيمـان المعرفة)) وعلى من قال: ((المعرفة والقول وإن لم يعمل)).

---

[3] (?) رواه مسلم: انظر: شرح صحيح مسلم، جـ9، ص67.

ثم شـرع رحمه الله في سـرد هـذه المواضع ابتـداءً من قوله تعـالى في سـورة البقـرة: **{ وَبَشِّـرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ }** [البقــرة:20] إلى قولــه: **{ وَالْعَصْــرِ (1) إِنَّ الإِنسَــانَ لَفِي خُسْــرٍ (2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِـالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }** [العصر:1-3].

ومن ذلك قوله تعالى في سورة طه: **{ وَمَنْ يَأْتِـهِ مُؤْمِنـــاً قَــدْ عَمِــلَ الصَّـــالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ الـدَّرَجَاتُ الْعُلا }** [طـه:75]، فـإذا ضـممنا إليها آية أخـــرى في الســـورة نفســـها: **{ وَمَنْ يَعْمَــلْ مِنْ الصَّـالِحَاتِ وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَلا يَخَـافُ ظُلْمـاً وَلا هَضْماً }** [طه:112].

ومنهــــا: **{ كُنْتُمْ خَيْــــرَ أُمَّةٍ أُخْـــرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـــأْمُرُونَ بِـــالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَــوْنَ عَنْ الْمُنكَـــرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }** [آل عمران:110].

ومنها قوله تعـالى: **{ مَا يَفْعَـلُ اللَّهُ بِعَـذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ }** [النساء:147].

أما الصلاة والزكاة ففي قوله تعالى: **{ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّـــــلاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَــــاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُـــــلِي وَعَزَّرْتُمُــوهُمْ وَأَقْرَضْــتُمْ اللَّهَ قَرْضـــاً حَسَـــناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }** [المائدة:12].

فالإيمـان ليس بـالتحلي ولا بـالتمني، بل ما وقر في القلب وصـــدقه العمـــل، أنه لا أحد أحسن دينا ممن أسـلم أي انقـاد وأطـاع بلا حـرج ولا منازعـةٍ، وهـــذه هي ملة إبـــراهيم الـــتي لا يقبل الله دينـــاً

غيرهـــــا، مهما كـــــثرت الأمـــــاني والـــــدعاوى.[1]

الأحاديث الدالة على فساد رأي المرجئة:

أما الأحاديث في ذلك فهي كثيرة وهذه أهمها:[2]

1- حديث جبريل عليه السلام وهو حـديث صـحيح رواه الشيخان وغيرهما وفيه:

((يا محمد: أخبرني عن الإسـلام. فقـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : الإسـلام أن تشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسـول الله وتقيم الصـلاة وتـؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن اسـتطعت إليه سبيلاً. قال صدقت)).[3]

قال الإمام البغـوي في شـرح هـذا الحـديث: ((جعل النــبي صــلى الله عليه وســلم في هــذا الحــديث الإســلام اســماً لما ظهر من الأعمــال، وجعل الإيمــان اســماً لما بطن من الاعتقــاد، وليس ذلك لأن الأعمــال ليست من الإيمـــان أو التصـــديق بـــالقلب، ليس من الإسلام، بل ذلك تفصـيل لجملـة، هي كلها شـيء واحد وجماعها الـــدين ولـــذلك قـــال: ((ذاك جبريل أتـــاكم يعلمكم أمر دينكم)).[4]

---

1 (?) المرجع السابق: ص484.

2 (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص485-498.

3 (?) رواه مسلم رقم (1)، والبخاري عن أبي هريرة 1/114.

4 (?) شرح السنة: للإمام البغوي، 1/10. تحقيق: الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

2- حديث شعب الإيمان:

عن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم : ((الإيمــان بضع وســبعون، أو بضع وســتون شــعبة، فأفضـلها قـول لا إله إلا اللـه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)).[1]

3- حديث وفد عبد القيس:

عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن وفد عبد القيس أتــوا النــبي صــلى الله عليه وســلم فقــال: ((من الوفد؟ أو من القوم؟ قالوا: ربيعة فقال: مرحباً بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولا نادمين.

قــالوا: إنا نأتيك من شــقة بعيــدة، وبيننا وبينك هــذا الحي من كفــار مضــر، ولا نســتطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر من وراءنا ندخل الجنة.

فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع:

أمرهم بالإيمان بالله عز وجـل، قـال: هل تـدرون ما الإيمان بالله وحـده؟ قـالوا: الله ورسـوله أعلم. قـال: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسـول اللـه، وإقـام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضـان، وتعطـوا الخمس من المغنم. ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت. قــال شــعبة ربما قــال: النقــير وربما قــال المقيّر[2] قــال: احفظوه وأخبروه من وراءكم)).[3]

---

1 (?) رواه مسلم: رقم (75)، والبخاري: 1/51 واللفظ لمسلم.

2 (?) هذه أسماء آنية يوضع فيها النبيذ.

3 (?) رواه البخاري واللفظ له 1/185، ومسلم رقم 23-28.

فهذا الحديث متقدم ولذلك لم يذكر فيه الحج، ولكن أهميته ظاهرة في أنه فسر الإيمـان بالأركـان الأربعـة، فـدل على أن الإيمـان إذا انفـرد عن الإسـلام يشـمل باطن الـدين وظـاهره، أي مجمـوع ما ذكر في حـديث جبريل من أركـان الإسـلام وأركـان الإيمـان، وكـذلك حديث الشعب فإن أركـان الإسـلام الخمسة داخلة في الشعب بـدليل أنه جعل كلمة الشـهادة أفضل الشـعب وأعلاها.

ويرى الإمام أحمد في أكثر الروايات عنـه، أن تـارك أحد أركان الإسلام الأربعة - عـدا الشـهادتين - متعمـداً كـافر كتـارك الـركن الأول، وله من سـلف الصـحابة والتابعين في هذا الرأي.

ووجد الاســتدلال بهــذه الرواية أن حـــديث جبريل اشتمل على أركان العمل الظاهر ((الإسلام))، وأركـان الاعتمـاد البـاطن ((الإيمـان))، وهو لتـأخره قـاض على كل ما ســبق من أحــاديث فيها إطلاق دخـــول الجنة لمجرد الشهادة أو نقص في عدد الأركان ونحو ذلك.

وقد صــرح فيه بأنه إذا فعل الأركــان الظــاهرة فهو مســلم، وإذا فعل الأركــان الباطنة فهو مــؤمن، ومن هذين يتركب الدين وتتكون حقيقته.

وهـذه الأعمـال الظـاهرة الـتي سـماها إسـلاماً في حـديث جبريــل، سـماها إيمانــاً في حـديث الشـعب، وحديث وفد عبد القيس.

يقول أبو طالب المكي من كلام نفيس له حول هـذا الموضوع:

((لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمــان له... ومن كان ظـاهره أعمـال الإسـلام، ولا يرجع إلى عقــود الإيمــان بــالغيب، فهو منــافق نفاقــاً ينقل عن الملــة، ومن عنــده الإيمــان بــالغيب ولا يعمل بأحكـام الإيمان وشـرائع الإسـلام فهو كـافر كفـراً لا يثبت معه توحيد...)).[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله في كتاب الإيمــان: ((وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يـأت بالشـهادتين فهو كـــافر، وأما الأعمـــال الأربعة فـــاختلفوا في تكفـــير تاركها)).

((ثم ذكر الروايات عن الإمـام أحمد في ذلك وقـال: قال الحكم بن عتيبـة: ((من تـرك الصـلاة متعمـداً فقد كفـر، ومن تـرك الزكـاة متعمـداً فقد كفـر، ومن تـرك الحج متعمــداً فقد كفــر، ومن تــرك صــوم رمضــان متعمداً فقد كفر)).

وقال سعيد بن جبير كلاماً مثل هذا.

ويتبين مما سبق أن الأعمال الباطنة هي ((الإيمان)) الذي يشـمل قـول القلب وعملـه، والأعمـال الظـاهرة هي الإسلام الذي يشمل قول اللسان وعمل الجـوارح، وأصــول الأجــزاء الظــاهرة من الإيمــان هي أركــان الإسلام الخمسـة، وهـذه الأركـان ترجع في الأصل إلى ركن واحد هو شـــهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـــداً رسول الله، والباقي حقوق لها وفروع منها.

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص489-492.

فكل ما ورد من نصـوص في أحكـام المسـلمين، أو أصــحاب التوحيد أو أهل القبلــة، وما أطلق من تعليق النجـاة في الـدنيا والآخـرة، على الإقـرار بالشـهادتين، فالمقصود به هو هذا، أي من يشهد بها قائماً بحقوقها، فهو المسلم الموحد الذي يعد من أهل القبلة، وتجــري عليه أحكامهم وحقوقهم في الدنيا والآخرة.[1]

وننقل أخيراً نقلاً مهماً عن الإمام سفيان بن عيينــة، إذ روى عنه الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد قال:

((حدثنا سويد بن سعيد الهروي قـال: سـألنا سـفيان بن عيينة عن الإرجـاء فقـال: يقولـون الإيمـان قــول، ونحن نقول: الإيمان قول وعمل.

والمرجئون أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله، مصرًّا بقلبه على تـرك الفـرائض، وجعلـوه ذنبـاً بمنزلة ركوب المحارم وليسا سواء.

لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وتـرك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر.

وبيـان ركـوب المحـارم من غـير اسـتحلال معصـية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر.

وبيان ذلك في أمر آدم وإبليس وعلماء اليهود.

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص498.

أما آدم فنهاه عن أكل الشجرة وحرمها عليــه، فأكل منها متعمــداً ليكــون ملكــاً، أو يكــون من الخالــدين فيسمى عاصـياً من غـير كفـر، وأما إبليس فإنه فـرض عليه سجدة واحدة فجحدها متعمداً فسمي كافراً.

وأما علمـاء اليهـود فعرفـوا نعت النـبي صـلى الله عليه وسلم وأنه نـبي رسـول، كما يعرفـون أبنـاءهم، وأقــروا به باللســان، ولم يتبعــوا شــرائعه، فســماهم كفاراً.

فركوب المحارم مثل ذنب آدم وغيره من الأنبياء.

وتركها على معرفة من غـــير جحـــود فهو مثل كفر علماء اليهود[1] فهذا الكلام الموجز الواضح هو تفصـيل لأنواع من الكفر، وبيان لمناط تكفير تارك الفرائض.

---

1 (?) عن ظاهرة الإرجاء: د. سفر الحوالي ص508-509.

الفصل الرابع
العلاقة بين إيمان القلب وعمل الجوارح

1- حقيقة الترابط بين أجـــزاء الإيمـــان على ضـوء مـذهب السـلف، قـول القلب وعملـه، وقول اللسـان وعمل الجـوارح يـتركب منها حقيقة الإيمان الشرعي.
2- علاقة قـول اللسـان بقـول القلب عملـه. ((حقيقة لا إله إلا الله ومقتضياتها)).
3- إثبـــات عمل القلب وأهميته في الإيمـــان: نماذج من أعمال القلوب.
4- أثر عمل الجوارح في أعمال القلوب: بيـان أثر المعاصي والطاعات على القلب.

العلاقة بين إيمان القلب وعمل الجوارح[1]

تعتبر العلاقة بين إيمـان القلب وعمل الجـوارح، من أهم قضـايا الإيمـان، وقد تسـرب الضـلال إلى صـفوف المرجئة بسـبب عـدم فهم هـذه العلاقـة، بل كـان ذلك سبباً في انحراف كثير من المسـلمين، حيث ظنـوا أن المـرء قد يكـون كامل الإيمـان في القلب، دون عمل الجوارح مطلقاً، كما ظنوا أن تماثل الناس في أعمـال الجـــوارح تقتضي تماثل إيمـــانهم وأجـــورهم عند الله. ولفهم هذه القضية:

1- لابد أن نعلم حقيقة الترابط بين أجزاء الإيمان على ضوء مذهب السلف:

فــالقلب: يشــمل إقــرار القلب وتصــديقه، وهو الإيمـان المجمـل، مع إقـرار اللسـان وتصـديقه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

والعمل: يعني انقيـاد القلب وإذعانـه، ويكـون ذلك بتحقيق أعمـال القلـوب مع انقيـاد الجـوارح وامتثالها بفعل الأوامر، وترك النواهي.

وهـذان الركنـان: القـول والعمـل، أو الأربعة أجـزاء: قـول القلب وعملـه، وقـول اللسـان وعمل الجـوارح، يتركب منها حقيقة الإيمان الشرعي.

على أن هـــذه الأجـــزاء تتكـــون تفصـــيلاً من بضع وســبعين شــعبة، وكل شــعبة فيها قابلة للتفــاوت بين أعلى درجـــات الكمـــال، وأدنى درجـــات النقص أو

[1] (?) هذا الفصل مقتبس باختصار من ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (ص372-455).

الاضـمحلال والعـدم، وبهـذا نفهم انـدراج كل الأعمـال فرضاً كانت أو نفلاً في مسمى الإيمان المطلـق، ومن أظهر الأدلة على هذا الامـتزاج أنه قد وردت النصـوص بتسمية الإيمان عملاً، وتسمية العمل إيماناً.[1]

فأما تسـمية الأعمـال إيمانـاً: فنصوصه كثـيرة جـداً، حـتى أن الإمـام البخـاري رحمه اللـه، عقد في كتـاب الإيمان من الصـحيح تـراجم كثـيرة لـذلك مثـل: (بـاب الجهاد من الإيمان)، (بـاب الصـلاة من الإيمـان)، ونحو ذلك، وأورد في ذلك الأحاديث الصـحيحة الـتي شـاركه في إخراجها كتب السنة الأخرى.

وأما تسـمية الإيمـان عملاً: فقد عقد له أيضـاً. مثل (باب من قال إن الإيمـان هو العمل لقوله تعـالى: **{ وَتِلْـــــــــكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ }** [الزخـرف:72]. ثم روى بسـنده عن أبي هريـرة أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم سـئل: ((أي العمل أفضل؟ فقـال: إيمـان بالله ورسـوله، قيل ثم ماذا؟ قـال: الجهـاد في سـبيل اللـه، قيل ثم مـاذا؟ قال: حج مبرور)).([2])

وقد قـال الإمـام الأوزاعي رحمه اللـه: ((كـان من مضى من سـلفنا لا يفرقـون بين الإيمـان والعمـل، العمل من الإيمان، والإيمان من العمل)).([3])

---

1 (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص372-373.

2 (?) فتح الباري: لابن حجر، 1/77، المطبعة السلفية، 1380هـ.

3 (?) عن الإيمان: لابن تيمية ص280 تخريج الألباني/ بيروت.

ولتوضـيح ذلك نـورد مثـالين: أحـدهما من أعمـال الجـوارح، والآخر من أعمـال القلـوب، وهما الصـلاة والحياء.

فالصـــلاة: وهي من أعمـــال الجـــوارح، قد ورد تسميتها إيمانـاً في القـرآن. قـال تعـالى: **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ }** [البقـرة:143] أي صـلاتكم إلى بيت المقدس.[1]

والحياء: عمل قلـبي، وقد صح تسـميته إيمانـاً في حـديث الشُّـعَب وغـيره، ومع ذلك فلا يمكن تصـور وجـوده في القلب إلا بظهـور أثـره على اللسـان والجوارح، وبمقدار حياء الجوارح يقاس حياء القلب.

ثم يـأتي بعد ذلك مسـألة التفـاوت في الصـلاة، والتفـاوت في الحيـاء، فصـلاة يقـترن بها الخشـوع وحضور القلب، وحسن الأداء، لا تكون كأخرى منقـورة نقر الغراب.

وكـذلك حيـاء مقـرون به زيـادة التقـوى، وحسن السمت، وورع اللسان، لا يكون كحيـاء رجل ليس لديه إلا ما يمسكه عمّا يفعله أو يقوله من لا حياء له.[2]

ولقد وصل الشـذوذ بالمرجئة الغالية إلى حد القـول بـأن قـول لا إله إلا الله باللسـان ليس شـرطاً في الإيمان - عندهم - بل قالوا: يكفي حصول الإيمـان في القلب لنجاة صـاحبه عند اللـه، وأما أحكـام الـدنيا فقد جعلت الشهادتان أمـارة على ما في القلب، وبها نحكم على قائلها بالإيمـان، وجعلـوا هـذا هو الغاية من

[1] (?) انظر: الفتح: لابن حجر رحمه الله، جـ1، ص95.

[2] (?) ظاهرة الإرجاء: الحوالي، ص374-375 باختصار.

الشهادتين، وليس لديهم من شبهة إلا أن الإيمان محله كله القلب، وأنه ما يظهر على الجـــوارح فهو مجـــرد إمارات وثمرات.[1]

1 (?) المرجع السابق: ص377-378.

2- علاقة قول اللسان بقول القلب وعمله:

يعتقد المرجئة أن قول لا إله إلا اللـه، إنما هو إخبـار عما في القلب من تصـديق - إذ لا يثبتـون من أعمـال القلوب سـوى التصـديق فمـتى تلفظ الإنسـان بها فقد أصبح عندهم مؤمناً باطنـاً وظـاهراً، بخلاف ما لو امتنع عن قولهـا، فإنه (عنـدهم) يعتـبر كـافراً مع جـواز كونه مؤمناً باطناً، وكـذلك مـتى ارتكب فعلاً مكفـراً، قـالوا: يكفر ظاهراً. [1]

أما من ورد الوحي بنفي الإيمـان عنـه، لارتكابه فعلاً مكفراً (كإبليس)، أو امتناعه عن الشـهادتين (كـاليهود) فقالوا: هذا ليس في قلبه تصديق أصـلاً، وفي هـذا من المغالطات ما لا يخفى.

والمراد هنا أن نبين غلط المرجئة في هذه القضـية، وهي اعتبار قول لا إله إلا الله: إخبار مجرد، ويتجاهلون أنه قد حصل الإخبـار المجـرد هـذا من بعض أحبـار اليهـود، ومن بعض كفـار قـريش، حيث ثبت إقـرارهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم إخباراً عما في نفوسهم من اعتقاد صدقه في كل ما يقـول، ولم يثبت لهم ذلك إسلاماً قط.

قال شيخ الإسلام في معرض رده على المرجئة: [2]

((وأيضاً فقد جاء نفر من اليهـود إلى النـبي فقـالوا: نشـهد أنك رسـول، ولم يكونـوا مسـلمين بـذلك لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في نفوسهم أن نعلم ونجزم أنك رسول اللـه. قـال: فلمَ لا تتبعـوني؟ قـالوا:

---

1 (?) والمؤسف أن كثيراً من الدعاة والكتاب المعاصرين على هذا المذهب كما سيأتي.

2 (?) الإيمان: لابن تيمية، ص135.

نخـاف من اليهـود، فعُلم أن مجـرد العلم والإخبـار عنه (أي عن العلم) ليس بإيمان، حتى يتكلم بالإيمــان على وجه الإنشـاء المتضـمن للالـتزام والانقيـاد، مع تضـمن ذلك الإخبــار عما في أنفســهم)). وقــال أيضــاً: ((وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين، فهو كافر)). [1]

((وأن من صــدق بقلبــه، ولم يتكلم بلســانه، فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمـان، لا في الـدنيا ولا في الآخرة... فعدم الشهادتين مع القدرة، مسـتلزم انتفـاء الإيمان القلبي التام)). [2]

ومن هنا يتــبين لنا أن قــول لا إله إلا الله هو إنشــاء للالتزام بقول القلب وعمله وتحقيقهما... وكـذلك كـان أجهل النـاس بالتوحيد من يظن أن المطلـوب بقـول لا إله إلا الله هو التلفظ بها باللسان فقط.

والحقيقة أن أعمال الإنسان الظـاهرة على اللســان أو الجـــوارح، لابد أن تكـــون تعبـــيراً عما في القلب وتحقيقاً له، ومظهراً لإرادته، وإلا كـان صـاحبه منافقـاً النفاق الشرعي أو العرفي... ولذلك يتفاوت قائلو هذه الكلمة تفاوتاً عظيماً بحسب تفاوت ما في قلوبهم من التوحيد. [3]

فكل المســـلمين يقولـــون: لا إله إلا اللــــه، ولكن التفاوت بينهم كبير، حسب ما في قلوبهم.

---

1 (?) الإيمان: لابن تيمية، ص287.

2 (?) الإيمان الأوسط: لابن تيمية، ص95.

3 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص380-383، بتصرف وإيجاز.

يقـول ابن القيم رحمه اللـه: ((اعلم أن أشـعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قـوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور - قوة وضعفاً - لا يحصيه إلا الله تعـالى... ولهـذا تظهر الأنـوار يـوم القيامة بأيمـانهم وبين أيـديهم، على هـذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نـور هـذه الكلمـة، علماً وعملاً ومعرفة وحالاً...)) [1]

وليس التوحيد مجــرد إقــرار العبد بأنه لا خــالق إلا اللـه، وأن الله رب كل شـيء ومليكـه، كما كـان عبّـاد الأصـنام مقـرّين بـذلك وهم مشـركون، بل إن التوحيد يتضمن - من محبة الله والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعتـه، وإخلاص العبـادة لـه.. بجميع الأقـوال والأعمال - بما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عـرف هـذا عـرف قول النبي صـلى الله عليه وسـلم : ((إن الله حـرم على النــار من قــال: لا إله إلا اللــه، يبتغي بــذلك وجه الله)).

وقوله صـلى الله عليه وسـلم : ((لا يـدخل النـار من قال لا إله إلا الله)).

وما جاء في هذا الضرب من الأحاديث التي أشـكلت على كثير من الناس، وأوقعتهم في تأويلات مسـتكرهة بعيداً عن تحقيق مدلولها، وإلا فإن المنافقين يقولـون: ((لا إله إلا الله)) بألسنتهم وهم في الدرك الأسفل من النار تحت الجاحدين لهـا، فلابد من قـول القلب وقـول اللسان.

---

1 (?) مدارج السالكين: ابن القيم الجوزية، تحقيق حامد فقي، بيروت.

فمن قالها بلسانه غافلاً عن معناها، معرضاً عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجياً مع ذلك ثوابها حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.[1]

والقلب ليس ملك الأعضاء فحسب بل هو مصدر توجيهها، وأساس خيرها أو شرها قال صلى الله عليه وسلم : ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)). ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم كما روى الإمام أحمد في مسنده: ((الإسلام علانية والإيمان في القلب، وأشار إلى صدره ثلاث مرات قائلاً: التقوى ها هنا، التقوى ها هنا)).([2])

فهذه النصوص تدل على أن القلب هو الأصل وأن إيمانه هو جزء الإيمان الأساسي الذي يقوم عليه الجزء الظاهر ويتفرع منه، ومن هنا لم يسمّ المنافق مؤمناً قط، وإن كثر عمل جوارحه بالجهاد والصلاة.

ومن أفسد الأصول التي بناها المرجئة على هذا الاعتقاد - أي انحصار الإيمان في التصديق القلبي وحده - أنهم حصروا الكفر في التكذيب القلبي أيضاً، حتى أنهم لم يعتبروا الأعمال الكفرية الصريحة كالسجود للصنم، وإهانة المصاحف وسب الرسول

---

[1] (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص385.

[2] (?) المسند عن أنس: 3/112، 257 وهو صحيح.

صـــلى الله عليه وســـلم ، إلا دلالات على انتفـــاء التصديق القلبي وليست مكفرة بذاتها. [1]

وكان لهذه العقيدة آثار عميقة المدى على الأمة، بل هي في عصـرنا هـذا أسـاس الضـلال، والتخبط الواقع في مسـألة التكفـير ومنها نشأ التوسع في اسـتخدام (شرط الاستحلال) حـتى اشـترطوه في أعمـال الكفر الصـريحة، كإهانة المصـحف، وسب الرسـول، وإلغـاء شريعة الله، فقالوا: لا يكفر فاعلها إلا إذا كان مستحلاً بقلبه!!

واشترط بعضـهم مسـاءلة المرتد قبل الحكم عليـه، فـإن أقـرّ أنه يعتقد أنّ فعله كُفْـرٌ كُفِّرَ، وإن قـال إنه مصـدق بقلبـه، ويعتقد أن الإسـلام أفضل مما هو عليه من الردة فلم يكفّروه.

فأصل القضية كلها هو عـدم إدراك العلاقة بين عمل القلب وعمل الجوارح.[2]

3- إثبات عمل القلب:[3]

لقد أنكر المرجئة دخول أعمال القلب في الإيمـان - ما عدا التصديق القلبي - رغم ورود آيـات كثـيرة تـبين أعمـال القلب وأهميتها في الإيمـان، وحسـبنا أن نـورد هنا ما يتجلى به صـحة مـذهب أهل السـنة والجماعـة، وبيان شذوذ فكر المرجئـة، الـذي لم يكن مصـدره في التلقي الكتاب والسنة.

---

1 (?) انظر: المواقف في علم الكلام: عضـد الملـة الإيجـبي، ط: بـيروت، وبـراءة الأشـعريين: 1/149، أبـو حامد بن مرزوق.

2 (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ص391.

3 (?) ينظر: ظاهرة الإرجاء: ص392-442، ففيها تفصيل وإيضاح شافيان.

وسوف نستعرض فيما يأتي بعض أعمال القلب مقرونة بما يدل عليها من الآيات القرآنية، فمنها ما هو في حق المؤمنين ومنها ما جاء في حق الكفار دالاً على أمور سوى التكذيب - الذي لم يقر المرجئة بغيره - ومن ذلك:

الوجل: قال تعالى: **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ }** [الأنفال:2].

والإخبات: قال تعالى: **{ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ }** [الحج:54].

والإنابة: قال تعالى: **{ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ }** [ق:33].

والطمأنينة: قال تعالى: **{ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }** [الرعد:28].

ومن ذلك التقوى والانشراح والسكينة، واللين والخشوع والهداية والتدبر **{ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }** [محمد:24].

والرضا والتسليم: قال تعالى: **{ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }** [النساء:65].

ومما ورد مسنداً إلى القلب غير المؤمن:

الإنكار:{ لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ } [النحل:22].

والكبر: { إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْــرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ } [غافر:56].

ومن ذلك الاشمئزاز والريب والزيغ: **{ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ }** [الصف:5].

والعمى : { فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَـــارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج:46].

ومثلها الران والعداوة للحق وأهله.

وهنالك آيات كثيرة في أعمال القلوب، مما يشير إلى الخـوف والرجـاء والتوكل والاسـتعانة والرضـا، وإن لم يذكر فيها لفظها.

ورغم هذا الوضوح في أعمـال القلـوب فقد ضل فيها **ثلاث طوائف** خلال امتــداد ظــاهرة الإرجــاء الزمني. من **هؤلاء**:

الطوائف الضالة في أعمال القلوب:

المتكلمون:

وهؤلاء أهملوا أعمال القلـوب كلية جـاعلين الإيمـان قضية عقلية بحتة، ولم يثبتوا من أعمـال القلب سـوى التصـديق الخـبري الـذي هو في الحقيقة أشـبه بالعمل الــذهني الخــالص - وإن نســبوه للقلب - وأصل هــذا المذهب هو ذلك المبتدع الضال (الجهم بن صفوان).

ومن المؤسف أن أكثرية متكلمي الأمة، اعتنقوا هذا المـذهب مع اتفـاق أئمة السـلف المعاصـرين لنشـأته

على تكفـــير جهم وأصـــحابه، واعتبـــار الجهمية فرقة خارجة عن فرق أهل القبلة الثلاث والسبعين.[1]

أما غلاة المتصوفة:

فقد كان ضلالهم في أعمال القلوب من نوع آخر، إذ أن القوم مع اهتمامهم الشـديد بهـا، وتسـميتها أحـوالاً ومقامات، ورغم تفصـيل دقائقها فـإن الابتـداع أوقعهم في تناقضات أخرجت طائفة منهم عن الدين كله.

فمن ذلك ضـــلالهم في (الرضـــا) الجـــامع للانقيـــاد والقبـول، فقد خرجـوا فيه عما كـان عليه السـلف إلى معـــنى فلســـفي وثـــني، هو الرضا المطلق بكل ما في الوجـــود، لأنه من إرادة الله وقـــدره، حـــتى اعتقـــدوا وجوب الرضا بالكفر والفسوق والعصيان، ووقعـــوا في الجبر المحض تحت ستار ما أسـموه ((شـهود الحقيقة الكونية، والاستبصار بسر الله في القدر))!!

واحتقـــروا الرجـــاء واعتـــبروه أضـــعف مقامـــات المريـدين، وغلـوا في المحبة حـتى أسـقطوا ما يقابلها من الخـــوف، وجعلـــوا همهم - بـــزعمهم - عبـــادة الله لذاته، لا طمعاً في جنتـه، ولا خوفـاً من نـاره، وجعلـوا ذروة المحبة ((الفناء في المحبوب)) ولهـذا قـال فيهم السـلف: ((من عبد الله بـالحب وحـده فهو زنـديق))، وأفضى بهم هـذا إلى اعتقـاد الحلـول والوحـدة عيـاذاً بالله.[2]

وضل المتصـوفة في التوكل فجعلـوه سـلبية مطلقة وتواكلاً رخيصاً، وتركاً للأسباب المشروعة، فضـلاً عن

---

1 (?) انظر: كتاب الإيمان: لأبي عبيد. وظاهرة الإرجاء: للحوالي، ص397.

2 (?) سنفصل الحديث عن التصوف في الباب الثالث من هذا الكتاب.

أنهم غفلــوا عن أعظم درجــات التوكــل، وهي التوكل على الله في إقامة دينه والجهـاد في سـبيله، ومقاومة الكفر والفسـاد، وضـلوا في الزهد فـأخرجوه من عمل قلبي إيجابي إلى مظهر سـلبي، حـتى حرمـوا به طلب العلم لأن ذلك بزعمهم يؤدي إلى تقدير الناس للعـالم، وهذا ينافي الزهد عندهم. [1]

وبالجملة فلا تكـاد تجد شـرطاً من شـروط لا إله إلا الله ولا عملاً من أعمــال القلــوب إلا ولهم فيه ضــلال وانحراف، مما كان له أثره العميق في انتشار ظــاهرة الإرجاء. [2]

المرجئة الفقهاء:

إن هؤلاء يثبتون أعمال القلب كما يثبتها أهل الســنة والجماعــة، لكنهم يجعلونها شـيئاً آخر سـوى الإيمـان، كما يخرجــون منه أعمــال الجــوارح، فــإذا سـئلوا عن علاقتها بالإيمان قالوا: هي من لوازمه أو ثمراته.

ومن العلمـــــاء من يـــــرى أن الخلاف بين المرجئة الفقهاء، وبين السلف لفظي فقـط، اعتمـاداً على كلام شارح الطحاوية وبعض مواضع من كلام شـيخ الإسـلام ابن تيمية. [3]

أما المرجئة المعاصرون:

فقد وقعـــــوا في كثـــــير مما وقعت فيه الطوائف السابقة، مما كان له آثار مدمرة في حياة الأمة. [4]

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين: لابن القيم، من ص59-72 ومن ص131-133.

2 (?) ظاهرة الإرجاء: د. سفر الحوالي، ص402.

3 (?) انظر المرجع السابق: ص402-404.

4 (?) سنفصل ذلك في المبحث القادم إن شاء الله.

نماذج من أعمال القلوب: [5]

سنذكر في هذه الفقـرة نمـاذج من أعمـال القلـوب لبعض ما أنكـــــره المرجئة في بـــــدعتهم، ومن تلك النماذج: الرضا والمحبة، واليقين والصدق والإخلاص.

فالرضا:

كلمة تجمع بين شـرطين من الشـروط الـتي ذكرها بعض العلماء لشهادة (أن لا إله إلا الله)، وهما القبــول والانقياد، بل يعتبر الرضا أعلى منهما وأشمل.

فالرضا بالدين هو أساس الإسـلام وقاعـدة الإيمـان، فيجب على العبد أن يكـــون راضـــياً به بلا حـــرج ولا منازعة، ولا معارضة. **{ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُـونَ حَتَّى يُحَكِّمُـوكَ فِيمَا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِـدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }** [النساء:65].

وقال صلى الله عليه وسلم : ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)).

إلا أن بعض التائهين: منهم من يحكم الــذوق والوجد لينتكس إلى حضيض الخرافة والوهم كالمتصوفة.

ومنهم من حكم العقل والأقيسة المنطقية فنقل فلسـفات الوثنـيين، وحثالة فكر التـائهين، وهـؤلاء هم أصحاب الكلام.

ومنهم من حكم الأقيسة العقلية والأعـــــــــــراف السياسـية بحجة تحقيق المصـلحة الشـرعية ومراعـاة الأصول الكلية وهم فقهاء الرأي وعلماء السلاطين من

---

[5] (?) انظر: ظاهرة الإرجاء: للحوالي، ص406-442.

جهة، وحكام عصور الانحراف من جهة أخرى، إذ أحلـوا من الــدماء والأمــوال والفــروج ما ورد النص الصــريح بتحريمه.

وكـــان ذلك ممهـــداً لما وقعت فيه الأمة في العصر الحديث من الشرك الأكـبر بتحكيم القـوانين الوضـعية، وإحلالها محل الشريعة الإسلامية، بل وصل الأمر بكثير منهم إلى الكراهية الصـــريحة لكثـــير مما أنـــزل الله وخاصة في قضـــايا الجهـــاد والحجـــاب والمـــوالاة السياسية.[1]

والمحبة:

تتفـاوت درجـات الإيمـان عند المؤمـنين أنفسـهم، وذلك بحسب المحبة والرضا.

فكم بين إسلام أبي ذر الذي تحمل المشاق حـتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أسـلم، أعلن إسـلامه بين ظهـراني الكفـار مسـتعذباً ضـربهم وأذاهم يوماً بعد يوم، وبين إسلام الأعـرابي الـذي جـاء النبي صـلى الله عليه وسـلم ، فقـال لـه: ((أسـلم، فقال: أجدني كارهـاً، فقـال: أسـلم وإن كنت كارهـاً)).[2]

بل كم بين إسـلام سـلمان الفارسي الـذي قضى السنين الطوال بحثاً عن الـدين الحـق... وعنـدما بلغه خبر رسول الله وهو على النخلة كاد أن يسـقط فرحـاً

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين: جـ2، ص214، وكذلك ص172-183.

2 (?) مسند الإمام أحمد: 3/19، 181، ومعنى قوله: أجـدني كارهـاً أن نفسـه فيهـا بقيـة كـره للـدين، ولم ينشرح صدره للإسلام بعد، فأرشده النبي إلى إرغام النفس وقبول الحق.

وشـــوقاً)).[1] وبين إســـلام المؤلفة قلـــوبهم من جفـــاة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام بذل ذليل؟!

ومن هنا كـانت المحبة أصل أعمـال القلب وشـرطاً من شروط لا إله إلا اللــه، لأن الإسـلام هو الاستسـلام بالذل والحب والطاعة لله تعالى.

قـال صـلى الله عليه وسـلم : ((لا يـؤمن أحـدكم حـــتى أكـــون أحب إليه من ولـــده ووالـــده والنـــاس أجمعين)). (رواه البخاري ومسلم).

وقال صلى الله عليه وسلم : ((ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمـان: أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما ســواهما، وأن يحب المـــرء، لا يحبه إلا للـــه، وأن يكـره أن يعـود إلى الكفر بعد أن أنقـذه الله منـه، كما يكره أن يلقى في النار)). [2]

على أن محبة الله ورسـوله ليست دعـوى يمكن أن تلوكها ألسنة الزنادقة، أو المبتـدعين ولا شـعاراً يرفعه المنـــافقون، بل هي تحقيق لتوحيد الله وطاعته باتبـــاع ما جـاء به النـبي صـلى الله عليه وسـلم ، بتحـريم المحرمات كشرب الخمـر، وارتكـاب الفـواحش، بـأمر شـرعي قطعي، ليس اتباعـاً لقـوانين وضـعية تسـنها البرلمانات، أو تبت فيها!![3]

((ورحم الله الشيخ محمد بن إبراهيم حين قـــال في تحكيم القـوانين الوضـعية في المحـاكم، إنها نـوع من

---

1 (?) انظر قصة إسلامه في الإصابة: جـ2/60.

2 (?) رواه البخاري في صحيحه، ومسلم برقم (43).

3 (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: د. سفر الحوالي، ص415-429.

أنواع الحكم بغير ما أنزل الله، وهي تخرج صاحبها عن الملة، وتناقض الشهادتين)). [1]

ولا يمكن أن يعتبر الكارهون للجهاد أنهم محبون لله ورسوله ولا أولياء له ولرسوله.

اليقين:

يعتــبر شــرطاً من شــروط الشــهادتين، والإيمــان المجمل ((قــول القلب واعتقــاده)) لا يتحقق إلا بــه، فمن شك في الله أو في رسوله وما جاء به عن اللــه، فهو كـافر، لا شـهادة له ولا إيمـان. جـاء في الحـديث الشــريف: ((من شــهد أن لا إله إلا الله مخلصــاً من قلبه، لم يـدخل النـار)) أو ((دخل الجنة)). وقـال مـرة: ((دخل الجنة ولم تمسسه النار)). [2]

واليقين لب الإيمان وخلاصـته وزبدتـه، كما قـال عبد الله بن مسعود : ((اليقين الإيمان كله)).

وفي المسـند: ((أفضل الأعمـال عند اللـه، إيمـان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور)).[3]

والصدق والإخلاص:

عملان قلبيــان، من أعظم أعمــال القلــوب، وأهم أصول الإيمان.

وهنـاك أعمـال أخـرى كثـيرة لا تقل أهمية عن هـذه مثل: التوكل والصبر والتوبة والخوف والرجاء.[4]

---

1 (?) رسالة تحكيم القوانين: ص6 النوع الخامس.

2 (?) الحديث متفق على صحته ينظر شرح السنة/ ص100، جـ1.

3 (?) مسند الإمام أحمد: 2/258.

4 (?) انظر رسالة: ظاهرة الإرجاء: ص438-442.

4- أثر عمل الجوارح في أعمال القلوب:

حتى تكتمل الصورة لـدينا، لابد من بيـان أثر أعمـال الجوارح في عمل القلوب، وبذلك تكتمل صورة التأثير المتبادل.

ولنبدأ ببيان أثر المعاصي على القلب، ثم نتبعه بـأثر الطاعات في أعمال القلب.

أثر المعاصي على القلب:

وهي كثيرة جداً وقد فصل ابن القيم كثـيراً منها في كتابـه: ((الجـواب الكـافي)). وها أنا أقتبس بعضـها موجزاً ومن أبرزها:

1- حرمان العلم النـافع، فـإن هـذا العلم نـور يقذفه في القلب، إلا أن المعصية تطفئه، ولهذا كـان السـلف يرشدون تلاميذهم إلى ترك المعاصي.

2- الوحشة بين العبد وربه، وهي وحشة لو اجتمعت لصـاحبها ملـذات الـدنيا كلها فإنها لن تـذهبها، ومن علاماتها، الوحشة بين هـذا الإنسـان وبين أهل التقـوى والإيمان.

3- الظلمة الـتي يجـدها العاصي في قلبـه، فـإن الطاعة نـور والمعصـية ظلمـة، وكلما قـويت الظلمة ازدادت حـيرة العاصـي، حـتى توقعه في البـدع والضلالات.

4- وهن القلب: فلا تزال المعاصي توهنه حـتى تزيل حياته كلية، ويظهر أثر هذا الوهن على البدن عادة.

5- إن العبد كلما عصى ربه خفت عليه المعصـية حتى يعتادها، فيموت إنكار قلبه لها، ويفقد عمل القلب

تماماً، حتى يصبح من المجاهرين بها، المفاخرين بارتكابها.

روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: ((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار)).

6- الذل: فالمعصية تورث الذل ولابد، والعز كل العز في طاعة الله تعالى وكان من دعاء بعض السلف: ((اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك)).[1]

* ومن ذلك الصدى والران والطبع، والقفل والختم، وذلك أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب عليه الصدى حتى يصير راناً **{ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }** [المطففين:14]، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلب، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة، انتكس فصار أعلاه أسفله، وحينئذ يتولاه عدوه، ويسوقه حيث أراد. وبمثل هذا اتخذ الشيطان من البشر دعاة وجنوداً.

* ومن ذلك إطفاء الغيرة من القلب، وهي الغيرة على محارم الله أن تنتهك، وعلى دينه أن يضعف، أو يضيع، وعلى إخوانه المسلمين أن يهانوا، أو يبادوا، بل على أهله ونفسه أن يقعوا في المعصية والهلاك، فالمعاصي تضعف هذه الغيرة حتى تذهبها وتزيلها، ولهذا تجد المدمنين على المعاصي لا يبالون بما حل بالإسلام وأهله من كوارث ومحن، وإنما جل همهم

---

[1] (?) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم طبعة بيروت/ص34-83.

يتمثل في اتبـاع الشـهوات وإضـاعة الأوقـات، بل إنهم يفقـدون الغـيرة الخاصـة، وهي الغـيرة على العـرض، حتى تصير دياثة فيهم، وطبعاً وسجية.

* ومن ذلك ذهـاب الحيـاء الـذي هو مـادة الحيـاة للقلب...

* ومنها نكد القلب وقلقه وضـــنكه: وهـــذا يلازم المعصية ملازمة الظل لأصله. كما قال تعالى: **{ وَمَنْ أَعْـرَضَ عَنْ ذِكْـرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيشَـةً ضَـنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }** [طه:124].

فهـــذه بعض آثـــار معاصي الجـــوارح على القلب وعمله، فهي تذهب يقينه وإخلاصه، وتوكله ومحبته.[1]

أما أثر الطاعات في أعمال القلب:

فـذلك ما ينـوء بالمجلـدات الكبـار، حيث أن هـذه الطاعـات هي مـادة حيـاة القلب وقوته وعزيمتـه، والجـوارح هي منافـذه وثغـوره وهل نجهل ما تورثه الصلاة من رضا وطمأنينة وخشوع وإنابة؟!

أو ما يورثه الصوم من يقين وتوكل وإخلاص؟!

أو ما يورثه الجهاد من محبة واستسلام؟!...

وإن هـذه الطاعـات تـورث القلب شـجاعة وثباتـاً وقوة، وأنها تسدد على الشيطان مداخله إلى القلب... وتفرغ القلب للكفر في مصالحه والاشتغال بها.[2]

وأخيراً فهذا ما أردنا إيجازه حول بدعة الإرجاء وبيان مفاسدها.

وســوف نخصص الفصل الخـامس لبيـان الآثـار المدمرة (لهذا الفكر) على الأمة في العصر الحاضر.

---

1 (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص453-455.

2 (?) المرجع السابق: ص455.

الفصل الخامس
آثار الفكر الإرجائي على المجتمعات المعاصرة

1- اضـطراب مفهـوم لا إله إلا اللـه، وضـمور مقتضيات هذا المفهوم.

2- نتائج إهمال المرجئة لأعمال القلوب.

- انحسار مفهوم العبادة أو تركها.
- انتقاص توحيد الألوهية وتفشي مظاهر الشرك.
- تفاقم الفسق والفجور.

3- تجـرؤ الملاحـدة والعلمـانيين على دين الله سخرية واستهزاء.

- كثرة المنظمات الملحدة.
- الاستهانة بالمقدسات الدينية.

4- الاســتهانة بقضــية تحكيم شــرع اللــه، وتأويلات المرجئة وضلالاتهم الفاسدة.

5- شـــيوع ضـــلالات المرجئة على يد المستشرقين ومقلديهم من أبناء هذه الأمة.

آثار الإرجاء على المجتمعات المعاصرة

عنـدما أخـرج المرجئة العمل من مسـمى الإيمـان، واكتفـوا بمسـمى الإيمـان وأنه مجـرد تصـديق القلب، وأرجؤوا ما يرتكب من فـواحش وانحرافـات إلى اللـه، شجعوا على التفلت من التكـاليف الشـرعية - ولو عن غـير قصد منهم ابتـداء - وجـاء زمن زعم فيه المرجئة أن ((من قـال لا إله إلا الله فهو مـؤمن، ولو لم يعمل عملاً واحداً من أعمال الإسلام)).

ومن الغـريب أن هـذا الفكر المـريض، جعل الأمة - في عصرنا - تتبنى الإرجاء عقيدة ومنهجاً، وصارت تعد مخالفه خارجاً مارقاً من الإسلام، وأضحت تضبط دينها وأحكام إيمانها بأصول فكر الإرجاء وقواعده.

لقد تحول معنى أركان الإسلام، إلى اعتقاد وجودها، والإقرار بها، وإن لم يعمل المرء منها شيئاً.

لكن كيف يستقيم ذلك مع تعاليم هذا الـدين، وآيـات كتـــاب اللـــه؟ تلك الـــتي تحض على العمل بمقتضى الاعتقاد الصحيح؟!

إن ذلك مهزلة، ولكنها حظيت بتأييد كثير من العلماء المعاصرين مع الأسف.

لقد ربّت هذا الفكر على التسـيب والانحـراف داخل المجتمعات الإسلامية، وأوجد له الفتاوى العريضة.

فشـجع على الفسق والفجـور، والتهـاون في شـأن العبـادات، مـادام يحكم لهـؤلاء بالإيمـان، فهم يقـرون بقلوبهم أنهم مؤمنون.

وسوف نستعرض في هـذا الفصل أبـرز الانحرافـات التي شـاعت في الأمـة، بين المجتمعـات الحديثة ومن أبرزها:

1- اضطراب مفهوم لا إله إلا الله على يد المرجئة:

لقد اضطرب مفهوم لا إله إلا اللـه، وصـار عند كثـير من المسلمين لا يعني أكـثر من لفظ مجـرد باللسـان، ويتناسى هـؤلاء أن الشـهادة ليست كلمة تقـال، وإنما هي مفتاح هـذا الـدين، ولها مقتضـياتها أو إن الشـهادة تعـني أنه لا معبـود إلا اللـه، ولا طاعة إلا لـه، وإلا فهي عبادة الشيطان.

فلا تعبد إلا الله في عقيـــدة القلب، ولا تعبد إلا الله في شــعائر التعبــد، ولا تعبد إلا الله في التشــريعات، والتنظيمات الـتي تنظم علاقة البشر بعضـهم ببعض... فهذا هو المعنى الحقيقي للشهادة، والذي كان القـرآن في العهد المكي كله يتــــنزل لترســـيخه في القلب، واســـتمر الجهد في العهد المـــدني ليعلم النـــاس أن هنالك إلهاً يجب أن يعبد كما أمر سبحانه)).[1]

إلا أن الفكر الإرجائي جاء في العصر الأخير ليطمئن الغافلين على أنهم مؤمنون، مادامت قلوبهم قد استقر فيها الإيمان!

---

[1] (?) دراسات قرآنية: الأستاذ محمد قطب، ص61-62 بتصرف، دار الشروق.

جاء في هذا العصر من يدعي أن من قال ((لا إله إلا الله فهو مؤمن، ولو لم يعمل عملاً واحـداً من أعمـال الإسلام)).

لقد كـان الإرجـاء عقبة شـديدة في وجه الـدعوة السلفية، ومن أشد المصاعب الـتي واجهت دعـوة ابن تيمية وابن عبد الوهـاب رحمهما اللـه. إذ التجأ الخرافيـون والمبتدعة إلى اتهـام علمـاء التجديد بـأنهم يكفـرون النـاس، فكـان سـيف الإرجـاء من أمضى الأسلحة لتحريش غوغاء العامة.[1]

يقـول الشـيخ عبد الـرحمن بن حسن - رحمه الله - بعد أن تحـدث عن عظم شـأن كلمة لا إله إلا اللـه: ((أين هذا الواقع من أهل هذا الزمـان، جعلـوا المتلفظ بها عادة وهذياناً.. فهي عندهم الإسلام والإيمان، مع ما هـدموه من التوحيد الـذي هو حق للـه، وأكبـوا وأقبلـوا على عبادة المشاهد والأوثان، وضيقوا الفرائض وسائر الأركـان، وزين لهم ما ارتكبـوه من التبـدع والتنطع والعصـيان إلا أنهم يقولـون: لا إله إلا اللـه. فما أحسن ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله: ((لا إله إلا الله سماها الله كلمة التقوى، فجعلوها كلمة الفجور)).[2]

فالمرجئة القدامى لم يتطرقوا إلى إسـقاط الصـلاة أو التحـاكم إلى شـريعة اللـه، كما أسـقطها المرجئة المحدثون...

المرجئة المعاصـرون تجـاوزوا أسـلافهم كثـيراً، ذلك لأنهم ولـدوا في مجتمع لا يحكم بشـريعة اللـه... وفي

---

1 (?) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين في القرنين الثالث والرابـع عشـر الهجـريين وآثارهمـا في حيـاة المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص80-83، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، 1414هـ.

2 (?) كشف الشبهات: ص205، تعليق محمد حامد الفقي، دار الثقافة للطباعة بمكة 1413هـ.

مجتمع لا تـؤدى فيه الصـلاة ولا غيرها من العبـادات ثم تناولوا الجرعة المسمومة من أسلافهم، ومدوا فكرهم حتى شـملوا به كل شـيء من مقتضـيات لا إله إلا الله فقــالوا: ((من قــال لا إله إلا الله فهو مــؤمن ولو لم يعمل عملاً واحداً من أعمال الإسلام، فتجـاوزوا بـذلك الحاجزين الأخـيرين اللـذين كـان المرجئة القـدامى قد وقفــوا عنــدهما: حــاجز الصــلاة، وحــاجز الشــريعة، فوصفوا المجتمعات التي لا تحكم بما أنـزل اللـه؛ بأنها مجتمعات إسـلامية، وصـنفوا النـاس كل النـاس بـأنهم مسلمون مـاداموا يقولـون لا إله إلا الله محمد رسـول الله! معتمدين على الحـديث: ((من قـال لا إله إلا الله دخل الجنة)) متناســين أن هــذا الحــديث قد خصص بأحاديث أخرى، قد اشترط الرسول صــلى الله عليه وسلم فيها البراءة من الشرك. قال صلى الله عليه وسلم : ((من مات لا يشـرك بالله شـيئاً دخل الجنة)) (أخرجه مسلم).[1]

وقــال ابن تيمية رحمه الله عنــدما سـئل عن رجل قــال: ((أنا لو فعلت كل ما يليق وقلت لا إله إلا اللــه، دخلت الجنة ولم أدخل النار)).

أجــاب رحمه اللــه: ((الحمد لله رب العــالمين. من اعتقد أنه لمجــرد تلفظ الإنســان بهـذه الكلمة يـدخل الجنة ولا يدخل النار بحال، فهو ضـال مخـالف للكتـاب والسنة وإجماع المؤمنين.

[1] (?) مفاهيم ينبغي أن تصحح: ص107-108، دار الشروق 1408هـ، الطبعة الثانية.

فإنه قد تلفظ بها المنـافقون الـذين هم في الـدرك الأسـفل من النـار وهم كثـيرون بل إن المنـافقين قد يصومون ويصلون ويتصدقون ولكن لا تقبل منهم..)).

ثم قـال رحمه اللـه: ((ولكن إن قـال لا إله إلا الله خالصـاً صـادقاً من قلبـه، ومـات على ذلك لا يخلد في النار... إذ لا يخلد في النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، كما صحت بذلك الأحاديث عن النـبي صلى الله عليه وسلم)).[1]

وبـذلك يتـبين أن ضـمور مفهـوم لا إله إلا الله عند المرجئة سبب هذا الانحراف، وأدى إلى التسيب الموجود حاليـاً عند كثـير من المسـلمين، ناهيك عن تبـني بعض الإسلاميين لهذا الفكر المريض.

لقد تميعت المواقف حتى عند بعض الـدعاة، مما أدى إلى الاضطراب والانتكاس مع أعداء الدعوة الإسلامية.

وفي ضوء الفكر الإرجائي نستطيع أن نفسر كثيراً من الانحرافات التي اشـتدت وطأتها في هـذا القـرن، وعلى رأسها انتشار مظاهر الشرك كلها.

2- لقد ترتب على إهمال المرجئة لأعمال القلوب من الآثار المدمرة في حياة الأمة الشيء الكثير.

ومن أعظم ذلك انحسـار مفهـوم العبـادة وتضـييقه، وانتقـاص توحيد الألوهيـة، ووقـوع الأمة في الشـرك الأكـبر، حـتى أصـبح المرجئة في عصـرنا الحاضر يجاهرون بإنكار دخول الأعمال في العبادة والتأله.

---

[1] (?) الفتاوى: لابن تيمية، جـ35، ص202-203.

فقالوا: إن الرجاء والمحبة والرضا والانقياد والطاعة ونحوها من تعبـــدات القلب، بل الـــدعاء والاســـتغاثة بالمخلوقين لا علاقة لها بالشــرك، ولا يســمى فاعلها - لغير الله - مشركاً ما دام يقول: لا إله إلا اللــه، ويعتقد بقلبه صدق الرسول فيما جاء به!!

وينحصر الشرك بـزعمهم في اعتقـاد القلب أن هـذا المخلوق إله أو رب معبود.. أما إذا عمل أعمال الكفر، كالتشــريع من دون الله مع اعتقــاده أن ذلك لا يخرجه من الملة فليس بكافر.

وقد وصل بهم التمـادي إلى إخـراج شـعائر التقـرب والتنسك كالنذر والتوسل والذبح والتعظيم من مسمى العبـادة، بل صـرحوا بـأن السـجود للصـنم ليس بكفر لذاته.[1]

ومن هنا فقد تفـاقم الفسق والفجـور بعد ذلـك، بل لقد تفشت مظـاهر الشـرك في مجتمعاتنا المعاصـرة، وظهر شـــرك العصر المعـــروف وهو شـــرك الاتبـــاع والتشريع بغير ما أنزل الله، فألغيت المحاكم الشرعية في أكثر البلدان، ومن بقيت فيها حجم دورها، وشيدت المحــاكم الوضــعية الــتي تحكم بقــوانين ملفقة ((من شــرائع شــتى وقــوانين كثــيرة كالقــانون الفرنسي والأمـريكي والبريطـاني، ومن مـذاهب بعض البـدعيين المنتسبين للشريعة وغير ذلك، فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبـواب، والناس إليها أسـراب إثر أسـراب، يحكم حكامها بينهم

1 (?) ظاهرة الإرجاء: ص405.

بما يخـــالف حكم الســـنة والكتـــاب من أحكـــام ذلك القانون، وتلزمهم به وتحتمه عليهم.

فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بـأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة)).[1]

((ومع هــذا يــدعي أصــحاب هــذا الفكر محبة الله ورسوله، ويعـبرون عن هـذا الحب المزعـوم بـالمظهر والاحتفـــالات البدعيـــة، وأعمـــال الضـــرار الأخـــرى، ويســتدرجون بهــذا عقــول بعض العلمــاء الناصــحين، فيتورعــون عن الحكم عليهم كما حكم الله عليهم بــه، متذرعين بأنهم غير مستحلين!)).[2]

((لقد كان حجم الفرق الزائفة قديماً ضئيلاً بالنسـبة إلى أعــداد المســلمين، وكــانت أفكــارهم تعيش في دهــاليز مظلمــة، أو ما كــان لها أثر ملمــوس في واقع حياة المسلمين.

بل إن أصحاب الفكر الإرجائي، كثـير منهم كـان من العاملين الفقهاء والعابدين الزهاد، ولم يتأثروا بفكرهم الخــاص ليــتركوا العمل أو ينــادوا بتركه شــأن مرجئة اليوم)).[3]

الذين اعتـبروا تـرك العبـادات لا يـؤثر بالإيمـان بينما اعتبر السلف ذلك كفراً. قـال الحكم بن عتيبة[4]: ((من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر، ومن ترك الزكاة متعمداً

---

1 (?) رسالة تحكيم القوانين: للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، ص6.

2 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص422.

3 (?) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب، ص165-166.

4 (?) في إحدى الروايات عن الإمام أحمد رحمه الله. انظر: ظاهرة الإرجاء: الحوالي، ص498.

فقد كفر، ومن ترك الحج متعمداً فقد كفر، ومن تــرك صوم رمضان متعمداً فقد كفر)).

3- لقد تجرأ الملاحدة زعماء وكتاباً على دين الله سخرية واستهزاء:

عندما مهد الفكر الإرجائي لهم الطريق، وجــرت بعد ذلك ألفاظ الاستهزاء على ألسنة العوام فأصـبحت في أحيــان كثــيرة كالســلام.. مــاداموا لا يخشــون عقابــاً، ويجـــــــــدون من تأويل المرجئة وفتـــــــــاواهم اللين والاستخذاء.

((ومن ثم عم البلاء حتى تعدى مجال الاستهزاء إلى مجال الكفر الجـاد الجلي الـذي كـان أمـراً محظـوراً - ولو عرفـــاً وعـــادة - فنسي النـــاس تكفـــير الباطنية كالقرامطة والدروز وأمثالهم، وغـاب عنهم تمامــاً كفر الطـواغيت، كطـواغيت الـدجل والخرافة والسـحر، أما طــواغيت الحكم والتشــريع فقد نســخوا شــريعة الله جهـاراً نهـاراً وحكمـوا شـرائع الطـاغوت في الــدماء والأعــراض والأمــوال، وألزمــوا النــاس في منــاهجهم ووســائل تــربيتهم لمــوالاة الكفــار، بالموبقـات ضـروباً وألواناً، وسخروا من الحدود والحجاب وتعدد الزوجات، وأحكام المواريث، والعبادات والأخلاق..

وانضم أغلب الطبقة المثقفة - كما يســـمونها - إلى الأحــزاب الكفرية والمنظمــات الإلحاديــة، والمــذاهب الأدبية التي تسير الكفر بالشعر، وســقط حد الــردة إلا من كتب الفقه الموروثـــــة، بل ظهر في صـــــــفوف المنتسبين إلى الدعوة الإســلامية اتجــاه جديد ينكر حد الردة ضـمن ما ينكر من حـدود الإسـلام وأصـوله. ومر

على الأمة الإسلامية أجيال بل قرون لم تسمع فيها أن حد الردة أقيم على زنديق مجاهر أو ملحد مكـابر، في حين أن الآلاف من الأرواح تزهق لأسـباب سياسـية أو خلافات شخصية)).[1]

لقد حصر المرجئة الكفر في تكـــذيب القلب فقط فهـانت المقدسـات، وتجـرأ السـفهاء حـتى أنهم لم يعتبروا أعمال الكفر الصريحة كالسجود للصنم، وإهانة المصحف وسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلا دلالات على انتفاء تصديق القلب وليس مكفرة بذاتها.

وها نحن نقرأ ونرى عشـرات الكتب وآلاف الصحف والمجلات، وكثـيراً من الوسـائل المرئية والسـمعية تهـاجم أصـول الـدين، وتسـخر من قضـايا التشـريع والأخلاق بل إنها تشـجع الخنا والفجـور، وتهـزأ بالرسل ورجال السلف، وتعرض بحقائق الجيل الأول، وتحـاول تزويرهـا، ولا تخشى بسـبب هـذا الكفر أو التطـاول عقابـاً، ولا نبـالغ إذا قلنا إنها تجد تشـجيعاً من أكـثر المنظمـات العالميـة، وكثـير من السـلطات المحليـة، ويجري كل ذلك باسم حماية الحرية الشخصـية، وتحت مظلة من الأفكار الإرجائية.

حتى أصبحت المحافظة على العقيدة الصافية جرماً شائناً، والتمسك بما تتطلبه الشريعة رجعية عتيقـة، إن لم تكن أصولية، يجمع أقطاب النظـام العـالمي الجديد على حربها خارج بلادها عند المسلمين فقط.

((لقد كان لعقيـدة الإرجـاء آثـار عميقة المـدى على الأمة، بل هي في عصرنا هذا أسـاس الضـلال والتخبط

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص47.

الواقع في مســـألة التكفـــير، ومنها نشأ التوسع في اسـتخدام ((شـرط الاسـتحلال)) حـتى اشـترطوه في أعمــال الكفر الصـــريحة كإهانة المصـــحف وسب الرسول صلى الله عليه وسلم وإلغاء شريعة اللـه، فقــالوا لا يكفر فاعلها إلا إذا كــان مســتحلاً بقلبــه!! واشترط بعضهم مساءلة المرتد قبل الحكم عليه، فإن أقر أنه يعتقد بفعله الكفر كُفّـر، وإن قـال: إنه مصـدق بقلبه، ويعتقد أن الإسلام أفضل مما هو عليه من الردة لم يكفروه)).[1]

لقد كــان الفكر الإرجــائي (كما نلاحــظ) ولازال من أخطر الانحرافـــات العقدية الـــتي وقعت فيها الأمة الإسلامية.

4- تأويلات المرجئة وقضية الحكم بغير ما أنزل الله:

تعتــبر هــذه القضــية من أخطر القضــايا في العصر الحديث، حيث نحيت شريعة الله جهاراً نهاراً، ووجـدت هـذه القضـية تـأويلات فاسـدة من ضـلالات الإرجـاء، وانحرافات التائهين المعجبين بما وفد إلينا من حثـالات الأمم الضالة.

((إن من لا يحكم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا يقيم من شريعة الله إلا جـزءاً قليلاً أو كثـيراً، لكنه لا يقيمه امتثـالاً لأمر الله وإيمانـاً بدينـه، بل لأنه يوافق الهـوى والمصـلحة الذاتيـة.. ولأنه أُقر ممن يملك حق الإقـرار والتشريع، سواء كـان شـخص الـزعيم أو الحـزب.. إن مثل هـــذا لا يكفر إلا إذا علمنا أنه - في قلبه - يفضل شرائع البشر على شريعة أحكم الحاكمين.

---

[1] (?) المصدر السابق: ص391.

ويـــــــــرى المرجئة أننا ما لم نطلع على ذلك فكل أعماله تعتبر بحكم المعصية، حتى وهو يصدر القــوانين تلو القــوانين، حــتى وهو يترصد للمطــالبين بتطــبيق الشــريعة ويلاحقهم بصــنوف الأذى، حــتى وهو يظهر المـوالاة الصـريحة للكفـار، ويلغي ما شـرعه الله من الفوارق الجلية بين المؤمـنين والكـافرين من الرعيـة، ويرخص بإقامة أحزاب لا دينية - ويمنع قيام أحزاب لها صـــفة دينية - كل ذلك يعتـــبر من المعاصي الـــتي لا تخرجه من الإســـــلام، وما لم نطلع على ما في قلبه فنعلم أنه يفضل شـرعاً وحكمـاً غـير شـرع الله على شرع الله وحكمه)).[1]

وعلى ضــوء هــذا الفكر لا نعجب من عــدم الإنكــار لتصـرفات بعض الحكـام الهوجـاء، وصـمتهم حيـال ما يصدر من حكـامهم من خـرق لأحكـام الـدين، وانتهـاك لمحارمه، ومن ظلم واضطهاد للناس، وأعظم من ذلك كله موالاة الكافرين ومناصرتهم وعداوة المؤمـنين، ما دام أن هـؤلاء الحكـام يتفوهـون بالشـهادة، ويتكلمـون باسم الدين.

وبذلك ابتعـدت الأمة عن تحكيم شـرع اللـه، وهي لا تحس غضاضة بذلك ما دامت تقر أن شـرع الله أفضل من شرع الطواغيت وكفى!!.[2]

لقد فـاقت آثـار الفكر الإرجـائي في هـذا القـرن ما ســببه هــذا الفكر نفسه من انحــراف في القــرون الخاليــة، وإذا كــان الفكر الإرجــائي في القــرن الأول حدث كـرد فعل ضد الفكر الخـارجي، فـإن العكس هو

---

1 (?) ظاهرة الإرجاء: ص501 بتصرف وإيجاز.

2 (?) انظر: كتابنا ((الحياة الدينية عند العرب))، الباب الخامس، فصل تحكيم القوانين الوضعية.

الـذي حـدث في عصـرنا هـذا حيث كـان فكر التكفـير الغالي رداً على الفكر الإرجـائي المعاصر الـذي غلا به أصحابه.

ومن المفارقـات أن فكر الإرجـاء، قد تسـرب حـتى إلى بعض الجماعـات الإسـلامية، الـتي اعتنق بعضـها الخط الديمقراطي البرلماني، ثم التحالف مع الأحزاب العلمانية، مما جعلها لا تختلف عن الأحـزاب السياسـية في كثير من المنطلقـات، وكـان لـذلك أسـوأ الأثر في إصدار فتاوى رجراجة متناقضة مع المبادئ التي كـانت معلنة عند هذه الجماعات.

5- دور المستشرقين ومقلديهم في نشر فكر المرجئة:

لقد اســتمر تيــار الإرجــاء ينخر في كيــان الأمة الإســلامية، ويذكيه ما كــان ينشــره علمــاء الكلام ويقومــون بتدريسه في كــبرى المعاهد الإســلامية كــالأزهر والزيتونة والقــرويين، ومما يؤسف له أنها مــازالت مســتمرة في تبــني علم الكلام وعقائد المتكلمين، وإعراضــها عن عقيــدة الســلف، بل ومقاومتها في كثير من الأحيان.[1]

ولقد تعـرض عـدد من المستشـرقين، وممن اتبعهم من الكتاب المعاصرين لنشأة الإرجاء وفكـره، وتجاهل هـؤلاء المعاصـرون كلام علمـاء الإسـلام الثقـات وأئمة السنة المشهورين، واتبعوا المستشرقين الحاقدين في آرائهم المسمومة.

---

[1] (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص84.

ومن أبــرز المستشــرقين الــذين تعرضــوا لهــذا الموضوع (فـان فلـوتن)، و(يوليـوس ويلهـاوس). وهما من أخبث المستشرقين، وأكثرهما أثراً في المقلـدين.[1]

* أما الأول منهما فله كتيب سقيم يقوم على فكـرة واحــدة هي أن الفتوحــات الإســلامية كــانت بغــرض الاستعمار على الطريقة الأوروبيــة، ومن هنا فقد فسر (الفرق) على أنها انتقام من الشعوب المسـتعمرة ضد مستعمريها.

ويقــــــول خلال حديثه عن المرجئــــــة: إن جهم بن صفوان أحد رؤوس المرجئة كان يرى أن الإيمــان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثــان، أو لــزم اليهودية أو النصــرانية في دار الإســلام، وعبد الصـليب وأعلن التثليث في دار الإسـلام، ومـات على ذلك فهو مــؤمن كامل الإيمــان عند الله عز وجل ومن أهل الجنة)).

ثم يقــول: ((ومن هــذه الناحية كــان الإرجــاء في خراسان أشبه شيء بأثر عكسي أخلاقي لذلك الإسلام الشـــــكلي دين الحكومة العربية في ذلك الحين، تلك الحكومة الـتي أصـرت على عـدم المسـاواة بين جميع رعاياها في الــــدين باتباعها النظــــام الجــــائر لجمع الضرائب وجباية المكوس)).[2]

---

1 (?) انظر الحديث عنهما وعن فكرهما في الإرجاء. رسالة ظاهرة الإرجـاء في الفكـر الإسـلامي: ص186-ص191.

2 (?) السيادة العربية والشـيعة والإسـرائيليات: ثلاث مقـالات لـه أو كتيبـات ترجمـة حسـن إبـراهيم حسـن وزميله ص15، وص66.

أما يوليـوس ويلهـاوس فقد ذكر فيما يخص الإرجـاء أن الإسلام انقسم بسبب هذه المسألة قسمين:

محافظ وهو الــــذي يحــــترم الجماعة ويؤيد الوضع القــــائم، وثــــائر، ومن الثــــائرين المرجئة والخــــوارج والشيعة، ويقـول: المرجئة أكـثر أهميـة، وكـان لهم أثر ضخم في التاريخ.

ويسـتمر في كلام، خلاصـته أن المرجئة حركة ثورية ضد طغيـان المسـتعمرين الفـاتحين، ولهـذا وسـعت مفهوم الإيمان ليقبل جميع الشـعوب المضـطهدة، كي تكون يداً واحدة على الشعب الفاتح)).[1]

* وليست الغرابة فيما يقـرره هـذان المستشـرقان، وما ينفثــان من أحقــاد، وإنما الغرابة فيما نقله عنهما وعن أمثالهما كتاب من بني جلدتنا.

فما قــرره هــذان المستشــرقان لخصه أحمد أمين وشــريكاه وهــذبوه من الكلمــات الصــريحة الجارحة وقدموه على أنه فكرة سليمة.

وعن أحمد أمين نقل الشــــيخ محمد أبو زهــــرة[2] ونعمان القاضي[3] وألبير نصري نادر.[4]

وعن أبي زهرة نقل كثير من الباحثين ثقة منهم في الشـيخ، والغـريب أن يـترجم كتـاب يوليـوس مـرتين إحـداهما سـورية ((يوسف العش)) والأخـرى مصـرية

---

1 (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص194 وما بعدها.

2 (?) انظر: المذاهب الإسلامية: 1/133.

3 (?) انظر: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: ص272-ص282.

4 (?) الفرق الكلامية: فصل نشأة المرجئة، المطبعة الكاثوليكية/ بيروت.

((أبوريـــدة)) وفي هـــذا الكتـــاب هجـــوم صـــريح على الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالة الإسلام.

ومن المستشرقين الحاقـدين المستشـرق اليهـودي ((جولـدزيهر)) الـذي يتمـيز بمهـارة فائقة في الـدس والتزوير.

وهو يـــــذهب إلى أن المرجئة من أهل الســـــنة والجماعة، وتبعه على ذلك مقلدون كثيرون.

وعلى هذا يسير الدكتور فاروق عمر الذي ينقل عنه مقراً مؤيداً في كتابه ((العباسيون الأوائل ص60)).

من ذلك قولـــه: ((لم يكن مـــذهب أهل الســـنة والجماعة في بدايته إلا فكرة غامضة مرنة تتسع لكثير من الجماعـــات، وبعد المحنة الـــتي عـــركت الأمة الإسلامية أثناء الحرب الأهلية الأولى - بانت الخصـائص الأولى لمذهب أهل السنة حيث انقسم المسلمون إلى فئـــتين تمثل الأولى (دين عثمـــان)، وتمثل الثانية (دين مروان).

وممن تـأثر بالمستشـرقين: عبد الـرحمن بـدوي[1] وعلي سامي النشار[2] ورغم جودة عبارة النشار إلا أنه من أكثر الكتاب المعاصرين اضطراباً وتناقضاً.

وهو أسـتاذ لكثـير من المتخصصـين في الدراسـات الكلامية في مصر وغيرها، ومن أجلى شنائعه أنه يكفر معاوية وأبـــاه، ويعتمد على كتب الرافضة في النقل عن الراشـدين وغـيرهم، ويجعل أصل مـذهب السـلف في الصفات هو اليهود والصابئة.[3]

---

1 (?) مذاهب الإسلاميين: 1/37.

2 (?) انظر تحقيقه لكتاب (فرق وطبقات المعتزلة ص5-7) وهو الجزء الأول من كتاب ((المنية والأمل)).

3 (?) انظر: رسالة الإرجاء: ص191-195.

لقد ساهم هؤلاء وأمثالهم في نشر فكر الإرجاء الغالي في كتبهم، ومن خلال المعاهد والجامعات التي يشغلون فيها مناصب التوجيه والتدريس، مما زاد في مظاهر الانحراف والاضطراب في المجتمعات المعاصرة، ومما جعل الغلبة لمذاهب المتكلمين والفرق المنحرفة، على حساب فكر السلف وعقيدتهم.

* هذه بعض الآثار السلبية لفكر الإرجاء، على المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

* وإذا أضيف إليها انحرافات المتصوفة، وسلبيات منطلقاتهم، التي ساهمت في تخدير الأمة، وانحرافها عن جادة الصواب.

* وكذلك الفكر الغالي الذي ترعرع في ظل سلبيات كل من فكر الإرجاء والتصوف.

* عندها نعلم أهمية بيان هذه الانحرافات، وضرورة عودة الأمة إلى عقيدتها الصافية، وشريعتها القويمة.

الباب الثاني
الغلو في الدين
((التطرف))

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الغلو والتطـــرف في حيـــاة المسلمين المعاصرة.

الفصل الثــاني: الغلو والتطــرف عند غــير المسلمين.

تمهيد:

الغلو ظـــاهرة قديمة تجـــددت مع الـــزمن، حيث أن الغلو في دائرته الواســعة، كــان من ظــواهر الأديــان قبلنا، حتى أن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم قد حـــذرنا من الغلو فقـــال: ((إنما أهلك من كـــان قبلكم الغلو في الدين)).[1]

وللغلاة صفات متشابهة، وتشدد يخرجهم عن حـــدود الاعتـــــدال، والغلو عند الأمم الأخـــــرى، أشد منه عند المســـلمين ولكن أهل الســـنة والجماعـــة، والطائفة المنصورة في هذه الأمة، ما زالـوا يبتعـدون عن جفـاء المغالين، وتفريط الجافين، فنصوص الكتـاب والسـنة، تـــدعو ليلاً نهـــاراً إلى اليسر والوســطية فـــيرجع من اهتدى، ويغلو من اشتد وجفا..

وســوف نتحــدث في هــذا الفصل -الأول- عن الغلو المعاصر لـدى فئة قليلة من المسـلمين، نـبين أسـباب هـذه الظـاهرة ومظاهرهـا، وكيفية علاجهـا، مقـدمين لـــذلك بتوطئة عن جـــذور هـــذا التطـــرف في تاريخنا الإسلامي.

وفي الفصل الثـــاني، ســـنتحدث إن شـــاء الله عن ظاهرة التطرف لدى الأمم الأخرى، وكيف كان حقدهم على المسلمين خلال عصور التاريخ.

ولعل ظـاهرة الغلو المعاصر عند المسـلمين كـانت ردة فعـــل، على تســـيب الفكر الإرجـــائي، وتفريط

---

1 (?) حديث صحيح: رواه الإمام أحمد 1/215، والنسائي 5/268 كتاب الحج، وانظر صحيح الجـامع الصـغير رقم (2680).

المسـلمين في دينهم، وتوغل الفكر الصـوفي، إضـافة إلى عوامل أخرى متعددة ومتشابكة.

الفصل الأول
الغلو والتطرف في حياة المسلمين المعاصرة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الغلو وأنواعه.

المبحث الثـاني: الجـذور التاريخية لظـاهرة الغلو.

المبحث الثـالث: ظـاهرة الغلو المعاصـرة: العوامل والأسباب.

المبحث الرابـع: مظـاهر الغلو في حيـاة المسلمين المعاصرة.

المبحث الخـامس: كيف تعـالج هـذه الظاهرة؟!

المبحث الأول
مفهوم الغلو وأنواعه

الغلو لغـةً: هو مجـاوزة الحـد، يقـال غلا فلان في الدين غلوًّا، تشدد وتصلب حتى جاوز الحد.[1]

وكل من تجـــاوز حد الاعتـــدال وغلا، يصح لغويـــاً تســميته بــالمتطرف. جــاء في المعجم الوســيط في معنى تطرف: ((تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط)).[2]

ويلاحظ أن هنالك تقارباً بين لفظي الغلو والتطرف، فهما بمعــنى واحــد، وإن كــان لفظ الغلو قد ورد في النصــوص الشــرعية. وفي الكتــاب والســنة جــاءت النصــوص الشــرعية تــذم الغلو وتنهى عنــه. قـال ابن مسعود قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثاً.[3]

وعن ابن عباس قال لما جمع للنبي جمرات أمـره أن يلقط له حصى صغاراً وقـال: ((مثل هـؤلاء فـارموا وإيــاكم والغلو في الــدين فإنما أهلك من كــان قبلكم الغلو في الدين)).[4]

وقال تعالى في ذم النصارى الذين غلــوا في عيسى عليه السلام فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبــدون اللــه: **{ لَقَدْ كَفَـرَ**

---

1 (?) انظر: الصحاح: للجوهري، مادة (غلا) واللسان لابن منظور (غلو).

2 (?) المعجم الوسيط: مادة (طرف).

3 (?) رواه مسلم (4/2055) كتاب العلم.

4 (?) سبق تخريجه.

الَّذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ هُـوَ الْمَسِـيحُ ابْنُ مَـرْيَمَ } [المائدة:72].

فالغلو شرعاً: هو مجاوزة الحد بأن يزاد في الشـيء في حمده أو ذمه على ما يستحق.[1]

والحد هو النص الشـــرعي، من كلام الله ســـبحانه وتعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

وجـــاء في فتح البـــاري: ((إن الغلو هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد)).[2]

والغلو على أنواع:

يتنوع باختلاف متعلقه من أفعال العباد على نوعين:

اعتقادي: كغلو النصارى في عيسى عليه الســلام، أو غلو الرافضة في الإمـام علي والأئمة الإثـني عشـر، أو غلو الخـــوارج في تكفـــير أهل الإســـلام بالمعاصي والــذنوب، وكبيرها وصـغيرها، أي كل ما كـان متعلقـاً بكليات الشريعة الإسلامية.

وغلو عملي: وهو المتعلق بـالأمور التفصـيلية من قول اللسان، أو عمل الجوارح مما لا يكـون فرعـاً عن عقيـدة فاسـدة. مثـال: رمي الجمـار بالحصى الكبـار ومثله المبالغة في العبادة كوصال الصوم، وقيـام الليل كله، ولا شك أن الغلو الاعتقادي هو الأشد خطراً.[3]

وقد **دعا الإسلام إلى الوسطية وهي** من أبـرز خصائص الإسـلام. قـال تعـالى: **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ**

---

[1] (?) اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية 1/289 ت: د. ناصر العقل 1404هـ.

[2] (?) فتح الباري: لابن حجر: 13/278. المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1380هـ.

[3] (?) انظر: الغلو في الـدين في حيـاة المسـلمين المعاصـرة: عبـد الـرحمن بن معلا اللويحـق، ص70-71، مؤسسة الرسالة 1412هـ، مجلة البيان العدد (67) بعنوان حقيقة التطرف.

أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } [البقرة:143]. فالإسلام يقدم المنهج الوسط في كل شأن من شؤون الحياة، ويحذر من المصير إلى الانحرافين: الغلو أو التقصير.

قال تعالى: **{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }** [آل عمران:110]

وعن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)).[1] أي غلبه الدين وعجز وانقطع عن عمله كله أو بعضه.

وقال ابن حجر رحمه الله: ((والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، وترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب)).[2]

* وقد خرجت بعض الفرق منذ القديم عن هذا المنهج الوسط، منهج أهل السنة والجماعة خلال القرون الأولى المفضلة.

ومن أبرز هذه الفرق الغالية: الشيعة والروافض، والخوارج والمعتزلة، وسائر أهل الأهواء، إذ كفر الشيعة معظم سائر الصحابة، وأهل السنة ما عدا علياً ، وبعض الصحابة. وكفر الخوارج ومن شايعهم على الذنوب والمعاصي، وقالوا: بتخليد مرتكب الكبيرة في النار.

((فالخوارج تكفر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم وكذلك أكثر الرافضة،

---

1 (?) رواه البخاري: 1/16 كتاب الإيمان: باب الدين يسر.

2 (?) فتح الباري: جـ/ص94. وعون الباري: م1/ص180.

ومن لم يكفر حكم بفسقه.. وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الــذي جــاء به الرســول، ولا يكفــرون من خالفهم فيه)).[1]

1 (?) مختصر منهاج السنة: ص329.

المبحث الثاني
الجذور التاريخية لظاهرة الغلو

لعل أفكـار الخـوارج ومعتقـداتهم كـانت من أبـرز مظاهر الغلو في التـاريخ الإسـلامي.. ويحـاول بعضـهم أن يعقد مقارنـــات بين الخــــوارج وظـــاهرة الغلو المعاصرة، فما مدى صحة هذا القـول؟ هـذا ما سـوف نلقي عليه الضوء في آخر هذه الفقرة.

فالخوارج كلمة تطلق على تلك الفرقة التي وصـفها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين، وتمـيزت بـالغلو والإفـراط والشـطط كما تمـيزت بالاندفاع والتهور والقابلية السريعة للتمزق والاشـتعال وما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أعسرهما.

روى أبو سـعيد الخـدري في قصة الرجل الـذي اعترض على قسمة الرسول صلى الله عليه وسـلم وفيه: ((ثم أدبر الرجل، فاسـتأذن رجل من القـوم في قتله، يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله: ((إن من ضئضئ هـذا قومـاً يقـرؤون القـرآن لا يجـاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثـان)). [1]

فمن صـفاتهم إذن: أنهم لا يفهمـون القـرآن، وهو لا يصل إلى حلـوقهم فضـلاً عن أن يصل إلى القلـوب، وعدم فهمهم للقرآن يجعلهم يأخذون آيـات نـزلت في

---

1 (?) رواه البخاري: 9/21 كتاب استتابة المرتـدين والمعانـدين، ومسـلم: 2/741 كتـاب الزكـاة، بـاب ذكـر الخوارج وصفاتهم.

الكفـــار فيحملونها على المســـلمين. قـــال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الخـــوارج: ((إنهم انطلقـــوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين)).[1]

والوصف الثـاني لهم في الحـديث السـابق: التكفـير واستحلال الدماء ((يقتلـون أهل الإسـلام ويـدعون أهل الأوثان)).

وقد امتلأت صـفحات تـاريخ الخـوارج بنمـاذج غريبة لعقيـدتهم، ومنهجهم، فقد يثـورون ويحجمـون من أجل إثبـات قضـية قد لا تكـون ذات شـأن، لكنهم يـرون أن عدم إثباتها كفر وضلال، فإذا ما تحقق لهم ذلك نكصوا وقـالوا: قد كنا مخطـئين، بل كـافرين - حين فعلنا ذلك فيثورون ويشتطون أشد من ذي قبـل، من أجل إثبـات إبطال ما أثبتوه والتراجع عما قرروه، ويـرون ضد ذلك كفـراً وليس ذلك فحسب بل كـانت طـوائفهم تتهجم على بعضها ويكفرون بعضهم.

وهكذا كان تـاريخ هـذه الطائفة سلسـلة من تضـخم المواقف والاجتهادات والتكفير، وقد تؤدي إلى سلسلة من الانشقاقات الجذرية والمفاصلات الكاملة.

وقد ابتـدأ أمـرهم يـوم (صـفين) حين قـالوا لأمـير المؤمـنين علي عليك أن تقبل تحكيم كتـاب الله وإلا فأنت كافر، فلما وافقهم كارهاً، قالوا: حكمت الرجـال في دين الله فأنت كافر لأنه لا حكم إلا الله)).[2]

ولما رد عليهم بـأنهم هم الـذين أرغمـوه قـالوا: لما رضـينا بـالتحكيم كنا كـافرين، والآن نتـوب من الكفـر،

---

[1] (?) انظر: فتح الباري: 1/282.

[2] (?) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص201-202.

فإن شهدت على نفسك بالكفر وتبت عدنا إلى طاعتك فقال: ((أبعد إيمـاني بالله ورسـوله وهجـرتي وجهـادي مع رسـول الله أشـهد على نفسي بـالكفر، قد ضـللت إذن وما أنا من المهتدين)).[1]

وعندما قيل لهم عودوا إلى طاعة أمير المؤمنين ولا تشـــقوا عصا الطاعة قـــالوا: ((إذا جئتمونا بمثل عمر فعلنا)).[2]

ولما لم يــــأتهم أحد بمثل عمر اختــــاروا لإمــــرة المؤمــنين عبد الله بن وهب الراســبي. وهو أعــرابي ((بـوال على عقبيـه، ولا سـابقة له ولا صـحبة، ولا فقه ولا شهد الله له بخير)).[3]

ظاهرة التكفير عند الخوارج:

لعل أبرز ما يميز هذه الطائفة هو تكفـير مخـالفيهم، فقد اشـــتطت وغلت في النظر لمـــرتكب الكبـــيرة، وتشعب بها الخلاف في أحكام التكفير حـتى كفر بعض فرقها بعضاً!!

ليس هـــذا فحســـب، بل إن الرزية كل الرزية أن مـرتكب الكبـيرة عنـدهم ليس هو الـزاني والسـارق، وغيرهما من عصـــاة الأمـــة، وإنما هو علي وعثمـــان وطلحة والزبير ومعاوية وأمثـالهم من أصـحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم .

---

1 (?) انظر: تاريخ الطبري: 5/83، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، والفتح 12/284.

2 (?) انظر الطبري: جـ5، ص84. والفتح: جـ12، ص284.

3 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم جـ4، ص157، طبعة مصر.

فالحكم على هؤلاء بالكفر هو أصل عقيدة الخـوارج، وحادثة التحكيم هي التي أثارت ذلك.

ومن ثم بـرزت عنـدهم قضـية ((الـدار)) وأصـبح من أصول الأزارقة المميزة لهم ((أن كل كبـيرة كفـر، وأن الـدار دار كفر - يعنــون دار مخــالفيهم - وأن مــرتكب الكبيرة يخلد في النار أبداً، وأن من أقام في دار الكفر فكافر لا يسعه الخروج)).[1]

وخالفت فرق الخوارج بعضها بعضاً، وكفروا بعضــهم كذلك.

موقف أهل السنة من غلو الخوارج:

((إن القـول بتخليد أهل الكبـائر في النـار، لم يوافق أهل الســنة قائليه من الخــوارج والمعتزلــة، لأن هــذا القـــول من بـــدعهم المشـــهورة وقد اتفق الصـــحابة والتـابعون لهم بإحسـان، وسـائر أئمة المسـلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقـال ذرة من إيمـان، واتفقـوا أيضـاً على أن نبينا محمد صـلى الله عليه وسلم ، يشفع فيمن يـأذن الله له بالشـفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته)).[2]

((فـالخوارج هم أول من كفر المسـلمين بالـذنوب، ويكفــرون من خــالفهم في بــدعتهم، ويســتحلون دمه ومالــه، وهــذه حــال أكــثر أهل البــدع، يبتــدعون بدعــة ويكفرون من خالفهم فيها.

---

[1] (?) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص215-216.

[2] (?) الإيمان: لابن تيمية، ص209.

وأهل السنة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، فيتبعون الحق ويرحمون الخلق)).[1]

وجاء في شرح الطحاوية: ((ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ولا نشهد عليهم (أهل القبلة) بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله)).[2]

وسنزيد الأمر تفصيلاً خلال حديثنا عن التكفير بالمعصية وتكفير المعين.

هل لجماعات الغلو المعاصر صلة بفكر الخوارج؟!

يبدو أن المعاصرين لم يستقوا أفكارهم من الخوارج والشيعة وإنما ((هو لون غريب من التوافق في التفكير أدى إلى النتائج عينها)).[3]

ويدل على ذلك أن هؤلاء المعاصرين نشأت أفكارهم وهم داخل السجون، وما كان من السهل أن يطلعوا على كتب الفرق القديمة. وهذا ما أشار إليه أحد المتهمين بالغلو عندما قال: ((مستحيل، هذه الأحكام هي وليدة الزنزانات والفقه البعيد عن أي كتاب، إذ لم يكن مع الجميع كتاب واحد، حتى المصاحف كانت تصادر منا، وما توصل إليه الشباب، فهو اجتهاد يقوم على ما يحفظون من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)).[4]

---

1 (?) الفتاوى: لابن تيمية، جـ3/ص279.

2 (?) شرح الطحاوية: جـ2، ص432، 539.

3 (?) التكفير: جذوره، أسبابه، مبرراته، ص8، ص12. د. نعمان السامرائي.

4 (?) المرجع السابق ص12.

هذا وإن غالب الأفراد الذين ابتدءوا الغلو كـانوا غـير متخصصـين في العلـوم الشـرعية، إذ لم يسـبق لهم اطّلاع على هـذه الكتب، ولـذلك عنـدما بين لهم من ناقشـهم أن آراءهم موجـودة في الملل والنحل للشهرستاني ونحوه من كتب الفرق: قال بعضهم: بأنه لم يسمع بهذه الكتب، وقـال آخـرون: إنهم سـمعوا بها ولم يروها.[1]

هـذا وإن أهل الغلو في المراحل المتـأخرة وخاصة المتصـدرين منهم للقيـادة ربما اسـتفادوا من أفكـار الخوارج بصورة ما)).[2]

((وقد كان قـادة الغلاة يمنعـون أتبـاعهم من قـراءة كتب التاريخ وليس ثمة تفسير ظـاهر لهـذا إلا الخـوف من معرفة تـاريخ الخـوارج وآرائهم المبثوثة في تلك الكتب)).[3]

ومما يبين أن آراءهم المتأخرة جـاءت مطابقة لفكر الخوارج غلـوهم في تكفـير مـرتكب الكبـيرة، وفي ذم المقلدين.

((إلا أن هـذا يـبين لنا أن أثر الفـرق القديمة على الغلاة المعاصـرين جـاء تاليـاً ولاحقـاً، فقد انحصر في إثراء تيارات الغلو وتأييد حججهـا، لا في إيجادهـا، إذ أن وجودها كان أثراً لعوامل أخرى.[4]

---

1 (?) المرجع السابق نفسه.

2 (?) المرجع السابق نفسه.

3 (?) الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو: محمد سرور زين العابدين، ص260، دار الأرقم 1407هـ.

4 (?) الغلو في الدين: اللويحق، ص100.

وإذا تـبين هـذا فـإن سر التشـابه بين آراء الخـوارج وآراء المعاصرين يتضح في الجوانب التالية:

1- **تشـابه المنهج الفكـري للفـريقين:** إذ أن المنهج الفكري الذي اسـتعمله الفريقـان للوصـول إلى الحقائق متشابه بدرجة كبيرة، وهذا ما يجعل الآراء في كثير من الأحيان تتشابه بل تتماثل.

2- **تشابه المناخ الفكري للفريقين:** من حيث الجهل والتطـور الفكـري ويتضح ذلك الجهل ((يقرءون القـرآن لا يجـاوز تـراقيهم))، كما أن التطـور الفكـري للفريقين متقارب حيث بدأ الغلو بالتكفير ثم تطور إلى آراء غالية أخرى.

فالغلاة المعاصرون كان مبدأ غلوهم تكفـير الحكـام، ثم تطورت صور الغلو من خلال الممارسات العملية.

والخـوارج رفعـوا شـعار: لا حكم إلا للـه، ثم تكفـير مخـــالفيهم واســـتباحة قتلهم وقتـــالهم، ومن خلال ممارساتهم العملية تكونت لهم آراء عامة حول الإمامة ومرتكب الكبيرة... الخ.[1]

---

[1] (?) المرجع السابق: ص100-101 بإيجاز وتصرف.

المبحث الثالث
ظاهرة الغلو المعاصر
العوامل والأسباب

لقد ظهـــــرت تيــــارات غالية في بعض أقطـــــار المسـلمين، خلال السـنوات الأخـيرة من هـذا القـرن، وأعادت إلى الأذهان مقولات أهل الغلو القديمة.

فمن قائل بتكفــــير الفـــــرد إلى قائل بتكفـــــير المجتمعات، إلى من يتوقف فيها، ثم ظهـرت مقـولات وتصرفات، كمقاطعة الصلاة في المساجد، إلى هجـرة المجتمعات والفرار بدين الله إلى الجبال والأودية..

فما الأســباب الكامنة وراء هـــذه الظـــاهرة؟ وما العوامل الـــتي أدت إلى ظهــــور بعض الجماعـــات المتطرفة في ديـار المسـلمين؟! وما المظـاهر الـتي بدأت تنتشر سريعاً هنا وهنـاك؟ وما مـدى الصـواب أو الانحراف فيها؟!

صحيح أن أهل الغلو يعتبرون فئة قليلة، وربما انـدثر معظمها إلا أن آثارها لا تـزال موجـودة، لأنها لم تعـالج بشـكل طـبيعي، ولأن الأعـداء من علمـانيين وغربـيين حـــاولوا تشـــويهها، والانتقـــال إلى شـــباب الصـــحوة المعتـــدلين، ليبعـــدوهم عن العـــودة إلى منـــابع دينهم الصافية.

وعلى العمــوم فالأســباب كثــيرة ومتشــابكة، فمن أسباب محلية، إلى أسباب فكرية ونفسـية تخص الغلاة

أنفســـهم، ناهيك عن الأســـباب الخارجية الـــتي يريد أصحابها إبعاد المسلمين عن دينهم.

ولعل أبــرز الأســباب الــتي أدت إلى هــذه الظاهرة هي:

1- التحاكم للأنظمة والقوانين الوضعية:

فجع المســـلمون بســـقوط الخلافـــة، ثم بتحكيم القوانين الوضعية صراحة، فكـانت مسـألة الحكم بغـير ما أنزل الله، هي الجذر الرئيسي للغلو المعاصر، حيث كانت الشكاية الكبرى للتيارات الإسلامية كلها المعتدل والمغالي من إبعاد الشريعة عن واقع حياة المسلمين، وذلك مما يناقض الإسـلام صـراحة، بل هو ثمـرة خبيثة للاستعمار الغربي الصليبي، وللغزو الفكري المصـاحب له.

ومن رد شـــرع الله ورضي بالأحكـــام والقـــوانين الوضـعية فقد كفر بالـذي أنـزل على محمد وارتد عن دينه.[1]

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: ((ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق اللـــه، لا بين المســـلمين ولا بين الكفار... إلا بحكم الله تعالى ورسوله)).[2]

وهذا مجمع عليه بين علماء المسـلمين اسـتناداً إلى الكتاب والسنة.[3]

وعند تتبع مظــــاهر الغلو العقدية والعملية نجد أن غالبها يرجع إلى مسألة الحكم بغير ما أنـزل اللـه. من ذلك:

---

1 (?) انظر: ظاهرة التكفير - تاريخهـا خطرهـا أسـبابها علاجهـا: الأمين الحـاج محمـد أحمـد، ص124-142، مكتبة دار المطبوعات المدنية، جدة، 1412هـ.

2 (?) الفتاوى: جـ35، ص408.

3 (?) انظر تفصيلاً لذلك في كتابنا: الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام: الباب الخامس.

تكفــير المقيم غــير المهــاجر، وأن الــدار دار كفــر، وضرورة الخروج على الحكام لهذا السـبب، والغلو في مفهوم التقليد، مما سنوضـحه في البحث القـادم. وإن عـدم الاسـتجابة لتحكيم الشـريعة أنتج ردة فعل تـدين الحاكم بغير ما أنـزل الله وتكفـره، ثم جـاءت بعد ذلك مجالات الغلو الأخرى.[1]

2- الاضطهاد السياسي:

إن غربة الإسـلام وغربة تعاليمه في كثـير من ديـار المسلمين، حيث غاب الإسـلام بشـموله عن السـاحة، وفي جـوانب حيـاة المسـلمين المختلفـة، مما يشـعر المسلم بالغربة، وهـذه الغربة تعمل عملها في نفسـية المسلم في هذا العصر وخصوصاً الشباب.[2]

وإن الكبت والتسـلط والقهـر، لا يمكن إلا أن يـؤدي إلى قتل إنسانية الشعوب والقضاء على كرامتها...

((لقد أذلــوا الأمة أكــبر إذلال، ولا ســيما المســلم الملتزم بدينه حتى قيل: إن قـوانين الطـوارئ لا تطبق إلا على الجماعات الدينية، فهل في العالم دولة تشـرع لبعض أبنائها دون بعض؟!

لقد كــان التعــذيب في بعض البلاد العربية يمــزق الأجسـاد، ويهـدر الكرامة ويهتك الأعـراض، وقد هـددوا بعض المعتقلين بزوجاتهم أمامهم، وقتلوا بعضهم أمـام ذويهم...

---

[1] (?) انظر الغلو في الدين: عبد الرحمن اللويحق، ص102-106.

[2] (?) انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: د. يوسـف القرضـاوي، ص119، طبعـة قطـر الأولى، 1402هـ.

((لقد جـاءوا برجل مشـلول منذ سـتة أشـهر، وقد حملـوه إلى السـجن واتهم حسب الأصـول بالمشـاركة في التآمر على رئيس الدولـة، والإطاحة بـه..)) ومثل هذا كثير.

((ثم راح الشـباب بعد ذلك يناقشـون: هل هـؤلاء (الزبانية) كفـار أم مسـلمون؟! فتوصـلوا إلى كفـرهم، وقد رتبـوا ذلك على مقـدمات عقلية إن صـحت عقلاً، فهي غير صحيحة شرعاً)).[1]

وقد تحـدث شـاهد عيـان عما وقع على الشـباب المسلم في سجون مصر. يقـول الأسـتاذ محمد قطب عن واقعة 26/أكتوبر/1954م:

((افتعلت مسـرحية الإسـكندرية، وتم على إثرها اعتقـال أكـثر من عشـرين ألف من شـباب الإخـوان وشيوخهم في السجن الحربي وغيره من السجون.

ووقع عليهم من ألـوان التعـذيب الوحشي ما تعجز الكلمـات عن وصـفه مهما تكن دقة المتكلم في الوصف، وكانت أدوات التعذيب قد أقيمت في السجن الحـربي ابتـداء من يونيو 1954م، أي قبل الحـادث بخمسة أشـهر، وأخذ الزبانية يـدربون على اسـتخدامها بواسطة عدد من خـبراء النـازيين، استؤجروا خصيصـاً لهذا الأمر)).[2]

لقد كـان اسـتخدام القـوة والعنـف، داخل السـجون وخارجها أول جذور الغلـو، حيث نشـأت فكـرة محاربة

---

1 (?) التكفـير: جـذوره - أسـبابه - مبرراتـه، د. نعمـان عبـد الـرزاق السـامرائي، المنـارة للطباعـة والنشـر والتوزيـع، بـيروت، ط ثانيـة، 1406هــ، ص43-48. وانظـر: البوابـة السـوداء: لأحمـد رائـف، والإخـوان وعبدالناصر، أحمد عبد المجيد.

2 (?) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب، ص396-298.

الأنظمة ورد الاعتـــداء بـــالقوة، إضـــافة إلى الهـــزء والسخرية والاتهام عند معالجة القضـايا المنسـوبة إلى التيــار الإســلامي في الصــحافة والإعلام مع كثــير من التهويل والتضـخيم والاتهـام بلا أدلــة، بل والاســتهزاء بأمور أصيلة من الدين.

ومقابل هــذا التضــييق على التيــار الإســلامي فتح المجـال أمـام الاتجـاه العلمـاني، فقد صـودرت حرية الدعوة إلى الله في بعض ديار المســلمين، بينما أفلت العنـان في المقابل لـدعاة العلمانية والتغـريب، وهـذه المصادرة لها أثر كبير على الدعاة، حيث اندفع بعضهم إلى أضرب من السرية، واتخذوا العنف منهجاً لهم.[1]

3- الجهل بالعلوم الشرعية:

إن الجهل وعــدم معرفة حكم الله تعـالى ورســوله صــلى الله عليه وســلم ، مع انــدفاع الإنســان وراء عاطفته (رغم غيرته على الدين وتعظيمه للمحرمــات) قد يوقعه في الغلو في كثير من الأحيان.

فإذا رأى المتحمس إنساناً يعصي ولو كانت معصيته صغيرة، لم يطق أو يتصـور أن يكـون العاصي مسـلماً، أو مغفـوراً له لشـدة غيرته فيـؤدي ذلك إلى لـون من ألوان الغلو.

((والجهل يـزول عـادة بـالعلم، ولهـذا رجع كثـير من الخوارج الأوائل عن بدعتهم بالمنــاظرة، فرجع على يد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما ناقشـهم - في مجلس واحد - أكثر من أربعة آلاف إنسان.

1 (?) الغلو في الدين: اللويحق، ص119-120.

وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيـــــــز، نوقشـــــوا فرجع منهم ما يزيد على ألف إنســـــان في مجلس واحد، ولهذا فالجهل من أسهل الأسباب علاجـاً لأنه سرعان ما يزول بالعلم وبيان الدليل)).[1]

((وأبرز جوانب الجهل التي كـان لها أثرها في الغلاة الجــدد: الجهل بالكتــاب والســنة وبمقاصد الشــريعة، والجهل بـأدوات الاسـتنباط وأقـوال العلمـاء وآثـارهم، وبالواقع وملابساته...

وأبــرز جـوانب الخلل في منهجهم: الحرفية في فهم النصـوص وكـثرة التأويل وانعـدام النظـرة الشـمولية، والتلقي المباشر من النصوص وعــدم الجمع بين الأدلة والاجتهاد من غـير أهليـة، وانعـدام الموضـوعية واتبـاع الهوى)).[2]

وهـذه موضـوعات كثـيرة لابد للشـباب المسـلم من التنبه لأهميتها في مجال الدعوة.

4- الفساد العقدي في حياة الأمة:

لقد ضـــمرت العقيـــدة في النفـــوس على تـــوالي العصور، ثم بدأ الانسلاخ من أركـان هـذا الـدين رويـداً رويداً، فعطلت الأحكام الشــرعية، وتهـاون النـاس في الصلاة والصيام والحج والزكاة، حتى تحـولت الشـهادة نفسها إلى ألفاظ مجردة.

وإن عـــدم فهم الكثــيرين لمقتضــيات الشــهادتين، وعنــــدما أفـــرغت لا إله إلا الله من محتواها الحقيقي

---

1 (?) مجلة البيان: العدد (67)، حقيقة التطرف، ص16-17.

2 (?) الغلو في الدين: عبد الرحمن اللويحق، ص113.

ساد الفساد في التصور، وقد قـوى هـذا الاتجـاه الفكر الإرجائي والصوفي في أوساط المسلمين.

وحينما تفسد العقيدة والتصـور وتفـرغ كلمة التوحيد من محتواها الكامـــل، ويحصر الإســـلام في التلفظ بالشهادتين فقط، ويبعد الدين كله في جانب قصي من الحياة، يعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضـوع وانهزام نفسي أمـام الطغيـان المـادي، وبهـرج الحيـاة الزائف.

وعندما تقـوى العقيـدة، ويصـفو التصـور الإسـلامي، وتـــــرى الحاكمية في كل أمر لله عز وجـــــل، يعلو المســـلمون عنـــدها على كل شـــيء وتلك هي حالة المؤمنين الأوائل عنـدما حققـوا الإيمـان في نفوسـهم، وأخلصوا العبودية لله تعالى في كل شؤون حياتهم.[1]

لقد كانت هذه الأجواء المنحرفة مرتعاً خصباً لـردود الأفعال العنيفة، ومحاولة التمرد على الواقع المنحـرف بجرعات قوية، أدت إلى الغلو والتطرف.

5- الفساد الخلقي:

إن انتشـار مظـاهر الرذيلة في المدرسة والجامعـة، والشـــارع والشـــاطئ والمتجـــر، والحديقة والشاشة والإذاعـة، وغـير ذلك إذا أقرها المجتمع وسـكت عنهـا، يجب عليه أن يتوقع أنماطاً كثيرة من الغلو والتطرف، فما بالك إذا كـــان دور المجتمع هو تشـــجيع مظـــاهر الانحراف ودعمها وحراستها وتبنيها؟

---

[1] (?) انظر: واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب، ص165-166.
وظاهرة التكفير: الأمين الحاج محمد أحمد، ص146-147.

وقل مثل ذلك في وسـائل الإعلام والثقافة الـتي أصبحت حكراً لاتجـاه معين، ومـذهب خـاص، أو طائفة محدودة.. فقد صودرت الآراء النزيهة المعتدلـة، فضـلاً عن الآراء المتطرفة الغاليـة، ومثل هـذا الوضع لابد أن يولد آلاف الأمراض في المجتمعات.[1]

يضـاف إلى ذلك هجمة التيـار التغريـبي على ديـار المسلمين، وشدة وطأة الغزو الفكري، مع ضـعف في الـولاء للمؤمـنين، وتعلق بـالغزاة وأفكـارهم مما جعل التحلل يزداد، والفـواحش تنتشـر، وبـات الصـالحون لا يملكون القـدرة على تغيـير ذلـك، مما دفع إلى اليـأس من صـلح هـذه المجتمعـات، والانـدفاع بقـوة وعنف لإصـلاحها.. والعنف لا يـؤدي إلا إلى عنف مثلـه. ولابد من عودة الأمة إلى منابع دينها الصـافية بلا إفـراط ولا تفريط.[2]

6- غياب دور العلماء الثقات:

إن غياب دور العلماء الثقـات، هو الـذي جعل علمـاء السلطة يزيدون الأمور تعقيداً واضطراباً.

ولابد من تمكين العلمـاء الصـادقين من القيـام بـواجبهم، وفتح السـبل لكلمتهم، والسـماح بمرورها إعلامياً، وتسخير إمكانات الأمة لهذا الغرض.

ولا يجوز أن تكون المنابر الدينية حكراً على فئة من الهتافين من أمثال المفتين الرسـميين، كما هي الحـال في بعض البلدان الإسلامية.[3]

---

1 (?) مجلة البيان: العدد (67)، مقال حقيقة التطرف، ص18-19.

2 (?) انظـر: كتابنـا أخلاق العـرب بين الجاهليـة والإسـلام، الفصـل الثـالث السـمات الأخلاقيـة للمجتمعـات الإسلامية والجاهلية.

3 (?) مجلة البيان: حقيقة التطرف، العدد (67)، ص22.

ولهذا شدد الإمـام أحمد رحمه اللـه، حين سـئل عن العـالم وهل له أن يأخذ بالتقية في فتـواه فقـال: ((إذا أجاب العالم تقية، والجاهل يجهل، فمتى يتبين الحــق؟)).([1])

وعندما تخلى العلماء عن مهامهم في توجيه الناس، وانشغلوا بمهام تستهلك الـوقت والجهـد، فتح المجـال لفئـات من الجهلـة، أو حـديثي عهد بـالعلوم الشـرعية لتسنم أماكن التوجيه.

وإن عدم التصـدي للقضـايا الـتي طرحها المتهمـون بالغلو، وعدم بيـان وجه الحق فيهـا، يعتـبر قصـوراً من العلماء الثقات، رغم أن القضايا من المعضـلات، الـتي اشتبهت على كثير من الناس ومع ذلك لم تـبين البيـان الذي تبرأ به الذمة.[2]

هذا وإن أخذ العلم الشرعي من الكتب مباشــرة، له مخاطره الكثيرة إذ أن معظم الانحرافات في العقيــدة والتصـــــــور، مردها إلى تلقي العلم عن الكتب دون واسطة، ونعني بـذلك التعليم غـير النظـامي، والـذي لا يشرف عليه عالم رباني، أو شـيخ متبصر... حيث صـار الشـباب يعلمـون أنفسـهم بأنفسـهم، فلا يجـدون من يصوب الخطأ والانحراف، وخاصة في قضـايا العقيــدة، ومن هذه الانحرافات بدعة التكفير.[3]

وفي كثير من البلدان كـان يـؤتى ببعض المشـايخ أو برجال أمن على هيئة مشايخ، ليقول أحــدهم بعد حفل من التعذيب الذي لا يطاق أمام الشباب:

---

[1] (?) البحر المحيط: لأبي حيان، 2/424، مطبعة السعادة بمصر، الأولى 1328هـ.

[2] (?) انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، القرضاوي، ص90.

[3] (?) ظاهرة التكفير: الأمين الحاج محمد أحمد، ص169-172.

((لقد راجعت مكتبـــتي كلها فلم أجد شـــيئاً اســـمه الحكم بـالقرآن فـأنتم مضـللون، وشـيوخكم يتـاجرون بهـــذه القضـــية لأن الأنبيـــاء لا يحكمـــون بـــالقرآن بل يوصون به. قـال تعـالى: **{ شَـرَعَ لَكُمْ مِنْ الـدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً .. }** [الشورى:13] فإذا كـان النـبي لا يحكم بالـدين بل يوصي به فـأنتم فجـرتُم عن الأنبيـاء بطلبكم الحكم بالقرآن)).[1]

لقد تـــــوالت المحاضـــــرات على الشـــــباب في المعتقلات، يـــديرها أمثـــال هـــذا الشـــيخ مع حفلات التعـذيب، لـذا فلا عجب إن فقد الشـباب ثقتهم بكثـير من العلمـاء خصوصـاً إن كـانوا من أعـوان السـلطان الظالم.[2]

هذه بعض الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظـاهرة الغلو المعاصـر، بعضـها يعـود إلى طبيعة الحكم الـذي أعلنـوه (قـوانين وضـعية بلا تـردد)، وبعضـها يعـود إلى ثقافة هؤلاء الشباب وجهلهم، وبعضـها يعـود إلى تخلي الأمة عمومـــاً عن أخلاقها الإســـلامية، وابتعادها عن تطبيق أحكام دينها الحنيف.

1 (?) التكفير: د. نعمان السامرائي، ص53، 55.

2 (?) المرجع السابق: ص55.

المبحث الرابع
مظاهر الغلو والتطرف عند بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة

لعلّ أبرز هذه المظاهر:

1- التكفير بالمعصية.

2- تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية.

3- تكفير الحكام الذين لا يحكمون الشريعة بإطلاق.

4- تكفير الأتباع: المحكومين بغير ما أنزل الله.

5- تكفير الخارج عن الجماعة المسلمة.

6- مقاطعة الجمعة والجماعات في المساجد.

7- الدعوة إلى الأمية وتحريم التعليم.

وهنالك مجالات أخرى غالية، تبنتها بعض الجماعات المتطرفة من ذلك:

أ- هجرة المجتمعات إلى الجبال والصحاري.

ب- عزلة المجتمعات ومفاصلتها.

جـ- يعتبرون الفترة التي نعيشها الآن كالعهد المكي.

د- ذم التقليد وإنكار الإجماع، وإلزام الناس بالاجتهاد.[1]

وهذه موضوعات طويلة لا مجال للتفصيل فيها في هذا المبحث وأكتفي بالإشارة إليها، ومن شاء

---

1 (?) انظر الغلو في الدين: عبد الرحمن اللويحق، ص360 حتى ص404 وص476-520.

التفصيل فعليه أن يرجع إلى المراجع الـتي نشـير إليها في ثنايا البحث.

وهـذه أبـرز مظـاهر الغلو المعاصـر، تبنتها جماعـات قليلة، نتيجة لأسباب كثيرة تحدثنا عنها فيما سبق.

والواقع كـان يمكن معالجة هـذه الظـاهرة، لـولا أنها قمعت بقـــوة، ومن ثم لـــولا تســـليط وســـائل الإعلام المغرضة عليها، بغية تشويه صورتها وتنفير النـاس من الصحوة الإسلامية المعتدل منها والمتطرف.

بل لعل الهـــدف البعيد لأعـــداء الإســـلام يكمن في محاولة إبعـــاد المســـلمين عن دينهم القويم. وإلا فما معنى أن يتهم المصـلون بـالتطرف مجـرد محـافظتهم على الصلاة في المساجد؟!

وما معنى أن تحـارب المـرأة المسـلمة، إذا أصـرت على حجابها الشرعي، وتعتبر متطرفة متشددة؟!

نجد ذلك واقعـــــاً مريـــــراً في كثــــير من ديـــــار المسـلمين... فلمـاذا يـترك المسـتهترون يعيشـون في المجتمعات العامة الفساد باسم الحرية الشخصـية، ولا يتـاح للمؤمـنين أن يمارسـوا شـعائرهم بحريـة، ولا أن يعبروا عن معتقداتهم بوضوح؟!

لمـاذا يغض الطـرف عن إقامة اليهـود دولتهم على أسس دينية توراتية، ويعتبر ذلك تطرفاً وأصولية عندما ينادي به شباب المسلمين؟!

لقد استغلت بعض وسـائل الإعلام المحلية والعالمية بعض مظـــاهر الغلو عند قلة من أتبـــاع الجماعـــات الإسلامية المتطرفـة، وصـورتهم وكـأنهم مجموعة من

قطاع الطـرق، يجب أن يبـادوا بـأي شـكل، وأن يحـذر العالم كله من إرهابهم.

ومن العدل أن نعالج هذا الأمر بموضوعية، نقول: ما لهم وما عليهم من وجهة النظر الشـــــرعية، عسى أن نسـاهم في معالجة ذلك بهـدوء بعد إقامة الحجة والله يهدي إلى سواء السبيل.

1- التكفير بالمعصية[1]:

كانت هذه النزعة من أخطر بدع الخوارج، ومن أشد آرائهم ومعتقـداتهم، الـتي قتلـوا من أجلها كثـيراً من المسلمين، وأبـاحوا بسـببها إراقة دمـاء كبـار الصـحابة رضي الله عنهم.

وعند النظر في الواقع المعاصر يتــبين لنا أن هنــاك من يكفر المسلم بسبب وقوعه في المعاصـي، ويـرى أن كل عاصٍ كافر.

يقول أحد زعمائهم: ((إن كلمة عاصي هي اسم من أسماء الكافر، وتساوي كلمة كـافر تمامـاً، ومرجع ذلك إلى قضــية الأســماء، فليس من دين الله أن يســمى المرء في آن واحد مسلماً وكافراً)).[2]

ويقول هؤلاء: إن مرتكبي الكبائر كفـار، وإن صـاموا وصلوا وزعموا أنهم مسلمون.

ويشـــرح ابن تيمية رحمه الله هـــذه الصـــفة عند الخوارج وأهل البدع فيقول:

---

1 (?) انظر الغلو في الدين: ص265-288. والحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو: ص157-200.

2 (?) كتاب الهجرة: ماهر بكري، وهو ابن أخت شكري مصطفى، ص72.

((إنهم يكفـرون بالـذنب والسـيئات، ويـترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأمـوالهم، وأن دار الإسـلام دار كفـر، ودارهم هي دار الإيمـان، وكـذلك يقـول جمهـور الرافضـة، وجمهـور المعتزلة والجهمية، وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم)).[1]

وقد ذكرنا في المبحث الثالث أن أثر الفرق القديمة على الغلاة المعاصـرين جـاء تاليـاً ولاحقـاً، وقد أثـرت تيارات الغلو، وأيدت حججهم.

ويتـــبين لنا غلو الـــذين يكفـــرون بالمعاصي من النصوص الكثيرة وآراء علماء السلف.

قـال تعـالى: **{ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }** [النساء:48].

وقد بوّب الإمام البخاري في صحيحه فقـال: ((بـاب المعاصي من أمر الجاهليـة، ولا يكفر صـاحبها بارتكابها إلا الشـرك، لقوله صـلى الله عليه وسـلم : ((إنك امرؤ فيك جاهلية))[2] لأحد أصحابه وقد جـاء في شـرح الطحاوية قول الإمـام الطحـاوي: ((ولا نكفر أحـداً من أهل القبلة بذنب ما لم يسـتحله، ولا نقـول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله))[3] فالاستحلال شرط أساسي لتكفير أهل المعاصي.

وفصل الإمـام النـووي رحمه الله هـذا الأمر فقـال: ((اعلم أن مذهب أهل الحـق، أنه لا يكفر أحد من أهل

1 (?) الفتاوى: لابن تيمية، 19/73.

2 (?) رواه البخاري: 1/14 كتاب الإيمان، ومسلم: 3/282 كتاب الإيمان، وانظر: فتح الباري، كتاب الإيمـان، جـ1/84.

3 (?) شرح العقيدة الطحاوية: ص355، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت، وطبعة المكتب الإسلامي ببيروت.

القبلة بـــذنب، ولا يكفر أهل الأهــواء والبـــدع وأن مَنْ جحد ما يعلم من دين الإســـلام ضــــرورة حكم بردته وكفره، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيـــدة أو نحـــوه، فـــإن اســـتمر بعد أن يُعــرّف حكم بردته)).[1]

((وإذا قلنا إن أهل الســنة متفقــون على أنه لا يكفر بالذنب فإنما نريد به المعاصي كالزنا وشـرب الخمـور، وأما المبـــاني - يعـــني أركـــان الإســـلام الأربعة بعد الشهادتين - ففي تكفير تاركها نزاع مشهور)).[2]

وطـــبيعي أن هـــذا لا يعـــني التهـــوين من خطـــورة الإصــرار على المعاصــي، إذ أن المعاصي بريد الكفــر، ويخشى على صاحبها من سوء الخاتمة.

قال صلى الله عليه وسـلم : ((إيـاكم ومحقـرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه)).[3]

وقال صلى الله عليه وسلم :

((إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة ســوداء، فإن تاب ونزع صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حــتى تعلو قلبه، وفي رواية حتى تغلف قلبـه، فـذلك الـران الـذي قال الله تعالى فيه **{ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }** [المطففين:14].[4]

---

1 (?) شرح النووي على صحيح مسلم: جـ1، ص150.

2 (?) الفتاوى: لابن تيمية.

3 (?) صحيح الجامع الصغير: حديث رقم (2687).

4 (?) أخرجه الترمذي: 4/434، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه: 2/1418، وحسنه الألبـاني ((الجـامع الصحيح: 1666)).

إلا أن هــذا شــيء والحكم على مــرتكب المعصــية بالكفر شيء آخر.

2- تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية[1]:

إن من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعــة: التفريق في أمر التكفــــير بين الإطلاق والتعــــيين، فالنصــوص الــواردة بــالتكفير لمن عمل أعمــالاً معينة مطلقة، قد يلغى حكمها لعـدم قيـام الشـروط وانتفـاء الموانع ولا فـرق في ذلك بين الأصـول والفـروع، فإنه وإن كان القول تكذيباً لله وللرسول صــلى الله عليه وسلم ، لكن قد يكـون القائل حـديث عهد بالإسـلام أو نشأ ببادية بعيــدة، فمثل هــذا لا يكفر بجحد ما جحــده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصــوص أو ســمعها ولم يتثبت منها أو عارضــها عند معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً.[2]

فأهل السنة يقولون بـالتلازم بين الظـاهر والبـاطن، لكن مع تـوفر شـروط وانتفـاء موانع... فهم يعتـبرون العمل والنية معـــاً، ويجعلـــون التحقق منهما معـــاً - بضوابط شـرعية - شـرطاً في الحكم على المعين، ولا يكفي في الحكم على المعين مجـــرد العمل الظـــاهر بــإطلاق. كما لا يكفي في الحكم عليه مجــرد البــاطن في حــال العلم به - ولا يكــون ذلك إلا بــوحي من الله

---

1 (?) انظر في هذا الموضوع: الغلو في الدين: ص311-312. وضوابط التكفير عند أهل السـنة والجماعـة: عبدالله القرني ص210-ص228.

2 (?) الفتاوى: لابن تيمية، جـ3، ص231، جـ10، ص372.

وقد انقطع الـــوحي - بل لابد مع العمل الظـــاهر من التحقق من القصد..)).[1]

فهنالك حـــالات أربع لابد من التفريق بينها وعدم لبس بعضها ببعض:[2]

الحالة الأولى: أن يكون القصد مكفراً لكن لا يدل عليه العمل الظاهر: وذلك كأعمال المنافقين التي هي في الظـاهر طاعـات مع أنهم كفـار في البـاطن لعـدم إخلاصـهم لله فيهـا. ولـذلك لم يحكم الرسـول صـلى الله عليه وسـلم على المنـافقين الـذين كـان يعلم حقيقة أمرهم بالكفر الظـاهر.. وكـان يعـاملهم معاملة المسـلمين في أحكـام الـدنيا من النكـاح والإرث وما شابه ذلك.

الحالة الثانية: وذلك كسَبِّ الله أو رسوله أو دينه، فـإن ذلك كفر ظـاهر ولا يمكن أن يصـدر عن مـؤمن يحب الله ورسوله ودينـه: فـإن السب بغض وكراهيـة، ولا يكـــون إيمـــان أبـــداً في قلب من لم يحب الله ورسـوله ودينـه، ولا ينظر هنا إلى اسـتحلاله أو عدمـه، فإن السب كفر بذاته، وهو دال دلالة قطعية على قصد من تلبس به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللـه: ((إن سب الله أو سب رسـوله كفر ظـاهراً وباطنـاً، سـواء كـان السـاب يعتقد أن ذلك محـرم أو كـان مسـتحلاً لـه، أو

---

1 (?) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة: د. عبد الله القـرني ، ص210، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت 1413هـ.

2 (?) انظر تفصيلاً لهذه الحالات: ضوابط التكفير: القرني، ص211-221.

كان ذاهلاً عن اعتقاده. هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل)).[3]

وهـذا يـبين بطلان منهج المرجئة في حقيقة العلاقة بين الظاهر والباطن، إذ يلزمهم أن يكون ما تقـدم من سب الله ورسوله ودينه أوداس المصـحف احتمـال أن يكون مؤمناً.

الحالة الثالثـة: أن يكـون الفعل الظـاهر محتملاً للكفر وعدمـه: إذ لا يكـون قاطعـاً في الدلالة على أنه كفر وأمثلة ذلك هي:

فعل حـاطب بن أبي بلتعة ومكاتبته لقـريش بـأمر مسير الرسول صلى الله عليه وسـلم والمسـلمين إليهم لفتح مكـة، فإنه في عمومه مـوالاة للكـافرين، لكن ليس فعله قاطعـاً في الدلالة على مـوالاتهم على دينهم، فكـان ما فعله حـاطب بعد تـبين النـبي صـلى الله عليه وسـلم عن حاله إنما هو معصـية وليس بكفر، لذلك كان شهوده بدراً مكفراً لتلك السيئة.

فحكم رسول الله فيه كـان بالظـاهر لا بـأمر بـاطن، وظـاهره ليس كفـراً بل معصـية تحتمل الكفـر، ومثل هذا لابد فيه من التبين عن حال المعين.

الحالة الرابعـة: أن يقـوم بـالمعين ما هو كفر قطعاً، لكن يمنع من تكفـيره الاحتمـال في قصـده: إن من لم تبلغه الحجة الرسـالية ببعض الأمـور قد يكـذب بها أو يسـتحلها فلا يكفر لأنه لم يتحقق فيه الـرد للشريعة - فمجرد وصف الفعل أنه تكذيب أو استحلال أو كفر لا يعني إلحاق وصف الكفر بالمعين، حتى تقوم

---

3 (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص517.

عليه الحجة فيما خـالف فيـه، فـإن أصر بعد ذلك حكم بكفره لنقضه لمبدأ الالتزام بالشريعة.

ويـدل على ذلك ما رواه حذيفة عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قــال: ((كــان رجل ممن كــان قبلكم يســيء الظن بعملــه، فقــال لأهلــه: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا بــه، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قـال ما حملني عليه إلا مخافتك فغفر له)).[1]

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: ((فهـذا رجل شك في قدرة اللــه، وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يعـاد، وهذا كفر باتفـاق المسـلمين، لكنه كـان جـاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك، والمتــأول من أهل الاجتهــاد والحــريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من ذلك)).[2]

ومما يدخل تحت هذه القاعدة وهي الإعــذار بالجهل والتــــأول فيما لا يعلم، حادثة قدامة بن مظعــــون ، عنـدما شـرب الخمر مسـتحلاً لها لشـبهة عرضت لـه، وهي أن التحــريم عــام خصصــته آية المائــدة **{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَـاحٌ فِيمَا طَعِمُوا }**[المائدة:92].

واتفق عمر والصــحابة على أن قدامة وأصــحابه إذا اعـترفوا بـالتحريم جلـدوا، وإن أصـروا على اسـتحلالها قتلوا))[3] وقد جلد قدامة .

---

[1] (?) رواه البخاري: 8/126، كتاب الرقائق، باب الخوف من الله.

[2] (?) الفتاوى: جـ3، ص231.

[3] (?) الفتاوى: جـ11، ص403.

وعلى هـذا كـان عمل السـلف رضـوان الله عليهم، في التفريق بين التكفير المطلق، وتكفـير المعين. فلم يكفر الإمــام أحمد رحمه الله كل من دعا إلى القــول بخلق القـرآن بعينـه، مع قوله إن القـول بخلق القـرآن كفر.

ولم يكفر الإمـــام ابن تيمية الـــذين جـــادلوه من الجهمية في عصره مع أن قولهم كفر.[1]

وكثـير من الغلاة وقعـوا في تكفـير أنـاس بأعيـانهم دون نظر ومراعـاة للضـوابط الشـرعية، متناسـين أن للمســلم حرمته قــال صــلى الله عليه وســلم : ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)).[2]

((وقد جاءت السنة بعدم لعن الفاسق المعين، وإنما جــاءت بلعن الأنــواع، إذ لعن الله الســارق يســرق البيضــة، فتقطع يــده، ولعن الله آكل الربا وموكلــه، ولعن المحلل والمحلل لـــــــــــه، ولعن الله الخمر وعاصـرها.. وذهب طائفة من الفقهـاء إلى جـواز لعن المعين...)).[3]

والأولى من ذلك هو الابتعــاد عن تكفــير المعين لما دلت عليه الأحــاديث الصــحيحة، لأن التكفــير مزلق خطـير، ولا يجـوز للمسـلم أن يُقْـدِمْ عليه إلا ببرهـان واضح. قال تعالى: **{ وَلا تَقُولُـوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً }** [النساء:94].

---

1 (?) انظر ضوابط التكفير: ص244-245.

2 (?) رواه مسلم في صحيحه.

3 (?) شرح النووي على صحيح مسلم: جـ2، ص54.

وجـاء في الحـديث الصـحيح أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء به أحدهما)).[1]

فوظيفة المسلم أن يدعو على بصيرة، وما أمرنا أن نحكم على ما في ســـــــرائر الخلـــــــق، فمن نطق بالشـــهادتين يحكم بإســلامه ما لم يقل أو يعمل عملاً يخرجه عن دائــرة الإســلام. وإن فعل شــيئاً من ذلك يحكم بكفره ولا حرج.

((وإن الحكم على الناس بالإسلام أو الكفر ليس هو الـذي سـيحل القضـية، ولا هو الـذي سـيجعل النـاس يغيرون موقفهم)).[2]

فقد نقــول عن دولة من الــدول كالهند مثلاً أو تركيا أو إســرائيل إنها دولة عَلْمانِيَّة كـافرة، لكن هل ينطبق ذلك على كل أفرادها وفيهم المسلمون وغيرهم؟!.[3]

وقد يصح أن نصف المجتمع الـــذي تحكمه شـــريعة اللـه، ويعيش تحت مظلة الجاهلية بأنه جـاهلي. لكن لا يصح أن نحكم على أفـــــراده بأعيـــــانهم بـــــالكفر أو

يجب الاحتيـاط في مثل هـذه المسـائل، وأن نفـرق بين الدولة والمجتمع والفرد.

3- تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله بإطلاق:

ورد في القرآن الكريم التصريح بـأن الحكم بغـير ما أنـــزل الله كفر قـــال تعـــالى: **{ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا**

---

[1] (?) البخاري: 8/32 كتاب الأدب، ومسلم: 1/79 كتاب الإيمان.

[2] (?) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب.

[3] (?) التكفير: الدكتور نعمان السامرائي، ص135.

أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ } [المائدة:44]، **{ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ }**[المائدة:45]،**{ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ }** [المائدة:47] وللعلماء آراء في تفسير هذه الآيات.[1]

والحكم بغير ما أنزل الله منه ما هو كفر عمل، ومنه ما هو كفر اعتقاد يقول ابن أبي العز الحنفي مفصلاً أحوال الحاكم:

((إنه إن اعتقد - أي الحاكم - أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، أو أنه مخير فيه أو استهان به، مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله. ثم عدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر)).[2]

وزاد الشيخ محمد بن إبراهيم الأمر تفصيلاً، فأوضح أحوال الحاكم وبين مذهب أهل السنة نختصر منه ما يناسب المقام.

قال رحمه الله إن الآية تتناول الكفر بين كفر الاعتقاد وكفر العمل.

فأما الأول فهو أنواع: النوع الأول: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله فهذا جحود لما أنزل الله... ولا نزاع بين أهل العلم أن من جحد أصلاً من أصول الدين، وفرعاً مجمعاً عليه.. فإنه كافر الكفر الأكبر الناقل عن الملة.

---

1 (?) انظر: تحكيم القوانين الوضعية في كتابنا الحياة الدينية عند العرب، الباب الخامس.

2 (?) شرح الطحاوية: ص302.

ومن ذلــك: أن يعتقد أن حكم غــير الله أحسن وأتم وأشمل لما يحتاجه النـاس من الحكم بينهم... وهـذا لا ريب أنه كفر.

ومن ذلك إذا اعتقد الحــاكم أن حكم القــوانين مثل حكم اللــه، وذلك كمن ســبقه في كونه كــافراً الكفر الناقل عن الملة، ومن ذلك إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنــزل اللــه، ومن ذلك جعل محــاكم غــير شــرعية مراجعها كلها من غير الشرع من القوانين الملفقة من شرائع شتى.. فأي كفر فوق هذا الكفر!!

وأما القسم الثــاني: كفر العمل وهو الـــذي لا يخرج من الملة، وذلك أن تحمل الحاكم شهوته وهـواه على الحكم في القضية بغير ما أنـزل الله مع اعتقـاده أن حكم الله ورسـوله هو الحـق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهوى، فهذا وإن لم يخـرج عن الملـة، فإنه معصـية عظمى أكـبر من الكبـائر كالربا وشـرب الخمر...[1]

فـالحكم بغـير ما أنـزل الله من أشد الأسـباب الـتي أدت إلى ردة فعل عنيفـــة، أدانت كل من يخـــرج عن حكم الشريعة وحكمت بكفره، ثم جاءت أحكام أخــرى تالية.. تبعاً لهذه الظاهرة.

إن الـــدعوة إلى تحكيم شـــرع الله واجب على كل مســلم، وقد بــوّب العلمــاء في قضــية الخــروج على الحــاكم الكــافر: لأن إمامته لا تصح ابتــداء. قــال ابن

---

1 (?) انظر تحكيم القوانين: للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ص4-7.

المنـــذر: ((أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر لا ولاية له على مسلم بحال)).[1]

وقـال ابن حجر ((إنه ينعـزل بـالكفر إجماعـاً، فيجب على كل مســلم في ذلــك، فمن قــوي على ذلك فله الثــواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة عن تلك الأرض)).[2]

إلا أن ذلك يتولاه أهل الحل والعقـد، لأن الخـروج له خطورته، وقد سبب فتناً كثيرة في تاريخ هذه الأمة.

وعلى ضــوء ما تقــدم يتــبين لنا أن أصــحاب الغلو المعاصر وقعوا في الخلل في موضعين:

أ- إطلاق القـــول في تكفـــير الحكـــام دون نظر للتفصيل الذي أورده العلماء.

ب- تكفـــير المعين منهم، دون نظر لما قد يكـــون عليه من جهل أو إكـراه أو إيمـان بحكم الله عز وجـل، مع وجود بعض الأعذار الـتي تنقل حكم هـذا الفعل من الكفر المخـرج عن الملة إلى الكفر غـير المخـرج عن الملة.[3]

ويتــبين لنا حــدود الغلو في هــذه المســألة فيما يأتي:

1- الخارج على الإمام العادل يعتبر غالياً.

2- الخارج على الإمام الكافر لا يعد غالياً.

---

[1] (?) نقلاً عن ابن القيم: أحكام أهل الذمة: ص237.

[2] (?) فتح الباري: جـ13، ص123.

[3] (?) الغلو في الدين: ص292.

إلا أن يكـــون وحيـــداً أو معه آحـــاد من النـــاس، فيعتـــبرون مشـــددين على أنفســـهم إذ حملوها ما لا تطيـــق، والخـــروج هنا ليس غلـــواً من حيث الخـــروج نفسه، وإثماً من جهة كيفيته ووقته، فهو غلو في منهج العمل.[1]

ومما تجـدر الإشـارة إليه أن الـداعين إلى الحاكمية اليوم يصرون على ضرورة تطبيق الحكم الشرعي، بل يقولـــون بالســـيادة المطلقة لحكم الله الـــتي هي من لوازم الإسلام، ومن أول مقتضيات الشهادتين.

بينما كان الخـوارج لا يـرون تحكيم الرجـال في دين اللـه، حـتى لو كـانوا أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسلم .

وأيـاً كـان الأمر فـإن قضـية تكفـير الحكـام عامـة، اتخـذت ذريعة من قبل أعـداء الإسـلام، ليشـنوا حملة تحصد شـباب الصـحوة الإسـلامية في كل مكـان، دون تمييز بين المعتدل منهم أو الغـالي.. وإن التركـيز على التربية العقدية هو الأساس، حـتى إذا عـادت الأمة إلى دينهـــا، وصـــفت عقيـــدتها، هـــانت التكـــاليف، وخفت المآسي.

4- تكفير الأتباع المحكومين بغير ما أنزل الله:

من الغلو التكفير دون دليل واضح..

وقد كفّر بعضهم: الشعوب المسـلمة اليـوم بـدعوى اتباعها لمن يحكم بغير ما أنزل الله، وطاعتها لهم حتى

---

1 (?) المرجع السابق: ص436.

قالوا: ((إن المسلم يرتد كافراً مشركاً متى أطـاع من لم يحكم بما أنزل الله واتبعه، والطاعة والاتباع يكونان - حســـــبما قـــــالوا - بالعمل دون النظر إلى النية والاعتقاد)).[1]

لقد حكم هـؤلاء بـأن عـدم الاعـتراض الظـاهر على ممن يحكمـون غـير الشـريعة من القـوانين الوضـعية دليل كـاف على الرضـا في البـاطن، وأنهم بـذلك قد شايعوا حكامهم وتابعوهم على إبعـاد تحكيم الشـريعة. وأن ذلك هو الأصل فيهم حتى يظهر منهم ما يدل على خلافه بعد التبيّن.

ونتيجة هـذا القـول فـإن من لم يتـبين إسـلامه، ولم يهاجر في مثل هذه الظروف، يكون كافراً لا ولاية بينه وبين المسلمين.[2]

والحقيقة أن الأتبـــاع الـــذين يحكمـــون من قبل رؤسائهم بغـير ما أنـزل الله يختلفـون حسب مـوقفهم ونيـــاتهم من ذلك الحكم. وقد قســـمهم العلمـــاء إلى قسمين:

القسم الأول: المطيعون لحكّامهم وهم نوعان:

أ- العــالمون بــأن متبــوعيهم قد بــدلوا دين اللــه، فيتبعونهم على التبديل، ويعتقدون تحليل ما حرم اللـه، وتحـــريم ما أحل الله اتباعــاً لهــؤلاء المتبــوعين، مع علمهم بمخـالفتهم للإسـلام، فهـذا كفر بالله عز وجل

---

1 (?) الغلو في الدين: ص296.

2 (?) ضوابط التكفير عند أهل السـنة والجماعـة: عبداللـه بن محمـد القـرني، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، 1413هـ، ص269.

وقد جعله الله شــركاً.[1] قـــال تعـــالى : **{ اتَّخَــذُوا أَحْبَـــارَهُمْ وَرُهْبَـــانَهُمْ أَرْبَابــــاً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهـاً وَاحِداً }** [التوبة:31]، وذلك بسبب طـاعتهم لهم في الأمر والنهي بغير ما أنزل الله...

ب- النوع الثاني: المطيعون مع إيمـانهم واعتقـادهم بتحـريم الحـرام وتحليل الحلال، ولكنهم أطـاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسـلم عند قيامه بالمعاصـي، مع اعتقاده بأنها معاص، فهـؤلاء لهم حكم أمثـالهم من أهل الذنوب، فقد ثبت عن رسول الله أنه قـال: ((إنما الطاعة في المعروف)).[2]

إلا أن مجـرد الطاعة في العمل لا يكـون بها تكفـير، إنما يكون التكفير في الطاعة مع الاعتقاد.

يقـــول أبو بكر بن العـــربي: ((إنما يكـــون المـــؤمن بطاعة المشرك مشركاً إذا أطاعه في اعتقـاده، الـذي هو محل الكفر والإيمـــان، فـــإذا أطاعه في الفعـــل، وعقـده مسـتمر على التوحيد والتصـديق، فهو عـاصٍ، فافهموا ذلك في كل موضع)).[3]

القسم الثـاني: هم المنكـرون والكـارهون، غير الراضين، فهؤلاء غير آثمين بنص حديث رســول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فضـلاً عن أن يكونـوا كافرين.

---

1 (?) انظر: الفتاوى: لابن تيمية، جـ7، ص70.

2 (?) رواه البخاري: 9/79 كتاب الأحكام، ومسلم: 3/1465 كتاب الإمارة.

3 (?) أحكام القرآن: أبو بكـر محمـد عبداللـه: جــ2، ص743، تحقيـق علي محمـد البجـاوي، ط دار الفكـر، بيروت - لبنان.

قال صلى الله عليه وسلم : ((يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع)).[1]

فالإنكار واجب حسب الاستطاعة، وفي الكراهية سلامة، والكفر لا يكون إلا بالرضا والمشايعة والاتباع.

5- تكفير الخارج عن الجماعة المسلمة[2]:

لقد أمر الله عز وجل بالاجتماع ونهى عن التفرق والاختلاف:

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران:103].

وقد تكاثرت الأحاديث الحاضة على الجماعة والمحذرة من مفارقتها ومخالفتها ومن ذلك:

- الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود إذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)).[3]

- وعن أبي ذر قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)).[4]

---

1 (?) رواه مسلم: 3/1481، كتاب الإمارة.

2 (?) انظر: الغلو في الدين: ص198-217.

3 (?) رواه البخاري (9/6) كتاب الديات، ومسلم (3/1302) كتاب القسامة.

4 (?) رواه الترمذي (2863، 2864) وأحمد (4/130) والحاكم (1/117-118).

والنصوص في لـزوم الجماعة كثـيرة، وقد تتبع بعض أهل العلم هـذه الأحـاديث وأقـوال السـلف في بيـان معنى الجماعة وبينوا المقصود بالجماعة.[1]

6- المقصود بالجماعة:

ويمكن إيجازها على خمسة أقوال:

1- إن الجماعـــــة: هي الســـــواد الأعظم من أهل الإسلام.

2- الجماعة هي: أئمة العلم والمجتهدين.

3- إن الجماعة: هم الصحابة على وجه الخصوص.

4- إنها تعني أهل الإسلام في مقابل الكفار.

ومداد هـذه الأقـوال كلها على معـنى الاتبـاع ولـذلك فإن الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهـاد هم المقصودين.

5- القـول الخـامس يعـني أن الجماعـة، هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على الإمام الشرعي.

((وعليه فـــإن الجماعة المـــذكورة في أحـــاديث الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لا يمكن حصـرها في واحـــدة من الجماعـــات الإســـلامية القائمة الآن والمعروفة بأسـمائها وقادتها ونظمهـا، فاعتبـار جماعة من هـذه الجماعـات هي جماعة المسـلمين، واعتبـار الخـــارج منها كـــافراً، أو مفارقـــاً للجماعـــة، كل ذلك تعسف لا مبرر له)).[2]

---

1 (?) الشاطبي في الاعتصام: جـ2، ص260-265. وينظر: ابن حجر في الفتح: جـ13، ص37.

2 (?) جعفر شيخ إدريس من مقال له في مجلة المسلم المعاصر، عدد 13، ص8.

فالجماعة في العمل الإسـلامي تعد وسـيلة للـدعوة إلى الله عز وجل ولا يضير المسلم أن يختـار من هـذه الجماعات ما يراها أقرب إلى الحق والصواب.

وقد وقع الغلو في مفهـــــــــوم الجماعة في العصر الحــديث، حيث اعتقد بعض النــاس أن جمــاعتهم هي جماعة المســلمين، وجعلــوا كل حــديث ورد في النهي عن مفارقة الجماعة مــنزلاً على جمــاعتهم الخاصــة، ومن ذلك ما يراه الشيخ سعيد حوى رحمه الله من أن جماعته هي أقرب الجماعـات على الإطلاق لأن تكــون جماعة المسلمين.[1]

وممن وقع في الغلو في مفهـــوم الجماعة ما تدعيه جماعة شــكري مصـطفى من أنها جماعة المســلمين، بل يسمونها بهـذا الاسـم، ((ويعتقـدون أنها جماعة آخر الزمـان المجتبـاة قـدراً، المعلومة عند اللـه، والمكتوبة في اللوح المحفوظ)).[2]

ويقول أيضـاً: ((إذا كنا الجماعة المسـلمة، وإذا اتفق على أننا الجماعة المســلمة المعنية في آخر الزمــان، والـتي ما إن تظهر حـتى تظل ظـاهرة غالبة لا يضـرها من خالفها حــتى يقاتل آخرها الــدجال أو حــتى تقــوم الساعة)).[3]

كما أنهم يعتقـدون أن جمـاعتهم هي جماعة الحــق، يقول أحد قـادتهم[4]: ((نحن جماعة الحـق، ومن عـدانا فليس بمسلم)).

---

1 (?) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين: ص21.

2 (?) ينظر: التوسمات: ((مخطوط)) لشكري مصطفى.

3 (?) التوسمات: ص38.

4 (?) هو المكنى بأبي مصعب، ينظر: ذكرياتي مع جماعة المسلمين: ص74.

وقد أفضى بهم هـذا الغلو في مفهـوم الجماعة إلى قتل من تركـوا جمـاعتهم واعتبـارهم مرتـدين بهـذا الخروج.[1]

وفي حـوار دار بين عبد الـرحمن أبي الخـير، ورجل آخر من جماعة شكري مصطفى. قال الآخر:

((إنهم لم يصلـوا على الشـيخ صـالح سـرية وكـارم الأناضـولي وهما من جماعة أخـرى (تـدعى الفنية العسـكرية) لأنهما رفضا أن يبايعا الجماعـة، ونحن جماعة الحق، ومن عـدانا فليس بمسـلم، ولا يجـوز أن تتعـدد الجماعة المسـلمة، ولـذلك فـإن هـذه الجماعة تسمي الخارجين عنها مرتدين)).[2]

لقد أخطأ هؤلاء في إنزال الأحاديث التي تتحدث عن جماعة المسـلمين على جمـاعتهم الخاصـة، مخـالفين إجمـاع العلمـاء وإنه حـتى الخـروج على جماعة المسلمين على الشكل الذي أوردوه لا يعد كفراً.

ومن هنا تخبط الغلاة في بدعتهم هـذه، ووقعـوا في مخالفـات لا مـبرر لهـا، وحكمـوا على المسـلمين ما عداهم بالكفر.

7- مقاطعة الجمعة والجماعة في المسجد:

يـرى بعض أهل الغلو أن فريضة الجمعة لها شـروط إذا تـوافرت أقيمت الفريضـة، وإلا توقفنا عنها حـتى

---

1 (?) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله وأهـل الغلـو: ص314. وذكريـاتي مـع جماعـة المسـلمين: ص65 ومـا بعدها.

2 (?) ينظر: ذكرياتي مع جماعة المسلمين: عبد الرحمن أبو الخـير ص93-95، دار البحـوث العلميـة للنشـر والتوزيع، الكويت، 1400هـ.

تســــتوفى شـــــروطها، وشــــرطوا في إقامة الجمعة التمكين فلا جمعة في الاستضعاف.[1]

ولم يســـبقهم إلى ذلك عمليـــاً إلا الرافضـــة، حيث يرون إيقــاف إقامتها إلى ما بعد أن يمكن الله لهم في الأرض.

((وقد زعم بعضـــهم أن المســـاجد القائمة الآن في الأرض مساجد ضرار باستثناء أربعة مساجد فقط، هي المسجد الحـرام والمسـجد النبـوي والمسـجد الأقصى ومسـجد قبـاء، وعليه فلا يجـوز الصـلاة في غـير هـذه المساجد الأربعة)).[2]

ومن أصـــول أهل الســـنة والجماعة أنهم يصـــلون الجمع والأعيــــاد والجماعـــــات، لا يــــدعون الجمعة والجماعة، كما فعل أهل البــدع من الرافضة وغـيرهم.[3]

أما صـلاة الجمعـة: فقد شـددت الأحـاديث على ضرورة إقامتها، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وســـلم أنه قـــال: ((لينتهين أقـــوام عن ودعهم الجمعات، أو ليطبعن الله على قلـوبهم ثم ليكـونن من الغافلين)) وقال: ((من ترك ثلاث جمع تهاونـاً من غـير عــــذر طبع الله على قلبه)). والجمعة فريضة باتفـــاق الأئمة.[4]

---

1 (?) التكفير والهجرة وجهاً لوجه: رجب مدكور، ص119-200،مكتبة الدين القيم، القاهرة، 1405هـ.

2 (?) المرجع السابق نفسه.

3 (?) الفتاوى: لابن تيمية جـ3، ص280.

4 (?) الفتاوى لابن تيمية جـ3/ص280.

أما الإمامة في صـلاة الجمعـة، فقد اختلف الفقهـاء في وجـوب تقليـدها: ((فـذهب أبو حنيفة وأهل العـراق إلى أن صلاة الجمعة من الولايات الواجبات، وأن صلاة الجمعة لا تصح إلا بحضـور السـلطان أو من يسـتنيبه فيها))، ((وذهب الشافعي وفقهـاء الحجـاز.. أن حضـور السلطان ليس بشرط فيها، فإن أقامها المصلون على شرائطها، انعقدت وصحت)).[1]

أما صـلاة الجماعـة: فهي واجبة عند كثـير من العلمـاء، بل عند أكـثر السـلف، وهل هي شـرط في صحة الصلاة على قولين:

أقواهما كما في سـنن أبي داود عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال: ((من سـمع النـداء فلم يجب من غير عذر فلا صلاة له)).

وعند طائفة من العلماء أنها واجبة على الكفاية.

(وأحد الأقـوال) أنها سـنة مؤكـدة - ولا نـزاع بين العلماء أن من جعل صلاته وحده أفضل من صلاته في جماعة فإنه ضال مبتدع، مخالف لدين المسلمين.

وهذه البدع يذم أصحابها، ويعرف أن الله لا يتقبلهـا، وإن كـان قصـدهم العبـادة، كما أنه لا يقبل عبـادة الرهبان)).[2]

وقد يحتج أهل الغلو بـأن الصـلاة خلف مجهـول الحال، وفي دار يعتبرونها دار حرب وكفر لا تصح. بينما يرى العلماء أن ((الصلاة خلف المستور جـائزة باتفـاق علمـاء المسـلمين، ومن قـال إن الصـلاة محرمة أو

---

1 (?) الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، ص130، دار الكتب العلمية، بيروت.

2 (?) الفتاوى: لابن تيمية، جـ11، ص615-616.

باطلة خلف من لا يعـرف حاله فقد خـالف إجمـاع أهل السنة والجماعة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفـون فجـوره، كما صـلى عبد الله بن مسـعود وغـيره من الصـحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيـط، وكـان قد شـرب الخمر وصـلى صـلاة الصبح أربعاً، وحده عثمان بن عفان على ذلك)).[1]

هـذا وإن المبتدعة لا ينظـرون إلا من زاوية واحـدة، تتسم بضيق الأفق غالباً.

فالمســلم الداعية إلى اللــه، يبتغي الأجــر، وما عند اللــه، ويحافظ على العبــادات، كما دعت إليها أحكــام الشرع.

فلِمَ يضــيع مضــاعفة الحســنات بســبب تخلفه عن صـــلاة الجماعــــة؟ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال: ((صـلاة الجماعة أفضل من صـــلاة الفـــرد بســـبع وعشـــرين درجة)).[2]

وقد حثت الأحاديث النبوية على ملازمة الصلوات مع الجماعــة، ولم يــرخص في التخلف عنها إلا لصــاحب عـذر، كمـرض ونحـوه، وما رخص رسـول الله صـلى الله عليه وسلم للأعمى في تركهـا، وما كـان يتخلف عن صلاة الجماعة إلا منافق معلوم النفاق.

عن ابن مسـعود قـال: ((من سـره أن يلقى الله تعـالى غـداً مسـلماً فليحافظ على هـؤلاء الصـلوات))، ((ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفــاق،

---

1 (?) الفتاوى: لابن تيمية، جـ3، ص280-281.

2 (?) متفق عليه.

ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)).[1]

وعن أبي الـدرداء قـال: ((سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من ثلاثة في قرية ولا بـدو لا تقـام فيهم صـلاة، إلا قد اسـتحوذ عليهم الشـيطان، فعليكم بالجماعـة، فإنما يأكل الـذئب من الغنم القاصية)).[2]

وأخيراً: ألا يفرح العلمـانيون والحاقـدون، إذا أغلقت المسـاجد، وهجـرت صـلاة الجماعـة، وعطلت صـلاة المسلمين في المساجد؟!

المسجد مدرسة يتخرج منها المؤمنـون علمـاً وتقىً وجهاداً.

والمساجد منابر فيها تتاح الفرص، ليخـاطب الـدعاة جمهـور المسـلمين من فـوق منابرهـا، في الأعيـاد والجمع.

وهي الوسـيلة المثلى من أجل لقـاء المصـلين مع بعضهم، وحتى يتفقدوا أمورهم، وليتذاكروا ويتناصحوا.

إن تعطيل الجمعة والجماعة غلو منـاف للنصـوص الشرعية وأقوال العلماء.

وهو منـاف لـروح الـدعوة، وطبيعة هـذا الـدين.. مخالف لما سار عليه جمهور المسلمين عـبر تـاريخهم الطويل، كما أن هـذه البدعة لم تجد آذانـاً صـاغية من جمهور المسلمين حتى اليوم.

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) رواه أبو داود بإسناد حسن، والنسائي وإسناده جيد.

8- تحريم التعليم والدعوة إلى الأمية[1]:

هي دعـــوة شـــاذة لا ريب، وخاصة أننا نعلم مـــدى حرص الإسلام على طلب العلم قـال تعـالى: **{ وَقُـلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً }** وقال صـلى الله عليه وسـلم : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)).

فـــالعلوم الشـــرعية والعربية محمـــودة ضـــرورية، والعلـوم الـتي يحتاجها البشر في أمـور حيـاتهم ليست مذمومـــة، بل هي محمـــودة مطلـــوب من النـــاس أن يحققـــوا لأنفســـهم الكفاية فيهـــا، إنما تـــذم إذا أضـــرت بالناس وانحرفت عن مقاصدها.

وقد جاءت الشريعة وسيرة النبي صــلى الله عليه وسلم بما يدل على مشروعية تعلم العلوم البشــرية، من ذلك أن الرســول صــلى الله عليه وســلم أمر زيد بن ثــابت أن يتعلم كتــاب اليهــود ((حــتى كتب للنبي كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه)).[2]

واتخذ صـــلى الله عليه وســـلم الكتـــاب، منهم الخلفاء الراشدون، كما أمر بعض أســرى قــريش يــوم بـــدر أن يعلمـــوا أولاد الأنصـــار الكتابة فـــداء لهم من الأسر.[3]

إلا أن تحــريم تعلم العلــوم البشــرية، هو تحــريم لما أحله الله وهو غلو في الــدين، وقد وقع في هـــذا بعض المعاصرين.

---

1 (?) انظر تفصيلاً لهذا الموضوع: الحكم بغير ما أنـزل اللـه وأهـل الغلـو: محمـد سـرور زين العابـدين (ص 238-250) طبعة دار الأرقم 1407هـ، والغلـو في الـدين في حيـاة المسـلمين المعاصـرة: عبـد الـرحمن اللويحق ص444-457.

2 (?) ذكره البخاري معلقاً (9/64 الأحكام)، والحافظ في الفتح (13/161).

3 (?) الغلو في الدين: ص444-448 بإيجاز.

يقـول شـكري مصـطفى في سـياق عرضه لجماعة آخر الزمـان: ((إن جماعة الحق في آخر الزمـان خـير أمة سوف تخرج للنـاس مـرة ثانيـة، سـيمتها وعمومها أنها أمة أمية لأنها تـدخل في قـول النـبي صـلى الله عليه وسلم : ((.. نحن أمة أمية)).[1]

وفي كتـــاب الخلافة يقـــول: ((من كـــان يظن أن تكـاليف بنـاء المدنية الحديثة لا تتعـارض مع تكـاليف العبادة، وأنه كان يمكن لعلماء الغرب وبناة المدنية أن يكونوا عباداً لله في نفس الـوقت، من كـان يظن ذلك فليشهد على نفسه أولاً بقلة الحيـاء، وصـفاقة الوجـه، ثم يفعل بعد ذلك ما شاء)).[2]

ومما يجدر ذكره أن تحريم الدراسة لم يكن قاصـراً على كليـات الطب والهندسة واللغـات الأجنبيـة، وإنما كان يشمل الجامعات والمعاهد الإسلامية.. لأنها تـدخل ضمن إطـار مسـاجد الضـرار، فأسـاتذتها منـافقون بل ومرتدون لأنهم يؤمنون بـأن هنالك كفـراً لا يخـرج عن الملة)).[3]

ويعتمـدون على الحـديث: ((إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحســب، الشــهر هكــذا وهكــذا)) يعــني مــرة تســعة وعشرين ومرة ثلاثين.

ويســـرف في الخطأ من يعتقد أن رســـول الله دعا في هـذا الحـديث إلى تكـريس الأمية للأسباب التالية:[4]

---

1 (?) التوسمات: ص16.

2 (?) الخلافة: نقلاً عن الحكم بغير ما أنزل الله لمحمد سرور زين العابدين ص237.

3 (?) الحكم بغير ما أنزل الله: ص238.

4 (?) الحكم بغير ما أنزل الله: ص241-242 بإيجاز.

1- بين صلى الله عليه وسلم أننا لا نحتاج في أمر الهلال إلى كتاب ولا حساب، كما كانت تفعل الأمم السابقة، فالشهر يكون تارة تسعة وعشرين، وتارة ثلاثين، والفارق بينهما هي الرؤية فقط، وما تزال الرؤية أفضل من الاعتماد على الكتاب والحساب.

2- وصف صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الحالة التي كان عليها العرب الذين بعثه الله فيهم، وليس فيه ما يدعو إلى تحريم الكتابة والقراءة.

قال ابن حجر العسقلاني: ((المراد - أي الأميون - أهل الإسلام الذين بحضرته عند تلك المقالة، وهو محمول على أكثرهم أو المراد نفسه صلى الله عليه وسلم)).[1]

ولم يكن الصحابة جميعاً أميين، فلقد كان بينهم كتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد ومعاوية.. وكانوا رضي الله عنهم يكتبون الوحي والعهود.. وقد أمر زيد بن ثابت - كما علمنا - أن يتعلم لغة يهود فتعلمها في خمسة عشر يوماً.. وفي هذا دليل على ضرورة تعلم اللغات الأجنبية عند الحاجة إلى ذلك.

ولم يعد المسلمون أميين بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقد فقه أصحابه في دين الله، وعلمهم الكتاب والحكمة، فكانوا خير أمة أخرجت للناس..

ولو دعت هذه الجماعة - الجماعة الإسلامية - إلى إعادة النظر في مناهج التعليم التي وضع أسسها

---

1 (?) فتح الباري: 28/5 ط الحلبي.

أعـداء الإسـلام، أو لو قـالوا: إن القـائمين على معظم الجامعـات في عالمنا الإسـلامي، حرصـوا على إبعـاد علـوم الشـريعة الإسـلامية من المنـاهج المقـررة في الكليات العلمية، ودراسة اللغات الأجنبية، لقلنا إن هـذا الكلام لاشك فيه.

أما أن يقولوا بحرمة الدراسة في مختلف الجامعات والمعاهد العلميـة، وأن الدارسـين فيها كفـرة بـاعوا آخرتهم بدنياهم، فهذا مناف للعقـول، وإنه لمن المؤكد أن أقباط مصر سيرقصون طرباً لهذه الخرافـات، وأن أعـداء الإسـلام سـوف يجـدون في انتشـار مثل هـذه الأفكار آمالاً عريضة طالما عملوا لها خلال قرون، وأية خدمة أكـبر من إبعـاد شـباب الإسـلام عن المـدارس والجامعات ونشر روح التخلف والأمية بينهم؟[1]

---

[1] (?) الحكم بغير ما أنزل الله: ص141، ص250.

المبحث الخامس
كيف تعالج هذه الظاهرة؟!

إن علاج هـذه المشـكلة ليست بـالأمر السـهل، وإن تفاديها يكمن وراء تفادي الأسـباب الـتي أدت إلى هـذا الغلو.

إنها لمهمة صـعبة ومشـتركة تقع على عـاتق جميع فئات المجتمع.

((ولابد أن نفرق بين نوعين من الغلو:

أ- الغلو الذي هو فعلاً غلو في الدين، وتجـاوز للحـد، كغلو بعض الجماعات الموجـودة الآن في بعض أقطـار المسلمين.

ب- ما تسـميه أجهـزة الإعلام - غربيها وشـرقيها - غلواً أو تطرفـاً، أو أصـولية، وهو في الواقع دعـوة إلى الله وإلى دينه، وتحكيم شـريعة اللـه، والعمل بالكتـاب والسنة)).[1]

نتحدث عن النوع الأول، ونصـرف النظر عن التهـويش الإعلامي. فمن أهم أسـباب تفـادي هذه الظاهرة:

---

1 (?) مجلة البيان: العدد (67)، ص20.

1- الاعتصام بالكتاب والسنة، ونشر عقيدة السلف:

أمر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالاعتصــام بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد حــذر من الفرقة واتبـاع الأهـواء، وكـذا فعل رسـوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى: **{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعــاً وَلا تَفَرَّقُــوا وَاذْكُــرُوا نِعْمَــةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْـدَاءً فَـأَلَّفَ بَيْنَ قُلُـوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَاناً }** [آل عمران:103].

وقـال جل من قائـل: **{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُـوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَـيْءٍ }** [الأنعـام: 159].

وقـال صـلى الله عليه وسـلم : ((تـركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي)).[1]

وقد بينت الأحاديث كـذلك حتمية افـتراق هـذه الأمة إلى فــرق، وسيصــيبها ما أصــاب بــني إســرائيل من التمــزق والتحــزب والتفــرق، وبين صــلى الله عليه وســلم ، أن العاصم من هــذا كله هو التمسك بكتــاب الله وســنة رســوله صــلى الله عليه وســلم ، وبما أجمع عليه سلف هذه الأمة.

قال صلى الله عليه وسلم : ((لا تـزال طائفة من أمــتي قائمة على أمر الله لا يضــرهم من خــذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)).[2]

---

1 (?) رواه أبو داود في المناسك.. وهو صحيح ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 1761.

2 (?) رواه البخاري في العلم: رقم (1711) باب من يرد الله به خيراً.

فمن أراد النجـــــاة والفـــــوز، فعليه أن يعتصم بما اعتصم به السـلف الصـالح من التمسك بكتـاب الله وسنة رسوله.

ومن تأمل في مظـاهر الغلو الموجـودة في العصر الحديث، يتبين له أن تلك المظـاهر خارجة عن مـذهب أهل السنة والجماعة، وعن المعتقد الشرعي الصحيح، وعليه فـإن نشر العقيـدة الصـحيحة وتدريسـها في المدارس والجامعات والمساجد، وتدارس أهل الدعوة لها ووضعها في منـاهجهم، سـيحقق للمجتمع المسـلم الحصانة من الغلو بإذنه تعالى.[1]

2- نشر العلم الشرعي:

يتميز دعـاة الغلو بقصـور بـاعهم في مجـال العلـوم الشرعية، وينصب اهتمـامهم على الـدعوة، وذخـيرتهم فيها الحماس والغيرة، دون علم شرعي.

لذا يجب نشر العلوم الشرعية، ومعرفة الدليل، بين الشـباب، وأن تعقد لهم دورات خاصة لهـذا الغـرض، يشرف عليها علماء أكفاء، ذوو علم وإخلاص.[2]

ومن أوجب الواجبـات على المسـلم بعد أن يشـهد شهادة الحق، هو الاشتغال بالعلم الشـرعي لمعرفة ما أوجبه الله عليه من أمـور دينية فما لا يتم الـواجب إلا به فهو واجب. ((وإن العلماء ورثة الأنبياء... فمن سلك طريقـاً يطلب به علمـاً سـهل الله له طريقـاً إلى الجنة)).

---

1 (?) انظر: ظاهرة التكفير: الأمين محمد أحمد، من ص189-ص194.

2 (?) الغلو في الدين: اللويحق، ص532.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)).[1]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: ((طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)).[2]

ولابد من ضبط مناهج التعليم، وربطها بدين هذه الأمة وتاريخها حاضرها ومستقبلها، حتى يتخرج جيل مؤمن يعرف دينه حقاً.

وإن تكثيف المواد الشرعية والإسلامية، هو الذي ينتج العلم الشرعي الصحيح الواقي من الانحراف ولا ريب.[3]

3- إحياء دور العلماء:

يعتبر غياب دور العلماء عن الساحة - في كثير من البلاد الإسلامية غياباً كلياً أو نسبياً، من ضمن أسباب الغلو، فلابد إذن من إعادة دورهم، ويعتمد ذلك على:

* أن ينبري العلماء لهذا الدور بالإخلاص لله، والقيام بواجبهم تجاه ولاة الأمر بالمناصحة، وتجاه عموم المجتمع بالتربية والتوجيه، وتجاه فئة الشباب بالتربية والعناية. وأن يبتعد العلماء عن كل ما يخدش مقام العلماء وكرامتهم، من الحرص على الدنيا والتكالب عليها.

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب العلم.

2 (?) شرح السنة: للإمام البغوي 1/279.

3 (?) مجلة البيان: عدد 67، ص23.

* وأن يأخذ ولاة الأمر برأي العلماء، ويستشـيروهم، وأن يوكلوا إليهم مهمة معالجة مظاهر الانحراف.

* وأن يأخذ المجتمع (الشباب خاصة) بـرأي العلمـاء وبفتاواهم الشرعية.

وإذا تحقق دور العلمـاء في المجتمـع، فـإن هـذا المجتمع سوف يكتسب حصـانة من مظـاهر الانحـراف والغلو.[1]

* ولابد من إعـادة الثقة بين العلمـاء والحكـام والشـباب، على أسس سـليمة من وعي لواقع الأمـة، وتمسك بشريعتها السماوية.

وإن أية محاولة لمعالجة الغلو لابد أن تنطلق من أرضية صحيحة، وهي الدين الوسط، وأن لا نعالج بعض مظاهر الغلو كالعنف، ثم نهمل الجذور الحقيقية للغلو.

هذا وإن تمكين العلماء الربانيين من القيام بـواجبهم وفتح السبل لكلمتهم، والسـماح بمرورها إعلاميـاً، وأن يشـكل العـالم الشـرعي مرجعية حقيقية للجميع مما يساعد في القضاء على ظاهرة الغلو.

((والعلمـاء الـذين - أعـنيهم - هم العلمـاء الربـانيون الجريئون في قول الحـق، المحبـون لخـير هـذه الأمـة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والمحاسبون للولاة، الناصحون لهم بالحق.. لا يخشون أحـداً إلا الله سـبحانه، ولا يسـكتون عن حق واجب إذاعتـه، ولا يكتمون حكماً شرعياً في قضية، سـواء أكـانت متعلقة بشؤون الأمة أم بعلاقات الدولة.

---

1 (?) انظر: الغلو في الدين: اللويحق، ص532-ص533.

إن علماء المسلمين هم الذين كانوا يقودون حملات الجهاد، ويرفعون رايات الإصلاح، ويدافعون عن حقوق أمتهم، فلم ينزووا في مساجدهم، أو منازلهم، أو يقتصروا على تدريس طلابهم، وإفتاء الناس في قضاياهم الخاصة من طلاق ووضوء وصلاة، وبيع وشراء وغيرها، مع أهمية ذلك كله، بل كانوا يعلمون أن مسؤوليتهم أكبر من ذلك بكثير..)).[1]

4- تحكيم شرع الله ونبذ القوانين الوضعية:

إن إبعاد الإسلام عن الساحة - في معظم بلاد المسلمين - وحصره في جانب العبادات والأحوال الشخصية، والخضوع إلى شرع الكفار والملحدين، من أهم أسباب فساد العقائد والتصورات، وظهور كثير من البدع والمخالفات، كبدعة التكفير وغيرها.

إن الغلو المعاصر كان بسبب تحكيم القوانين الوضعية، وما عليه المسلمون اليوم من ذل وتمزق لا يمكن أن يزول إلا بالرجوع إلى شرع الله، وقد جاء في الأثر عن الإمام مالك رحمه الله قوله: ((لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها))، وهو الإسلام.

هذا وإن إعادة الأمة الإسلامية إلى رشدها، وإعادة الإسلام إلى الساحة في معظم ديار المسلمين، يحتاج إلى صدق وإخلاص وعمل متواصل، إلى صبر وعلم وفقه، لأن ذلك لا يتم إلا بتحكيم شرع الله في الشؤون كلها، ولابد للدعاة والعلماء والجماعات الإسلامية أن تركز على:

---

1 (?) مجلة البيان: العدد (79) عام 1994م، من مقال: العلماء ومسؤولية البلاغ، عبد اللطيف الوابل.

- العمل لتصـــحيح عقائد المســـلمين وتصـــوراتهم، وعلى مفهوم وحقيقة لا إله إلا الله.

- والعمل على إعـداد قـوة لتمكين هـذا الـدين في الأرض، وإزالة قوى الشر التي تحول دون ذلك.[1]

لقد كـانت مشـكلة الغلو المعاصر رد فعل لأوضـاع خاطئة - كالحكم بغير ما أنـزل الله - فهـؤلاء يطـالبون بتصحيح الأوضاع الخاطئة.

هـذا وإن المطـالب المشـروعة الـتي يطـالبون بهـا، يشـترك معهم فيها كثـير من المنصـفين لأمتهم، بغض النظر عن أسـلوب الغلاة الخـاطئ في تصـحيح هـذه الأوضاع.[2]

5- محاورة أهل الغلو:

ينبغي إقامة الحـــوار البنـــاء مع الغلاة، على أسس شرعية، فقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسـلوب المحـاورة مع الغلاة، ودحض شـبهاتهم إذ رد على ذي الخويصـرة بقولـه: ((ويحك من يعـدل إن لم أعدل)) كما حاور علي الخـوارج، وحـاورهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وهو أسلوب ناجح لأن نـور الحق ساطع، ولكن لابد من **ضوابط لهذا الحوار**:

أ- أن يكون مبنياً على الثقة، فيكون العالم المناقش والمحاور محل ثقة المتهمين بالغلو.

ب- أن يعامل المتهمون بالغلو على أنهم متهمون، لا أنهم مدانون يقفون في ساحة محكمة.

---

1 (?) انظر: ظاهرة التكفير: الأمين الحاج محمد أحمد، ص205 وما بعدها.

2 (?) الغلو في الدين: عبد الرحمن اللويحق، ص536.

جـ- أن يتوفر للطرفين حرية الحــوار، فلا يملى على العالم جوانب الحوار، ولا يكون حــوار المتهمين بــالغلو في ظل القوة والعنف.

د- أن يكــون القصد من الحــوار البحث عن الحــق، وليس جمع أدلة لإدانة المتهمين بالغلو.[1]

كما ينبغي البعد عن العنف في معالجة الغلـــو، لأن ذلك لم يُجْدِ حتى الآن، فـالعنف لا ينتج إلا العنـف، وإذا اســتنفدت الوســائل كلها في العلاج، فلابد أن يتــولى المحاكمة العلماء والقضاة الشرعيون.

((فالضــــغط والإرهــــاب والتعسف لا يزيد الغلو إلا مضـاء وقـوة وإصـراراً، وهـذا الضـغط يعتـبر من أكـبر المسوغات لأولئك الغلاة.

وإننا نعلم أن في إســرائيل مثلاً أحزابــاً أصـــولية، متطرفة متشــددة، فمـاذا فعلت إسـرائيل تجـاه هـذه الأحزاب؟!

لقد شـــاركت في الحكم رغم خلافها مع الأحـــزاب الحاكمــة. إن الــدعوات لا تحــارب بــالقهر والعسف والملاحقة)).[2] إذا أردنا حلاً جاداً لقضـية التطـرف وما يتبعها من عنف.

6- البعد عن الازدواجية والتناقض:

إن ذلك ضــروري لمن يريد معالجة الغلــو، وقد وقع فيها كثـير من المعاصـرين، فبينما ترتفع الأصـوات في بعض المجلات والصــحف وتفتح الملفــات الصــحفية (كملف النقـاب) باعتبـاره مظهـراً من مظـاهر الغلو -

---

1 (?) الغلو في الدين: عبد الرحمن اللويحق، ص533-534.

2 (?) مجلة البيان: العدد (67)، ص21-22.

كما يزعمون - لا نرى من يستنكر ظاهرة العري في الشوارع، وعلى الشواطئ وظواهر الانحلال في المجتمع المسلم بحجة الحرية الشخصية؟)).[1]

ومما يؤسف له أن الإعلام العربي عندما يتحدث عن الدعوة الإسلامية باسم التطرف والأصولية، يتخلى عن الموضوعية ويتناقض وينحاز، فلا يعرض إلا رأياً واحداً، ولا يعرض إلا جانباً واحداً من الحقيقة.[2]

وهذه الازدواجية أدت إلى إضرام النار في قلوب المعتدلين فضلاً عن الغلاة، فلو كثر المنصفون والناهون عن المنكرات لهان الأمر.

((ولو أن الإنسان وقف موقفاً إيجابياً من المتنكرين للدين، والمتحللين من أحكامه، وغير ما يراه من المنكر بيده أو بلسانه، ما وجدت عندنا ظاهرة التطرف في الدين، ولو وجدت - لسبب أو لآخر - لكانت أخف وطأة مما ظهرت به)).[3]

فالواجب على المسلمين البعد عن الخلط بين الصحوة والغلو، وأن يحذروا من أساليب الأعداء التي تبرر ضرب الصحوة الإسلامية تحت ستار ضرب الغلو، فإن الغلو في المجتمعات المسلمة المعاصرة قليل الحجم، ومن الظلم أن يسحب الحكم على الكثرة التي تمثل تيار الاعتدال، ليشمل معظم تيار الصحوة الإسلامية في العصر الحديث.

---

1 (?) الغلو في الدين: اللويحق، ص537-538.

2 (?) مجلة البيان: العدد (67)، ص23.

3 (?) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: د. يوسف القرضاوي، ص140.

الفصل الثاني
الغلو والتطرف عند غير المسلمين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دور الأعداء في تضخيم ظاهرة الغلو عند المسلمين ويتمثل في:

1- دور الدوائر الغربية.

2- دور إسرائيل.

3- دور العلمانيين.

المبحث الثاني: غلو الأعداء وتطرفهم عبر التاريخ.

1- من هم أهل التطرف والإرهاب في هذا القرن؟!

2- صور من غلو الأعداء وتطرفهم.

أ- مأساة المسلمين في الأندلس.

ب- الحروب الصليبية في القديم والحديث.

جـ- محنة المسلمين في البوسنة والهرسك.

المبحث الأول
دور الأعداء في تضخيم ظاهرة الغلو عند المسلمين

1- دور الدوائر الغربية:

لقد ساهمت صحف الغرب في تضخيم هذه الظاهرة، حتى أخافت العالم من خطر الزحف الأصولي عليه، وها هي وسائل إعلامهم في أوروبا وأمريكا ما تزال تدق نواقيس الخطر لتخنق الصحوة الإسلامية، وتحارب عودة المسلمين إلى دينهم الحنيف.

((لقد استخدم الغرب مصطلح (الأصولية) للنيل من الصحوة الإسلامية عموماً، وأهل الغلو خاصة)).[1]

يقول أحد الباحثين الغربيين: ((إن كلمة الأصولية تعتبر غير محببة للنفس.. فهي عبارة، تقترن عادة بالعداء والازدراء وتدل على ضيق الأفق والتعصب الأعمى، وتدل على النزعة المناهضة للتقدم، والنزعة الطائفية كذلك)).[2]

لقد نقل الغربيون هذا المصطلح، ووصموا به طائفة من المسلمين اعتباراً من عام (1975م) إذ شهدت هذه الفترة تنامي الصحوة الإسلامية، وظهور مظاهر التدين، كالحجاب واللحية والدعوة إلى تطبيق

1 (?) انظر في هذا الموضوع: الغلو في الدين: اللويحق، ص172 إلى ص186.

2 (?) معجم مقارنة الأديان: ص292 نقلاً عن المرجع السابق، ص172.

الشريعة، مما جعل الغرب يعيش في حالة من القلـق، إلى درجة دفعت بعض البـاحثين إلى وصـفها بأنها حالة مرضية.[1]

ويؤكد بعض الكتاب أن اصـطلاح ((التطـرف)) الـذي يقابل مصطلح ((الأصولية)) استعمل في إسرائيل، في الصحف والإذاعة، ووصم المتمسكين بالإسـلام جميعـاً بالتطرف، مما يشعر بأن اليهـود هم أول من اسـتخدم هذا المصطلح.

وعلى أية حـال: فسـواء أكـان السـابقون لنشر هـذا المصطلح هم اليهود أم ((ظاهرة الأصولية الإسـلامية)) متـــأثراً في تســـميته هـــذه بالخلفية الموجـــودة عند الغربيين عن ظاهرة الأصولية النصرانية.[2]

ويتلخص مفهـــــوم الغلو - أو ما يســــمى بالأصولية الإسلامية - عندهم فيما يأتي:

1- إن الغربـــيين يهتمـــون بالظـــاهرة الإســـلامية باعتبارها ناحية سياسية أكـثر منها ظـاهرة دينية ويـدل على ذلك:

* أن الجـــانب السياسي للغلو هو الأكـــثر اســـتئثاراً بالبحث في موضوع الغلو.

2- أن تطبيق الشريعة والـدعوة إليهـا، يعد من أبـرز ملامح الغلو عنــدهم، ســواء أكــان ذلك التطــبيق في الجـانب السـلوكي للأفـراد أم في الجـانب الاجتمـاعي للأمة كلها.

---

1 (?) الإسلام والقوى الدولية: ص7، د. حامد ربيع، دار الموقف العربي 1981م.

2 (?) الغلو في الدين: باختصار وتصرف، ص175، 182.

3- أن الدعوة إلى عدم فصل الدين عن الحياة تعتبر لديهم من الغلو؟!

4- أن الأخذ الحرفي بأوامر القرآن والالتزام بها من الغلو.

5- أن من أظهر أعمال الغلاة مزاولة أعمال العنف. والغربيـون يسـوون في ذلك بين: الجهـاد ضد الكفـار، والعنف والإرهاب غير المشروع.[1]

ويلاحظ هنا مـــــــدى التحامل أو التجاهل لحقيقة الإسلام الذي لا يفصل بين الدين والسياسة في تاريخه كله.

((وحقيق بــالغربيين حينما يســتنكرون ما يســمونه ((إدخـال الـدين في السياسة)) ألا يقعـوا في التنـاقض بإغفــالهم لظــاهرة مشــابهة في الشــعوب الأوروبية المتقدمـة، حيث أثبتت الدراسـات الفكرية والميدانيـة، ازديــاد تــأثر تلك الشــعوب بالعامل الــديني عند وضع قراراتها السياسية المصيرية، بالرغم من أن النصرانية عقيدة روحانية لا تتـدخل في التنظيم السياسي لحيـاة الفرد والجماعـة، بل هنـاك أحـزاب عديـدة في الـدول الأوروبية تنتسب إلى المســـيحية))[2] ولها توجهـــات نصرانية واضحة في برامجها.

ومن الخطأ الفــاحش القــول ((بــأن تطــبيق الشريعة أو الدعوة إلى ذلك من الغلو، إذ أن الشـريعة الإسلامية جاءت بما فيه خير البشرية وإسعادها، وليس بين الإســلام والنصــرانية المحرفة شــبه، إذ لو طبقت

---

[1] (?) المرجع السابق: ص182.

[2] (?) آراء في الصحوة الإسلامية: د. محمد محمود ربيع ص21 ط عالم الكتب، القاهرة، 1405هـ.

النصرانية المحرفة في الحياة الإنسانية لكـان في ذلك إعناتاً بالناس، وما كانت نشأة العلمانية في الغـرب إلا هروباً من جحيم الحيـاة النصـرانية الـتي أراد البـابوات ورجال الكنيسة تطبيقها)).[1]

فالخلفية التاريخية الموجــودة في أذهــان الغربــيين تجعلهم إذا ســمعوا الأصــولية، تمتلئ أذهــانهم رعبــاً ونفرة بسبب المعاملات الهمجية التي اقترفها إخوانهم النصارى باسم الدين، حيث حوربت الإنسـانية والتقـدم العلمي، فاختيـــار هـــذا المصـــطلح وإســـقاطه على المسـلمين أو على طائفة منهم لا يخلو من غـرض ولا مبرر له أصلاً.[2]

تقـــول المستشـــرقة الإيطالية ((إيـــزابيلا كـــاميرا دافيلتو))[3]: ((إن قضــية الأصــولية الإســلامية واجهت تضـخيماً مبالغـاً فيه من قبل أجهـزة الإعلام الغـربي، فالغرب كـان وما يـزال بحاجة إلى اخـتراع عـدو حـتى يضمن لنفسه خطاً دفاعياً... فلعقـود كـان هـذا العـدو متمثلاً في الشيوعية الـتي يتبناها المعسـكر الشـرقي، وعندما انهـارت الشـيوعية بـرز لـدى الغـرب التسـاؤل التالي: من سيكون عدونا المقبل؟! وإذا به يسحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صـورة العـدو التـاريخي القديم المتمثل في العالم الإسلامي. لكن الغرب كــان أيضاً بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصـداقية هـذا الاكتشاف - الجديد القديم - لذا كان طبيعياً أن يحــاول

---

[1] (?) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب ص9-70.

[2] (?) انظر: الغلو في الدين: اللويحق، ص190.

[3] (?) عن مجلة البيان العدد (74) شوال / 1414هـ، ص74-78، من مقال بعنوان: حين يسـتنطق الشـهود، الدكتور عبد الله عمر سلطان.

ترسـيخ ملامح ((البعبع)) من خلال تقـديم الأصـولية الإسلامية في صورة العدو العـنيف، واسـتخدم لتقـديم هـذه الصـورة كل ما يمكن أن يمت إلى العـالم الإسلامي بصلة. ثم تابعت حديثها قائلة: ((فنحن وعلى الـرغم من وجـود مظـاهر أصـولية كثـيرة في الديانة المسـيحية أو الـديانات الأخـرى في الغـرب، لا نسـمع حديثاً عن عنف هذه المظاهر الأصولية، في حين نـرى هذا المنطق يطبق على العالم العـربي.. إن الغـرب لا يرغب في تقديم صـورة حقيقية في وسـائل إعلاميـة.. يكفي أن تـرى نشـرات الأخبـار عنـدما تتحـدث عن الظـاهرة الأصـولية ومظاهرها العنيفـة، تصـور النـاس وهم يؤدون شعائر دينيـة، أو يصـلون في المسـاجد ثم تربط بين هذه الصـور وظـاهرة العنف الإسـلامي)) ثم تقـول: ((تـرى لمـاذا لم تفكر محطـات التلفزيـون في الحـديث عن الظـاهرة الأصـولية من خلال الربط بينها وبين مشهد آلاف الذين يؤمون ساحة القديس بطرس في الفاتيكان كل يوم أحد للاسـتماع إلى قـداس الأحد الـذي يقيمه البابا ((يوحنا بـولس الثـاني))؟! وأولئك الـذين يقفـون أمـام حائط المبكى ((الـبراق)) في القدس؟!

ثم من أجاز لهؤلاء الصـحفيين أن يطلقـوا على بشر عاديين يؤدون شعائرهم الدينية صفة الأصولية))؟!

وجاء في المقال السابق أيضاً: ((وبالتعريف الغـربي للأصولية صار من يتحدث اللغة العربية أو يطالب برفع الأذان، أو يعتقد بعروبة الجزائر هو أصولي)).

والآن علينا أن نستمع إلى مفكر غربي آخر يصور تحامل الغرب على الصحوة الإسلامية إذ يقول:

((الغرب ينظر للمسلمين باحتقار حتى ولو كانوا عملاءه، فما بالك بالأصوليين؟! فهذه الحركات الأصولية تمثل مصدر إزعاج للغرب، وهو غير قادر ولا راغب في مناقشة طموحاته)).[1]

إن الحقد أعمى الغربيين عن قول الحقيقة، وقلائل هم المنصفون من أمثال من سبق. وإلا فلماذا لا تكتب صحفهم عن الغلو بين المذاهب النصرانية والحروب بين أهلها؟ وها هي الحرب الدائرة بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندة الشمالية من النماذج الحية، وها هو حقد الأرثوذكس من الصرب وإرهابهم خير دليل على ما نقول.

وقد أسفرت الدراسات التي قامت بها بعض المؤسسات الأمريكية عن وجود (370) منظمة إرهابية في العالم، وقد وقع (43%) من عمليات الإرهاب هذه في دول أوروبا الغربية، و22% منها في أمريكا اللاتينية، و6% منها في الولايات المتحدة، وفي الشرق الأوسط 15% فلماذا لا يشار إلى ذلك في صحفهم ومجلاتهم؟!

2- دور إسرائيل:

لإسرائيل دور كبير في تزوير الحقائق وتضخيم ما يسمى بقضية التطرف الإسلامي، ذلك لأنها تعتبر

---

[1] (?) سلفاتوري بوتو: من مقال البيان السابق، ص78.

الصـــحوة الإســـلامية والالتفـــاف حـــول الطروحـــات الإسلامية من التطرف.[1]

((على أن 40% من أهــالي فلســطين في الأراضي المحتلة باتوا يؤيدون (حماس) ويرون ضرورة استبدال إسرائيل بحكم إسلامي)).[2]

كل ذلك جعل إسرائيل تضع التيارات الإسلامية على قائمة أعدائها محاولة منها لضرب هذا التيار.

وقد بـدأت تتـاجر لتسـويق (الخطر الأصـولي) - في العام الماضي - عندما ظل الرئيس الإسرائيلي الأسبق ((حاييم هرتسوغ)) يكرر ويشير إلى هذا الخطر القادم، وإلى ضـرورة تصـدي المجتمع الـدولي لـه. وذلك خلال جولته الأخيرة في دول أوروبا.

ففي زيارته إلى بريطانيا ((حمل حملة شـــعواء على الاتجـاه الإسـلامي المتعصب معتـبراً أنه يشـكل أكـبر خطر على العالم الحر)).[3]

وقـال في بولنـدا: ((إن الأصـولية الإسـلامية وتجـدد العداء للسامية لا يزالان يهددان الشعب اليهـودي، وإن هـذا المـرض لا يشـكل خطـراً على الشـعب اليهـودي فقط، ولكن على الإنسانية عموماً)).[4]

ثم صــرح كــذلك في بولنــدا قــائلاً: ((إن الحركـات الإسـلامية المتطرفة لا تهـدد الشـرق الأوسط وحـده، وإنما تنتشر بسرعة في العـالم كلـه، وأضـاف أن هـذه

---

1 (?) مجلة الإيكونومست: 19/12/1992م.

2 (?) جريدة الحياة: 26/2/1993م.

3 (?) وكالة رويتر: 28/5/1992م.

4 (?) وكالات الأنباء: 4/3/1993م.

الظاهرة التي يتجاهلها الغرب حتى الآن تشكل الخطر الرئيسي الذي يواجه العالم حالياً، وقال: إن حركة ((حماس)) تعتبر القوة الناسفة الرئيسية لعملية السلام في الشرق الأوسط، وأن النزاع العربي الإسرائيلي مهما كثرت تعقيداته، فإنه ليس هذه القوة الناسفة)).[1]

هكذا يدق رئيس دولة إسرائيل ناقوس الخطر من الإرهاب والأصولية، من شعب شرد وطرد من وطنه، وكأن دولته ما قامت على إرهاب ونزعة دينية حاقدة، وكأنه لا يعلم مجازر صبرا وشاتيلا وتل الزعتر للسكان الآمنين في مخيماتهم، أكان من السلام المفتعل أن يقتل عشرات المصلين في المسجد الإبراهيمي في نصف رمضان وهم سجود صائمون؟!

وبنفس الطريقة قام رئيس الوزراء الإسرائيلي (إسحاق رابين) بجولة لأوروبا وأمريكا، وحذر في العديد من خطاباته من خطر المد الأصولي في العالم، ودعا إلى ضرورة الوقوف أمام هذا المد. فقد قال في أحد تصريحاته: ((إن الخطر الحقيقي الذي يواجه إسرائيل اليوم هو خطر الأصولية، وإن إبعاد نشطاء حماس سيؤدي دون شك إلى تطوير حوار السلام، وإلى تقوية الفلسطينيين المعتدلين)).[2]

وقال خلال زيارته لبريطانيا: ((إن الإسلام الأصولي ينتشر خارج منطقة الشرق الأوسط، وأن على العالم تقليد إسرائيل في حربها ضد هذا التيار)).[3]

---

1 (?) جريدة الحياة: 25/3/1993م.

2 (?) وكالات الأنباء: 26/3/1993م.

3 (?) الحياة: 28/3/1993م.

وقال في تصريح آخر: ((إن العـالم الغـربي والعـالم أجمع سيدفع الثمن باهظاً إذا لم يتم إيقاف السـرطان الإسلامي)).[1]

وتعـدت هـذه الحملة الظالمة رجـال السياسـة، إلى رجال الفكر يقـول بـاري روبين الأسـتاذ في جامعة تل أبيب:

((إن إنهـاء الحـرب البـاردة، وحـرب الخليج لم يقللا من خطر الأصولية الإسـلامية، وإن على إدارة كلينتـون أن تتعلم بســـرعة أن الأصـــولية الإســـلامية الثورية والإرهاب الـدولي تجعلان قـوى الراديكالية الـتي تهـدد إسرائيل والمعتدلين العرب والولايـات المتحـدة بدرجة متساوية)).[2]

إن هذه التصريحات تمثل تياراً عاماً وتوجهاً واضـحاً لدى الحكومة الإسرائيلية نحو سياسة معينة تهدف إلى أهداف خبيثـة. منها اسـتعداء العـالم بأسـره على المد الإسلامي، ومنها إظهار إسرائيل بأنها تلعب دوراً بـارزاً ومهماً في القضاء عليه.

وقد أرادت من انتهــاء الحــرب البــاردة أن تكــون الشــرطي بالوكالة في المنطقــة، لتضــمن اســتمرار الدعم الأمريكي، والغربي لها، مستغلة شـعور الخـوف المتأصل في نفوس الشعوب الغربية من الإسلام.

وهذا ما أشار إليه الكاتب اليهودي ((ســول موديل)) بقوله: ((إن هناك خطـراً جديـداً بـدأ يحل محل الخطر الشـيوعي، هـذا الخطر هو الأصـولية الإسـلامية، وربما

---

1 (?) مجلة النيوزويك: 20/1/1993م.

2 (?) صحيفة الواشنطن بوست: 20/1/1993م.

يكون أمراً محبذاً أن تقوم إسرائيل مرة أخرى بالعمل كدفاع متقدم للغرب، ولكن في هذه المـرة ضد التيـار الضخم المتصاعد للإسلام القاتل..

إن هذا الشكل من الأصولية الإسلامية يكتسح اليـوم الشرق الأوسط مهدداً استقرار نظم عربية كثيرة مثل مصر والأردن والسـودان وليبيا والجزائر وتـونس حـتى أفغانستان وباكسـتان، ومحرضـاً على العنف الإرهـابي ضد إسرائيل، بل إن هذه الأصولية قد بدأت تضع عينها على ضحاياها في العالم المسيحي الغربي.(1)

في ظل هذا التضخيم الإعلامي المغلف بالتحذير من خطر الأصــولية الإســلامية، تحــول الأمر إلى عنــوان يــوحي في صــدر صــفحات الصــحف الغربية وأمريكا خاصة لإقناع الإدارة الأمريكية بتكليف إسرائيل بالقيـام بدور رئيسي في محاربة هذه الموجـة، والتصـدي لهـا، هذا هو الهدف الاول.

والهـدف الثـاني من هـذه الحملة هو إشـعار الـدول العربية بأنها تعيش هي وإسرائيل أزمة واحـدة، ولـذلك فلابد من توحيد الجهـود الإســرائيلية العربية للوقــوف أمام التيار الأصولي.

تشـــعرهم بـــأن الصـــحوة الإســـلامية هي الخطر الحقيقي على الأنظمة العربيـــة.. وعليه فعلى الجميع أن يقفوا صفاً واحداً في وجه هذا التيار، ولذا فلابد من أن تعجل الـــــدول العربية كلها لتطـــــبيع علاقاتها مع إسرائيل.

---

[1] (?) جريدة الحياة: 24/3/1993م.

وفي هذا الصدد يقـول إسـحاق نـافون: ((إن الـدول العربية تواجه نفس الخطر الـــذي تواجهه إســــرائيل، وإنها تتعامل معه بنفس القوة)).[1]

3- دور العلمانيين:

إن العلمانيين هم أكـثر النـاس اسـتخداماً لمصـطلح التطــرف ضد الصــحوة الإســلامية، دون أن يلــتزموا بالموضوعية.

وكثيراً ما يوظف هذا المصطلح للتنفـير ممن يلـتزم بالسـنة في صـلاته ولباسـه، وممن يتجنب المحرمـات، ومن المرأة المسلمة إذا أصرت على لباسها وحجابهـا، وضد الذين ينادون بالحكم الإسلامي، وتطبيق الشريعة الإسلامية، ومن كل من يـدعو لمخالفة المشـركين في هديهم وسلوكهم.[2]

العلمانيون هم المـرآة الـتي تعكس ما يريـده أعـداء الأمة من اليهود والنصـارى، ولـذلك فهم يتبنـون كل ما من شأنه إبعاد هيمنة الإسلام على حياة المسلمين.

إنهم نتاج الكيد الصليبي الـذي وجه ضد الإسـلام منذ أكــثر من قــرن من الزمــان، وهم لا يــدركون ذلــك.. بسـبب ما أحـدث في نفوسـهم من مسخ وتشـويه، إذ ركبوا في مصانع الغزو الصـليبي بحيث يـرون الإسـلام عدواً لهم لابد من محاربته.

لذلك فهم يعتقدون أنهم في مواقفهم ضد الإســلام، وضد تحكيم الشــريعة منطلقــون من ذوات أنفســهم، وبدوافعهم الخاصــة، ولكن ألا يسـتوقفهم ذلك التوافق

---

[1] (?) وول ستريت جورنال: 7/7/1993م.

[2] (?) انظر: التطرف الديني: د. صلاح الصاوي، الآفاق الدولية للإعلام سنة 1413هـ.

العجيب بين مواقفهم ومواقف الغرب تجاه الإسـلام..ز في تنحية الشـريعة واعتبـار أن الإسـلام السياسي هو الخطر الجديد الذي يهدد العالم؟![1]

قد قامت الأحـزاب العلمانية في بلادنـا، وجعلت من نفسها قيماً على ما يزعمونه ((بالشرعية الدستورية)) فحكمت بعقلية بوليســـية مناوئة للأمة ولعقيـــدتها، وضـربت بالحديد والنـار كل دعـاة الفكـرة الإسـلامية، واعتــبرتهم أعــداء، ليس لهم حق الــدعوة إلى تحكيم شريعة الله في وضح النهـار، في الـوقت الـذي فتحت فيه المجــال لكل منهــاج علمــاني، حــتى ولو كــان ماركسياً)).[2]

لقد جعلها العلمــانيون حربــاً معلنة في الســنوات الأخــيرة ضد الإسـلام نفســه، ناهيك عن المتمسـكين بهديه.

((ويرتبط ذلك بتصــاعد الحــرب من جــانب القــوى المحلية والأجنبية ضد الحركات الإسلامية، حيث فقدت هــذه القــوى توازنها وصــبرها في الفــترات الأخــيرة، وقــررت أن تكــون الحــرب علنيــة، ليس فقــط ضد التيارات الإسلامية، ولكن ضد الإسـلام ذاتـه، من خلال وجوده الدسـتوري في أنظمة الـدول العربيـة، وكـذلك من خلال وجــــوده المؤسسي في هيئــــات تعليمية أو ثقافية واجتماعية)).[3]

---

1 (?) العَلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب، الطبعة الأولى 1414هـ، دار الوطن.

2 (?) مجلة البيان: العدد (79) الافتتاحية.

3 (?) السابق: ص96/ العدد (79).

هذا وما فتئ العلمانيون يخططون من أجل إجهـاض الصحوة الإسلامية، والدعوة إلى مبادئهم عبر النــدوات المختلفة.

من ذلك **النـــــدوة الـــــتي أقامتها مجلة فكر للدراسات والأبحاث** وقد شارك فيها أقطاب الاتجاه العلماني، وصرحت المجلة نفسها بأن المشاركين فيها يمثلون الاتجاه العلماني.[1]

لقد ركز المجتمعون على محورين اثنين من محــاور الغلو في نظرهم هما:

أ- تسييس الدين.

ب- تطــبيق الشــريعة الإســلامية في جميع منــاحي الحياة.

وكل عمل يـدخل تحت أحد هـذين الجـانبين فهو من الغلو عندهم. وهذه بعض تصريحات القوم:

* يقول د. فرج فودة في تفسيره لظاهرة التطــرف الديني في هـذه النـدوة: ((إن الهـدف الأساسي للتيـار الإســلامي الــديني هو هـدف سياســي، مضـمونه إقامة دولة دينية إســلامية وهو هــدف شــديد الغمــوض لأنهم جميعاً يتحاشونه، ويحصرون الحـوار دائمـاً في الهـدف المعلن، وهو تطــبيق الشــريعة الإســلامية))[2] فإقامة دولة إسلامية باتت تهمة، وهدفاً شـديد الغمـوض لـدى أساطين العلمانية.

* ويتفق محمد ســعيد العشــماوي مع هــذا الطــرح، فيكتب كتابــاً بعنــوان ((الإســلام السياسي)) ويخصص

[1] (?) انظر: الغلو في الدين: عبد الرحمن اللويحق، ص160-168.

[2] (?) مجلة فكر: العدد (8) ندوة التطرف ص34.

للحديث عن تسييس الدين وتطـبيق الشـريعة، باعتبـار أنهما من التطـرف والغلـو، وأن الإسـلام دين عبـادة لا علاقة له بالسياســة، وكـــانت معظم ردوده في هـــذا الكتـاب على ما أسـماه تيـار تسـييس الـدين بـالعنف والتطرف)).[1]

أما الدعوة إلى تطـبيق الشـريعة فهو المعلم الثـاني الدال على الغلو والتطـرف في مفهـومهم. يقـول أحد المشـاركين في النــدوة: ((إن أصــحاب التيــار كــانوا ومــازالوا يخلطــون بين الــدعوة إلى الإســلام كــدين وعقيــدة وأخلاق، وبين الــدعوة إلى تطــبيق الشــريعة الإســــلامية كمجموعة من النصـــــوص الــــتي تنظم المعاملات الاجتماعية بين الناس)).

ولذلك يرى ((أن من المهام الرئيسـية الملقـاة على عاتق العقلانيين في مصر والعالم العـربي الـدعوة إلى الفصل بين الإسلام والشريعة الإسلامية)).[2]

فالعلمانيون يعممـون الغلو والتطـرف، ويصـمون به كل الدعاة إلى الإسلام، ويؤكـدون وقـوفهم ضد كل ما تطرحه التيارات الإسلامية التي لا يرون فيها الاعتدال.. بل الجميع في نظرهم إما غلاة جداً أو غلاة فقط.[3]

وهذا ما يؤكده مدير الندوة في جلستها الثانية عندما يقول: ((إن ما ينبغي أن نواجهه هو التطـرف، أي هـذه الجماعات الدينية المتطرفة، وهذا موضوع اللقاء)).[4]

---

1 (?) ينظر الصفحات 39، 45، 58، 64 من كتابه الإسلام السياسي نقلاً عن الغلو في الدين، ص164.

2 (?) مجلة فكر: ندوة التطرف ص41، 49 د. نور فرحات.

3 (?) الغلو في الدين: اللويحق ص168.

4 (?) مجلة فكر: عدد (8) ص82، د. فؤاد زكريا.

* والحقيقة إن قضــية الفصل بين الــدين والسياسة يعتــبر مــؤامرة كبــيرة، يــراد بها الكيد لهــذا الــدين، أو الخروج على تعاليمه.

يقول رئيس المجمع الفقهي في مكة المكرمة:

((إن هذه الدعوة الآثمة - فصل الــدين عن السياسة - في حقيقتها عزل الدين عن الحياة، ووأد للناس وهم أحياء، وما حقيقة وصل الدين بالسياسة إلا الدعوة إلى اللـــه، وإقامة الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكـــر، والعمل على مد الإسلام وجزر الكفر والكافرين)).[1]

وإذا عاب الغـرب والتيـار العلمـاني إدخـال السياسة في الــدين، فلمـــاذا لم يعيبـــوا ذلك على النصـــارى والأقبــاط الــذين تقضي تعــاليم دينهم المحــرف بهــذا الفصل؟. وقد أصـبح التيـار الـذي يتزعمه البابا شـنودة ينــادي بــأن تكــون للكنيسة ذاتيتها في مواجهة الدولة ومؤسساتها.

ومع ذلك لم يوصم بــالغلو، مما يــدل على أن تيــار الغلو عند المسلمين قد هُوِّل وضُخِّم.[2]

ومع أن تيــار الغلو عند الأقبــاط كــان متقــدماً في وجوده على تيـار الغلو عند المسـلمين، وأنه منذ أواخر (1940م) ظهر تنظيم يحمل اسم ((جماعة الأمة القبطية))، وبدأ يـوزع بعض المنشـورات الـتي تطـالب بالحكم الذاتي للأقباط، وفي عام 1954م أقــدم أربعة شـبان من الأقبـاط بهجـوم مسـلح على المقر البـابوي

---

[1] (?) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية: الشيخ بكر أبو زيد ص72 وما بعدها.

[2] (?) خريف الغضب: محمد حسنين هيكل جـ2، (ص405، 406)، دار طلاس، القاهرة.

فاقتحموه بقوة السـلاح واحتجـزوا البابا وأجـبروه على إعلان تنازله.[3]

ومع ذلك مـــرت الحادثة دون أن تـــدق نـــواقيس الخطـر، وأين من هـذه الحادثة قضـية اغتيـال الشـيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله؟!

* يتــبين لنا بعد كل هــذا أن الغلو عند فئة قليلة من المســلمين اســتُغِلّ وضُــخِّم ليقضي على المســلمين عموماً وعلى تعاليم الإسلام نفسه.

فقد ضخّم الإعلام الغربي الصهيوني والصـليبي هـذه الظاهرة، يبتغي من وراء ذلك:

أ- إرضاء نزعة الحقد الموجودة لديهم على الإســلام وأهله.

ب- تضليل الرأي العام العالمي حتى لا يتعـاطف مع المسلمين وقضاياهم المريرة في هذا القرن.

وها نحن نلاحظ أن وسائل الإعلام المحلية والعالمية بـاتت تصـور الـدعاة حـتى المعتـدلين منهم، وكـأنهم متهمـون يُطـارَدُون باسم الإرهـاب والأصـولية، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

---

3 (?) انظر: الغلو في الدين: اللويحق، ص136-140.

المبحث الثاني
غلو الأعداء وتطرفهم عبر التاريخ

أولاً: من هم أهل التطـــرف والإرهـــاب في هذا القرن؟!

ثانياً: صور من غلو الأعداء وتطرفهم.

1- مأساة المسلمين في الأندلس.

2- الحروب الصليبية في القديم والحديث.

3- محنة المسلمين في البوسنة والهرسك.

أولاً: من هم أهل التطرف والإرهاب؟!

ما كنا نتصـــور أن يتهم المســـلمون بـــالتطرف والإرهــاب، إلا إذا انقلبت المــوازين والمعــايير، فها هو التاريخ يشهد على عدل المسلمين مع الصديق والعدو.

ورغم أن أعداء المسلمين هم الذين كـانوا ومـازالوا يمارســون معهم ألوانــاً من التعــذيب والإرهــاب، كلما ســنحت لهم الفرصــة، إلا أنهم يتقنــون فن الاتهــام للآخرين.

إن تاريخ اليهود والنصـارى مليء بأحـداث الغلو فيما بينهم من جهة، وفيما بين مذاهبهم ضـمن أتبـاع الـدين الواحد، منذ القرون الوسطى وحتى الآن.

أما ما تعــرض له المســلمون في هــذا القــرن، من إرهاب واضطهاد، فهو أمر لا يحتاج إلى برهان.

وإذا استعرضنا نماذج من غلو أعدائنا وتطرفهم عــبر التاريخ، وجدنا المآسي والويلات...

فمن هم أهل التطرف والإرهاب في هذا القرن؟!

هم الذين يتحدثون عن الإرهاب الإسلامي، ليل نهار، مصــورين أنه الخطر الكاســح، الــذي ســيقوض أمن العالم كله، إنه الغرب الصليبي.

يتحدث عن الأصولية عند المسلمين ولا يتحدث عنها وعن ((الإرهاب النصراني)) وقد تمثل في أبشع صوره في مأســاة البوســنة والهرســك، ولا يتحــدث عن ((الإرهاب اليهودي)) وهو يتمثل يومياً في قتل أصحاب

البلاد وتشريدهم أو تعذيبهم داخل المعتقلات، مع الاستيلاء على أرضهم وديارهم وطردهم منها.[1]

إن الغرب لا يتحدث عن مذابح سكان المخيمات وهم يقتلون في تل الزعتر وصبرا وشاتيلا، ولم يفكر قط في إحراق المسجد الأقصى، فلا يعتبر غلواً وإرهاباً في نظرهم؟!

ناهيك عن مذبحة المسجد الإبراهيمي في النصف من رمضان المبارك 1414هـ عندما أطلقت النيران على المصلين، وهم ركع سجود فقتل العشرات تحت حماية جيش إسرائيل!

إن إسرائيل تندد ليل نهار بضحاياها من أهل البلاد، وتعتبرهم إرهابيين، وكأن ما تقوم به هو العدل والإنصاب؛ لأنهم يمثلون حمائم السلام، وخاصة أنهم سمحوا بحكم ذاتي في جزء من أراضي فلسطين، والأيام هي التي ستكشف الحقائق.

وفي الهند:

يقتل المسلمون بالآلاف على يد الهندوس أو السيخ. ومن ضمن شعارات الهندوس التي نشرت وألصقت على الجدران: ((اتركوا القرآن أو اتركوا الهند)).

إن المساجد تهدم، والمصلون يقتلون من قِبَلِ متطرفي الهندوس أو السيخ، ولا نجد رغم ذلك اهتماماً بذلك الغلو، ولا تنديداً بذلك التطرف.[2]

---

1 (?) انظر: العَلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب، ص125-ص126، طبعة دار الوطن.

2 (?) الغلو في الدين: اللويحق، ص142.

إن النظـــام العـــالمي الجديد يغض الطـــرف عن الإرهـاب **البوذي** الـذي يفعل بالمسـلمين ما تقشـعر منه الأبـــدان، وعن الإرهـــاب في **الفيليبـــيين** حيث يـــذهب آلاف المســـلمين ضـــحية الحقد والتطـــرف النصراني.

وفي أذربيجــان: يشــرد أهلها ويهيم ربع مليــون منهم على وجـــوههم أمـــام نـــيران الأرمن وإرهـــابهم الحاقد.

هل يعتبر ذلك من عدل النظام الجديد وثمراته؟!

وها هو شعب الطاجيك يتعـرض لإبـادة الحكومة الشـــيوعية في مجـــازر وحشـــية، تجـــبر المهـــاجرين وتضطرهم أن يرموا بأنفسهم في نهر جيحـون وقد بلغ عدد الذين قتلوا عند العبور أو ماتوا غرقاً عشرين ألف مسلم؟!

أما عن انتهـاك الأعــراض، ورد الفتيـان بـالقوة إلى داخل طاجيكســتان فحــدث ولا حــرج، وأين هــؤلاء من غضبة المعتصم، أو نخوة إسلامية صادقة؟!)).[1]

والمســـــلمون في الاتحـــــاد الســـــوفياتي السابق: تعرضوا لإبادة جماعية واضطهاد شـرس وما يزالون كذلك.

لقد حـول الشـيوعيون المسـاجد إلى مسـارح ودور للسينما، وأغلقوا المدارس والمعاهد الإسلامية، ومنعوا المسلمين من الصلاة، وقتل الملايين من المسلمين.

---

1 (?) انظر: مجلة البيان: العدد (67) من مقال بعنوان: أوضاع المسلمين الطاجيك، بقلم: نظر الفريابي.

وعنــدما جــاء (غورباتشــوف) بإصــلاحاته لم يعامل المســلمون كما عومل النصــارى واليهــود، فالنصــارى حصـــلوا على كامل حقـــوقهم، وانطلق القسيســـون يعملون ويتعـاونون مع إخـوانهم وأبنـاء دينهم، في حين لم يحصل المسـلمون على جـزء يسـير من حقـوقهم حـتى الآن، واليهـود سـمح لهم بـالهجرة المكثفة إلى فلسطين المحتلة.

وحين انهار هذا الاتحاد راح قادة روسيا يتعـاونون مع النصـــارى والشـــيوعيين ضد المســـلمين، ولا يـــزال المسلمون يعانون أصنافاً من الكبت والاضـطهاد حـتى اليــوم. ومن ذلك مأســاة المســلمين في الشيشــان وتهديم عاصمتهم (قروزني)، وفصول المجــزرة لم تتم بعد، وما تزال مستمرة على مرأى ومسمع من العـالم كله.

وفي أوروبا نفســها: فـإن الإرهـاب والتطـرف يتمثلان في الصــمت الإجــرامي حيــال ما يجــري في البوسـنة، وفي حـوادث إحـراق المسـلمين أحيـاء في مخادعهم في مدن ألمانيا وغيرها.

بل لم يعد برنـــامج التطهـــير الـــديني، أو العـــرقي محصـوراً في صـربيا.. إنه ينتقل بتسـارع شـمالاً عـبر أحـــزاب وقـــوى سياســـية تشـــمل النـــازيين الجـــدد، والأحـزاب الوطنية الدينية في فرنسـا، وتضم الحـزب الوطني البريطاني الذي يطـالب بـإجلاء الأجـانب وفي مقدمتهم الجاليات الإسلامية.

ولقد وصل الحقد بـــرئيس وزراء فرنسا الســـابق (جاك شيراك) لأن يطـالب ((بطـرد هـؤلاء المهـاجرين

بروائحهم الكريهة))[1] وطـالب بإيقـاف طـابور الهجـرة والمهاجرين الـذين يصـرون على تشـويه وجه فرنسـا، حينما يتمسـكون بعـادات وتقاليـد، لا تتفق وثقافتنـا.[2] كما يزعم.

إن هــذا لا يعتــبر غلــواً ولا تطرفــاً، ولكنه حضــارة ووطنية في نظر هؤلاء، ولقد صدق من قال: ((رمتــني بدائها وانسلت)) و((كل إناء بما فيه ينضح)).

إن المقصود بالهجوم العنصري المتعدد الجبهات من مـراهقي النـازيين وحـتى منظـري السياسة الأمريكية والمباشرين لتنفيذها، هو فتح جبهة جديدة مع الإســلام كــدين، ومع المســلمين كأمــة. ولكن يا ليت قــومي يعلمون.

ثانياً: صور من غلو الأعداء وتطرفهم عبر التاريخ:

1- مأساة المسلمين في الأندلس:

إنها لمأساة اهـتزّ لها التـاريخ، مأسـاة ما كـان يخطر على قلب بشر أن تحصل كما كــانت، ولمأســاتها إلى الخيـال أقـرب منها إلى الحقيقـة، لعمق الجـرح وغـور الأثر..

هــذه الأنــدلس الــتي كــانت تتعــالى فيها تراتيل المـؤذنين، أمست نـواقيس الكنـائس فيها تصم الآذان، حتى لا تسمع للتوحيد صوتاً تلك الأرض الـتي أشـرقت بنور الإسلام ثمانية قرون، وخلال سنوات معــدودة، لم

---

1 (?) عن BBC في 3/7/1993م.

2 (?) المرجع السابق نفسه.

يبق للإسـلام فيها أثـر، وأصـبحت خـبراً يـذكر؟! وليس الخبر كالمعاينة)).[1]

قد يتوقع الإنســـان أن تنتهي الدولة الإســـلامية في الأنـــــدلس ولكن أن يمحى الإســــلام من تلك الأرض، ويجتثّ ويقتلع فهذا أمر لا يخطر على بال.

لقد سقطت الأنـدلس (عـام897) بعد ثمانية قـرون من البنـــاء والتقـــدم والازدهـــار... وإشـــاعة العـــدل والتسامح مع جميع السكان بأديانهم المختلفــة، وإتاحة حرية العبادة وبناء الكنائس والبيع.

وبعد معاهدة التسليم بسـنوات قليلـة. كيف كـان رد الجميل؟! كـانت محـاكم التفـتيش الـتي يشـرف عليها رجال الدين النصارى، تشيع الإرهاب في كل مكان.

تضمنت معاهدة غرناطة شروطاً لحماية المسلمين، وبقـاء مسـاجدهم وأملاكهم، وصـادق البابا والقساوسة عليها وذلك (عام897هـ).

فهل كان هؤلاء النصارى أهلاً للعهد؟!

((يقـول المـؤرخ محمد عبد الله عنـان عن صـاحب كتـــاب أخبـــار العصـــر: ثم بعد ذلك دعـــاهم - أي ملك قشتالة - إلى التنصير، وأكرههم عليه، وذلك في سنة (904هـ) فدخلوا في دينهم كرهاً، وصارت الأندلس كلها نصــرانية، ولم يبق فيه من يقــول: لا إله إلا الله محمد رســـول اللـــه، إلا من يقولها في قلبه وفي خفية من النــاس، وجعلت النــواقيس في صــوامعها بعد الأذان، وفي مساجدها الصـور والصـلبان بعد ذكر اللـه، وتلاوة القرآن.

---

[1] (?) سقوط الأندلس: د. ناصر بن سليمان العمر، ص6-8، طبعة دار الوطن للنشر، الرياض، 1412هـ.

فكم فيها من عين باكية وقلب حـزين، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين، لم يقدروا على الهجرة واللحـاق بـإخوانهم المسـلمين، قلـوبهم تشـتعل نـاراً ودمـوعهم تسـيل سـيلاً غزيـراً، وينظـرون إلى أولادهم وبنـاتهم، يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثـان، ويـأكلون الخـنزير والميتات، ويشربون الخمر فلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم، ومن فعل ذلك عـوقب بأشد العقـاب، فيـا لها من فجيعة ما أمرهـا، ومصـيبة ما أعظمهـا، وطامة ما أكبرها)).[1]

ومـاذا أذكر من حقد النصـارى وغلو رجـال الـدين عندهم في هذه الصفحات القليلـة؟! وحسـبي أن أنقل شواهد عن المـؤرخين، كنمـاذج فقـط. يقـول المقـري في نفح الطيب واصـفاً اسـتعداد النصـارى لإحـدى المعـارك: ((وجـاء الطاغية يجيش لا يحصـى.. وذهب إلى طليطلة ودخل على مـرجعهم البابـا، وسـجد له وتضـرع، وطلب منه استئصـال ما بقي من المسـلمين في الأندلس، وأكد عزمه على ذلك)).[2]

ويقـول جوسـتاف لوبـون في كتابه ((حضـارة العرب)):

((إن الـراهب بليـدا أبـدى ارتياحه لقتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة، كـانت مؤلفة من (140) ألف مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى أفريقيا)).

---

1 (?) نهاية الأندلس: د. محمد عبد الله عنان، ص231.
انظر تفصيلاً لهذه المعاهدة في حاضر العالم الإسلامي: شكيب أرسلان، المجلد الثاني، طبعة 1394هـ الرابعة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص2-142:ـ ((وفيها خمس وخمسـون مـادة تتضـمن عهود المحافظة على أعراض القوم وعقائدهم ودمائهم وأموالهم لكن خيانة العهد كانت لهم ديدناً)).

2 (?) نفح الطيب: جـ1، ص449-450، أحمد بن محمد المقري التلمساني. وانظر: رسالة سقوط الأندلس.

لقد امتلأ تاريخ الأندلس بغدر النصارى، حتى طفحت من سطوره الدماء، وضجت أوراقه بهتك الأعراض. من ذلك: ((دخول ألفونسو السادس طليطلة بعد أن أعطى أهلها الأمان وبعد شهرين فقط نقض العهود وحوّل مسجد المدينة الجامع إلى كنيسة بقوة السلاح، ومن ثم حطم المحراب، ليقام الهيكل مكانه)).[1]

وكانت محاكم التفتيش مضرب المثل في الظلم والقهر والتعذيب، وكانت تلاحق المسلمين بأساليب تقشعر لها القلوب والأبدان فإذا علم أن رجلاً اغتسل يوم الجمعة، يصدر في حقه حكم بالموت، وإذا وجدوا رجلاً يلبس الزينة ليوم العيد عرفوا أنه مسلم، فيصدر في حقه حكم الإعدام.[2]

كانت لديهم آلة اسمها العروسة على صورة فتاة جميلة من النحاس والحديد على شكل تابوت، يخرج من بين ثناياها خناجر حادة، ويقال للمسلم: هذه زوجتك ويطبق عليه التابوت فتخترق أمعاءه وأحشاءه، ويقضي نحبه بعد لحظات)).[3]

لقد تفننوا في ألوان التعذيب الوحشي، والمطاردة للمسلمين وقد صور الشاعر المسلم أبو البقاء الرندي هذه المأساة في قصيدته التي تغني عن عشرات الصفحات، إذ تصور الفاجعة الأليمة تصويراً يقطر ألماً وحزناً. يقول في مطلعها:

لكل شيء إذا ما ... فلا يغر بطيب

[1] (?) التاريخ الأندلسي: د. عبد الرحمن الحجي، ص434، عن سقوط الأندلس، ناصر العمر.

[2] (?) سقوط الأندلس: ص9-10.

[3] (?) انظر: كتاب مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس: محمد علي قطب، ففيه ما تقشعر منه الأبدان، بيروت، 1407هـ.

ثم يقول:

فجائع الدهر أنـواع ... وللزمـــــــــــان
وللحوادث سـلوان ... ومـــــا لما حـــــل
تبكي الحنيفية ... كما بكـــى لفـراق
على ديــــــار من ... قــد أقفــرت ولها
حيث المساجد قد ... فيهــــــــــن إلا
حــتى المحـاريب ... حتــــى المنابـــر

إلى أن يقول متفجعاً معتبراً:

يا غـــافلاً وله في ... إن كـنت في سـنة
يا راكــبين عتـــاق ... كأنها في مجـــــال
أعنـــــدكم نبأ من ... فقد سرى بحـديث

وانظر إلى هـذه الصـور الحزينة لمصـير المسـلمين في ديار أهل الصليب:

بالأمـــــس كـــانوا ... واليـــوم في بـــلاد
ولو رأيت بكـــــاهم ... لهالك الأمر
يا رب أم وطفل ... كـمــــا تفـــــرّق
وطفلة مثل حسن ... ـ عت كـــأنما هي
يقودها العلج ... والعين باكـــــــية
لمــثل هـذا يـذوب ... إن كان في القلب

هــذه المآسي الداميــة، وهــذه الوحشــية الظالمة تكــررت في التــاريخ مع أمتنــا، ثم يتحــدث هــؤلاء عن الإرهاب الإسلامي، والتطرف الإسلامي؟!

2- الحروب الصليبية في القديم والحديث:

إن غــزو أوروبا لبلاد المســلمين، واتخــاذ الصــليب شعاراً لهذه الحروب، استجابة لنداء البابا ورجال الدين من النصــارى، يعتــبر أكــبر دليل على الحقد الــدفين، والغلو المتأصل في نفوس القوم.

لقد كــانت القســوة والهمجية من أظهر ملامح تلك الحروب، وأذكر شاهداً واحـداً على ذلـك، وهو غـدرهم بالمسلمين أثناء احتلال بيت المقدس.

جاء في تاريخ الخلفـاء للسـيوطي عن أحـداث عـام 492هـ. ((إن الفرنجة أخذت بيت المقدس بعد حصاره شـهر ونصـف، وقتلـوا به أكـثر من سـبعين ألفـاً، منهم جماعة من العلماء والزهاد والعباد. وهدموا المشاهد...[1] وورد المسـتنفرون إلى بغـداد فـأوردوا كلامـاً أبكى العيون...))[2].

وكتب قائد الفرنجة رسالة إلى ملـوك أوروبـا، يتبجح فيها لما حققوه من انتصارات، ومما قال في رســالته: ((إن خيولنا تخوض بدماء المسلمين إلى الركب)).

قــال الشــاعر يصـف مظـالم الصـليبيين ومـا حـاق بالمســلمين من جــراء هــذه الحــروب، واحتلال بيت المقـدس، ويتحـدث عن تحويـل المسـاجد إلى أديـرة، وارتفاع الصلبان على محاريب تلك المساجد:

أحل الكفر بالإسـلام .. يطول عليه للــدين
فحقٌّ ضـائع وحمى .. وسيف قــاطع ودم

---

[1] (?) يقصد بالمشاهد: المعالم الإسلامية المميزة للحضارة الإسلامية.

[2] (?) تاريخ الخلفاء: السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص427، طبعة القاهرة.

وكم من مسلمٍ ومسلمة لها حرم
وكم من مسجدٍ على محرابه نصب
أتسبى المسلمات وعيش المسلمين

هذا بعض ما ارتكبه الصليبيون، فماذا فعل المسلمون عندما استردوا بيت المقدس؟! وكيف كانت معاملة صلاح الدين لهم؟!

لقد خيرهم السلطان المسلم بين الرجوع إلى بلادهم آمنين، أو البقاء على أن يدفعوا الجزية فقط، إنها وسطية الإسلام وتطرف الآخرين)).

هذا تاريخنا، تاريخ العدل والسماحة، فأين تاريخ أعدائنا الملطخ بالغدر وانتهاك الحرمات وتجاوز القيم الإنسانية؟!

* وفي الحروب الحديثة **خلال الاستعمار الغربي** لبلاد المسلمين، كان الإرهاب والحقد من أبرز خصائصها.

ففي بلاد الشام: بعد أن حاربت بريطانيا وفرنسا العثمانيين بقوات عربية، باسم الثورة العربية الكبرى، بقيادة الشريف حسين وقد خدعته بمعاهدات غادرة معروفة تاريخياً، لم يخف الجنرال غورو حقده عندما دخل دمشق، ووقف على قبر صلاح الدين رحمه الله إذ قال: ((ها قد عدنا يا صلاح الدين)). وقال: ((نحن أحفاد - غود فراي - فأين أحفادك يا صلاح الدين؟!)). ثم أحرق الفرنسيون أحياء كاملة من المدن السورية.

أما الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية، فقد قال قولته المشهورة الحاقدة عندما دخل بيت المقدس:

((الآن انتهت الحروب الصليبية)). هذا حصاد غدرهم لمن وثق بهم، حارب بني دينه، قوى صليبية تستغل غفلة عند المسلمين، فتحارب بهم بني دينهم.

وخلال استعمار فرنسا للجزائر: حصل من الاضطهاد والجرائم ما تقشعر منه الأبدان. وقد سجل مؤرخوهم ما يوضح الحقائق التالية:

قال المؤرخ ((دبو زايد)) عن غنائم الجند الفرنسي خلال غزوهم للقبائل المعادية: ((أما الغنيمة من الحيوان فقد بيعت إلى ممثل قنصلية الدانمارك، وأما بقية الغنائم الصامتة، فقد عرضت للبيع في سوق باب ((عزون)). وكان من بين الغنائم أساور نساء وهي لا تزال في أيديهن المقطوعة، وأقراط نساء لا تزال تلتصق بها قطع من آذانهن، ثم وزع ثمن كل ذلك على السفاكين من رجال الطابور الفرنسي، وأصدرت السلطة في ذلك اليوم أمرها لسكان الجزائر المسلمين بأن يضيئوا ليلاً حوانيتهم، إظهاراً لسرورهم بذلك الانتصار)).[1]

ويروي الكونت ((يريسون)) ذكرياته عن تلك الأحداث فيقول: ((لقد كان الزوج من آذان الوطنيين يساوي عشرة فرنكات، وكانت نساؤهم طرائد فاخرة في نظرنا، والواقع أننا عدنا ومعنا برميل مليء من الآذان التي جمعناها)).[2]

هل يحق لأحفاد هؤلاء أن يتهموا المسلمين بالغلو والإرهاب؟!

---

1 (?) هذه هي الجزائر: أحمد توفيق المدني، ص90.

2 (?) الجزائر حتف الاستعمار: للكاتب الفرنسي ((ليون فيكس)).

أما جــرائم إيطاليا عنــدما احتلت ليبيــا: فهي مما يدمي القلوب، ويبكي العيون.

يقول الأستاذ عبد الرحمن عزام - وهو ممن شــهدوا هذه الحرب: ((إن الناس يبحثـون عن أخبـار الأنـدلس، وكيف أجـــرى الأســـبان بالمســـلمين هنـــاك، وما لهم وللأندلس ولأمور جرت في القـرون الوسـطى، فأمـام أعينهم طرابلس، فليذهبوا ويشاهدوا بأعينهم في هــذه الأيام فظائع لا تقل عما جرى بالأندلس)).

((شنق الإيطاليون في هذه الحرب أكثر من عشرين ألفاً، وكان نحو من (1200) امرأة من نساء الأشـراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصـول الجيش الإيطـالي، فأرســـلوا قـــوة في أثـــرهن وســـحبوهن إلى بلـــدة ((الكفـــرة)) حيث خلا بهن ضـــباط الجيش الطليـــاني، وأنزلوا المعـرات بسـبعين أسـرة شـريفة من أشـراف ((الكفرة)) اللواتي كانت الشمس لا ترى وجوههن من الصون والعفاف، وقتل قائد الطليان شيوخ تلك البلـدة الذين احتجوا على هتك أعراض السيدات المـذكورات، وقال ذلك القائد - قبحه الله - الذي أشـرف على تنفيذ أمر الإعدام: ((ليـأت محمد هـذا نـبيكم البـدوي، الـذي أمركم بالجهاد، وينقذكم من أيدينا)).

وتكـــاد قصص حقـــدهم لا تنتهي. قـــال المراسل النمساوي ((هرمان دنـول)): ((قَتَـلَ الطليـان في غـير ميدان الحـرب كل عـربي زاد عمـره على (14) سـنة، وأحرقوا في (26 أكتوبر سنة 1911م) حياً كـاملاًخلف بنك روما، بعد أن ذبحوا أكـثر سـكانه، وكـان من بينهم النساء والشيوخ والأطفال.

وقـال آنـذاك - وهو شـاهد عيـان: ((رجـوت طبيـبين عســكريين من أطبــاء المستشــفى أن ينقلــوا بعض المرضى المصـــابين المطـــروحين على الأرض تحت حرارة الشمس فلم يفعلا، فلجأت إلى راهب من كبـار جمعية الصــليب الأحمــر، وهو الأب ((يوسف فيلاكو)) وعرضت عليه الأمر وأخبرت شاباً فرنسياً أيضاً بذلك. لكن الأب حول نظره عني ونصح الشاب بـأن لا يـزعج نفسه بشأن عربي في سـكرات المـوت وقـال: ((دعه يموت)).

هذه مجرد شذرات من حقد القوم وخستهم، إذ كان أحدهم يتجرد حتى عن أبسط مبادئ الإنسانية.

* وكان النشيد الذي يردده جنود الصليب وهم يقتحمون معاقل الإسلام في ليبيا:[1]

أماه... أتمي صلاتك ولا تبكي بل اضحكي وتأملي
أنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً..
سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة
سأحارب الديانة الإسلامية..
سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن...(!!!)

وقــال الأســتاذ شــكيب أرســلان معلقــاً على تلك الأحداث: ((إن عدد سكان برقة وطـرابلس، قبل غـارة إيطاليا عليهم، كـان مليونـاً ونصف المليـون، فلم يبق منهم الآن سوى سبعمائة ألف نسـمة، فيكـون عـددهم قد تنـاقص إلى النصف بـالظلم والعسف والقتـل، وما نشأ عن ذلك من رحيل الأهلين)).[2]

وبعد كل ذلك هل يحق لأحفـاد هـؤلاء الجــزارين أن يتهموا المسلمين بالإرهاب والتطـرف؟! ألا يحق لنا أن

---

1 (?) القومية والغزو الفكري: محمد جلال كشك، ص280.

2 (?) انظر: حاضر العالم الإسلامي: الأستاذ شكيب أرسلان، جـ1، ص64-74.

نتساءل: من هو المتطرف: الضحية أم الجلاد؟! ولله در من قال:

أتطـــــرُّفٌ إيماننا ... عصر تطـــــــرف
إن التطـــــرف ما ... ملك العـــــدو بها
إن التطـــــرف ما ... أودى بـــــــأحلام
إن التطـــــــــرف ... من جعلوا صليبهم
إن التطـــرف أن ... متلعثماً ورصاصهم

3- محنة المسلمين في البوسنة والهرسك:

لقد تعرض المسلمون في هذه البلاد إلى مذابح جماعية عبر تاريخهم الطويل على يد نصارى الصرب من الأرثوذكس خاصة، ونصارى الكروات من الكاثوليك.

ففي تاريخهم القديم: عندما دخل كثير من أهل البلقان في الإسلام بعد الفتح العثماني، عاش المسلمون وغيرهم هناك مكرمين، وبرز منهم العلماء والقادة والمفكرون، وعامل الأتراك العثمانيون الصرب وغيرهم من النصارى معاملة طيبة، فلم تضم أياً من دويلات وممالك البلقان، ولم تفرض على شعوبها تغيير دينهم، بل تركت لهم حرية ممارسة شعائرهم مكتفية بفرض الجزية.[1]

ثم تعرض المسلمون في تلك البلاد إلى مذابح جماعية خلال تاريخهم الطويل، منذ أن ضعفت قبضة العثمانيين على تلك البلاد.[2]

---

1 (?) انظر كتاب: جمهورية البوسنة والهرسك قلب أوروبا الإسلامي، تأليف: د. أحمد بن علي تمراز وحسين عمر سباهتش (من أبناء البوسنة والهرسك)، دار الأرض للنشر والخدمات الإعلامية، 1413هـ.

2 (?) المرجع السابق: تاريخ المذابح الجماعية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك، ص66-75.

وذلك بقصد طمس الشخصية الإسلامية والثقافية للمسلمين هناك. وكانت **الموجة الأولى للإبادة:** تعود إلى سنة (1711هـ) عندما بدأ ملك الجبل الأسود بطرد المسلمين من بلاده تحت شعار ((إعادة النصارى الذين اعتنقوا الدين التركي إلى دينهم الأم، إلى الأرثوذكسية))، وقد اختفى فجأة بسبب ذلك ما يقارب عشرين ألف مسلم من بلغراد وحدها.

وخلال انسحاب العثمانيين عام 1807م من بلغراد، قتل عدد كبير من المسلمين من أهالي البلاد، وتم تنصير الآخرين قسراً، وهجر من بقي من النساء والأطفال إلى رومانيا.

ومن ثم تم تنصير قبائل المسلمين جماعياً في جنوب الجبل الأسود بحضور القسس والحرس والشرطة.

واستمر مسلسل الإبادة الجماعية بتحريض من رجال الدين في جميع المناطق، حتى أنه خلال السنة الأولى من حكم الصرب في البوسنة 1918م تم إحراق (270) قرية مسلمة، وقتل آلاف المسلمين، ونزح أكثر من (300) ألف مسلم في البوسنة والهرسك وإقليم سنجاق.[1]

وفي الحرب العالمية الثانية (1941-1945م) تعرض المسلمون لأبشع إبادة جماعية في تاريخهم الطويل وقامت بذلك الكتائب الكرواتية المتطرفة، والعصابات الصربية المتوحشة، وكان شعارهم آنذاك (تطهير الأرض من المسلمين)، وقدرت

---

[1] (?) المرجع السابق: ص66-69. ومجلة البيان: العدد (49) ص72.

ضـحايا الإبـادة في تلك الفـترة بـأكثر من (250) ألف شخص، أي ما يقارب عشر عدد المسلمين.

وقد كتبت جريـدة الأهـرام عن هـذه الفجـائع[1]، كما نشرت مجلة المرأة في سراييفو تحقيقاً عن المجـازر الصربية في الحرب العالمية الثانية جاء فيه[2]: ((يروي شـهود عيـان من القلائل الـذين نجـوا من سـكاكين ومناشير الكتائب الصربية صـوراً مروعة من أفـاعيلهم البشعة في مناطق جنوب وشرق البوسنة، فقد قـاموا بـإحراق المسـلمين في مسـاجدهم وبيـوتهم، وكـانوا يقطعون أثداء النساء بعد اغتصـابهنّ، ويبقـرون بطـون الحوامل للتمثيل بالأجنـة، وكـانوا يلقـون بالرجـال في المـاء المغلي...))، ((ودخلت هـذه العصـابات مدينة (فوتشا) يوم عيد الأضحى سـنة 1942م، وأخذ قائـدها مفـتي المدينـة، وثبت على رجليه حـدوة الخيل بالمسامير، ثم ركب ظهره إلى المسجد الجامع، وقـام بذبح المفـتي على عتبة بـاب المسـجد قـائلاً: هـذا أول قربان لربكم في هذا العيد)).

أما المرحلة المعاصـرة لمأسـاة هـذا الشـعب المسلم فتتمثل في معارضة الصرب بشـدة لاسـتقلال البوسـنة والهرسك بعد تفكك يوغسـلافيا السـابقة واستقلال جمهوريات البلقان، ورغم اسـتقلال البوسـنة الذي تم في اسـتفتاء شـعبي سـنة 1992م إلا أن هـذا الاستقلال رفض بشـدة من قبل الصـرب، بل من دول أوروبا النصرانية كلها..

---

1 (?) الأهرام: في 29/9/1944م.

2 (?) مجلة المرأة: العدد (2)، فبراير 1990م، باللغة البوسنية نقلاً عن كتاب: جمهورية البوسنة والهرسك، ص72.

فالصــرب الــذين يعتــبرون أنفســهم درع أوروبا ضد الإســلام، أعلنــوا أحقــادهم بشراســة، ويتمثل ذلك في مسلسل المذابح المستمر حـتى الآن، وفي الشـعارات المطروحة.

يقول أحد أناشيدهم: ((من الثـاني؟ من الثـاني؟ فأنا الأول الذي سيشرب دم التركي)).

ونشيد آخر يردده الصرب: ((يا مسـلمون يا غربــان، ذهب تيتو وآن لذبحكم الأوان)).[1]

أما حقد الكــروات وتلــونهم فيصــوره تصــريح أحد المســؤولين في الحكومة البوســنية إذ يقــول: ((إن صربيا أفعى تلدغ ليلاً نهـاراً، سـرًّا وجهـاراً، أما كرواتيا فهي أفعى ذات جلد ناعم، لا تلدغ إلا في ظلماء الليل، بعد أن تســتيقن تمكنها من فريســتها وهــدف كلتا الحيتين الموت)).[2]

إن معركة (كوســوفو) الــتي انتصر فيها الســلطان العثمـاني (1389هــ) مـراد على جيـوش الصـرب في منطقة البوســنة، كــانت ســبباً وذكــرى ســنوية لــدى الصــرب ليتــذكروا أحقــادهم، وكــان رئيس عصــابات الصـرب قد صـاح في البرلمـان الصـربي المزعـوم: يا لثـارات كوسـوفو). رغم أن السـلطة العثمانية - خلال

1 (?) جمهورية البوسنة والهرسك قلب أوروبا الإسلامي: ص58، 62.
2 (?) جمهورية البوسنة والهرسك قلب أوروبا الإسلامي: ص58، 62.

حكمها لهم، لم تقم بــأي عمل غــير ديــني، أو أخلاقي تجاه أصحاب الديانات الأخرى.[3]

لقد تمثلت محنة البوسنة المسلمة في:

أ- طمس التراث والشخصية الإسلامية.

ب- في وحشـــية الصـــرب الأرثـــوذوكس: من قتل وتهجير واغتصاب.

جـ- في التآمر الصليبي العـالمي (صـليبية المجـزرة) والموقف الدولي المتخاذل.

أ- طمس التراث والشخصية الإسلامية:

لقد تركز حقد الصرب على طمس الآثـار الإسـلامية من مكتبات ومساجد، وآثار معمارية حضارية.

فقد جعلــوا المكتبة الوطنية في ســراييفوا أكداســاً من الرماد والطوب والكتب المحترقة خلال عامين من الحرب، ودمروا التراث المعماري الذي يزيد عمره عن مائة سنة في جمهورية البوسنة والهرسك بفعل قصف الصرب لها، ولم يتركوا من محتويــات المكتبة الوطنية إلا خمس محتوياتها التي بلغت (2.5) مليون كتاب.

أما المســـاجد فقد تم تـــدمير أكـــثر من ثمانمائة مسجد، وتدمير العديد من المدارس وعمائر الأوقــاف، ما بين تدمير كامل أو إلحاق أضرار فادحة.

ودمــروا مدينة (فوجــة) بكافة بيوتها التقليديــة، أما مسجد (غازي خسرو) في نفس المدينة، وأكبر مسجد

---

3 (?) مجلة الرابطة: عدد وثائقي عن مأساة البوسنة والهرسك، محرم وصفر وربيع الأول 1414هـ، ص20-27.

في منطقة البلقان كلهـا، فقد قـاموا بقصـفه أكـثر من ثلاثين مرة.

وفي مدينة (برشـكو) المحتلة وضع الصـرب عبـوات ناسفة في خمسة مساجد، ثم دمروها في يـوم واحـد، ولم يتورعوا عن تدمير مقابر المسـلمين، فقد سـووها بـالأرض، وغـيروا أسـماء المـدن والطـرق والشـوارع والميادين.[1]

وقد بلغ عدد المسـاجد والمعـالم التاريخية الشـهيرة التي دمرت في البوسنة والهرسك خلال شهري (إبريل ومايو) 1992م، (186) مسجداً.

إذ نشر المكتب الإعلامي لحكومة البوسنة والهرسك عـدداً خاصـاً تضـمن معلومـات حـول الأمـاكن الدينية الموجودة فوق أراضي البوسـنة والهرسك حـتى شـهر مايو 1992م.[2]

ومن أبشع جـــرائمهم ضد الـــتراث الحضـــاري والتاريخي، هجوم الميليشيات الصربية المتوحشة على معهد الدراســـات الشـــرقية في ســـراييفو في 17/5/1992م بالقنابل والصـــواريخ الحارقـــة، بحيث ضاعت كافة الوثائق والكتب والمقتنيات والأبحـاث في يـوم واحد... وكـان هـذا المركز يحتـوي على أكـثر من سـبعة آلاف وثيقة تاريخيـة، في مخطوطـات بالعربية والتركية والفارسية والبوسنية.[3]

---

1 (?) مجلة الرابطة: ص9-11. ومجلة البيان: عدد (49)، ص72.

2 (?) مجلة الرابطة: ص49-53، ص77.

3 (?) مجلة الرابطة: ص49-53، ص77.

ب- وحشية الصرب وأحقادهم الدفينة:

لقد أصبح الحديث عن معسكرات الاعتقال والتمثيل بـالجثث، وتشـريد الملايين، وزرع الخـوف في صـدور الأطفـال، وعيـونهم واغتصـاب المسـلمات، أصـبح كل ذلك حـديثاً عاديـاً لا يثـير في المسـلمين فضـلاً عن غيرهم - موضع ألم أو لحظة غيرة عابرة.[1]

ومع ضخامة أعـداد المعتقلين قـام الصـرب بتحويل المـدارس والصـالات الرياضـية، والثكنـات العسـكرية والســجون والكنــائس، إلى معتقلات وصــلت في مجموعها إلى (173) معتقلاً.

وكانت طريقة التعذيب تفـوق في وحشـيتها ما كـان يجــري في الحــرب العالمية الثانيــة، وكــانت سياسة التطهــير الطــائفي هي جــوهر السياسة الغربية في البلقـان ضد المسـلمين. يقـول ((نيكولاباسـتيك)) وهو رئيس وزراء صربي سابق في معـرض تشـجيعه لهـذه الحملــة: ((للألبــان البــارزين اســتعملوا المســدس، وللفلاحين استخدموا الرشاشات والمدافع)).[2]

الأحقـاد الصـليبية للأرثـوذكس فـاقت وحشـية التتـار المغـول، وهم أمة وثنية همجيــة. ففي مدينة (بيلبينــا) على الحــدود مع صــربيا، وعند خــروج المصــلين من المسجد في صلاة التراويح (1412هـ) أخـذت القـوات الصربية اثنين منهم وذبحتهما على باب المسـجد، ومن ثم بـدأت بـإطلاق النـار على الآخـرين، وعنـدما هـرع المصـلون إلى المسـجد راجعين ألقى الصـرب القنابل

---

1 (?) البيان: العدد (58)، ص80.

2 (?) مجلة الرابطة: ص76، 80.

في داخله ليقتلــوا ما يزيد عن مئة مصــلٍّ، ثم دخلــوا المســجد وســلبوا المصــلين[1] تمامــاً كما فعل اليهــود بمصلى المسجد الإبراهيمي.

وهـــذه مقتطفـــات من رحلة في أعمـــاق البوســنة، ومشــاهدات حية ســجلها الــدكتور مــانع الجهني[2] قال:

((إن ما يجــري الآن هو عملية إبــادة جماعية لهــذا الشعب المسلم مع التهجير العشوائي والاســتيلاء على الممتلكـات، وقد أوجـدت هـذه الحـرب الظالمة موجة من اللاجـئين لم يعـرف العـالم الأوروبي لها مـثيلاً منذ الحـــرب العالمية الثانيـــة، فقد بلغ عـــددهم مليـــونين ونصـــــف، تتلقفهم الأيـــــدي بين قابل ورافض.. ولقد **ظهــرت صــليبية المعركة** في أكــثر من ســلوك وحادثة **ومن هذه المظاهر:**

* توجيه التـــدمير والقتل إلى المؤسســـات الدينية ورمــوز الإســلام، فقد هــدمت المســاجد والمــدارس الإســـلامية وقتل العلمـــاء والمؤذنـــون واغتصـــبت المحجبات.

* يعــذب بعض الأئمة ويطــالبون بــالكفر بالإســلام، والإيمــان بالمســيحية، أو وضع علامة التثليث شـئت أم أبيت ثم يقتل العالم بعد ذلك.

* يجبر كثير من المسلمين في المخيمـات على أكل لحم الخنزير.

---

1 (?) مجلة البيان: العدد (53)، ص74.

2 (?) أمين عام الندوة العالمية للشباب الإسـلامي. وهـذه فقـرات من تقريـره في الفـترة مـا بين (22-25 محرم 1413هـ - عن مجلة الرابطة، ص88-93).

* ذكر النـــاس والصـــحافة الكرواتية قصة الشـــيخ (مصطفى كافوفيتش) الذي رفض صنع علامة الصليب فقطعت أصابعه، ثم أجـبر على شـرب الخمر فـرفض، ثم نشروه وهو حي يقرأ القرآن وله زوجة وطفلان.

* إن إجـــراءات أخذ الأطفـــال تتم بســـهولة من المخيمـــات إلى المؤسســـات الكنســـية، بينما توضع العراقيل أمام أي جهة إسـلامية تريد أن تأخذ الأطفـال المســلمين.[1] وهــذه لقطــات قصــيرة من مسلسل الرعب الوحشي:

- معسكر (أومارسكا) شـمال غـربي البوسـنة، كـان يضم ألف معتقل منهم كل النخبة السياســية والثقافية في مدينة (بريجدود). كان الصـرب يعـدمون (10-15) شخصاً كل بضعة أيام.[2]

وقالت إحـدى المعتقلات لمراسل شـبكة (أي . بي . سي) الأمريكيـة: ((هـذا معسـكر متـوحش، هنا تجـري مذابح، قتل في هذه المنطقة (800) طفل وامرأة.[3]

كان يؤتى بالمسلم فيرقد على ضفة (سـاقا) ويوضع رأسه على حجر ويهيأ ويذبح لينسكب دمه في النهر.[4]

وذكـرت مجلة تـايم تقريـراً مفـاده أن الصـرب في مدرسة ابتدائية في (براتونـــاك) اســـتنزفوا دمـــاء خمسمائة مسلم حتى المـوت من أجل إمـداد الصـرب الجـــرحى بالـــدم، وكـــان يعلق الســـجناء في بلـــدة (فوكاسكا) من أرجلهم وتسـمل عيـونهم بـآلات حـادة،

[1] (?) عن مجلة الرابطة: ص88-93.

[2] (?) نيوزدي والغارديان: 5/أغسطس/1992م.

[3] (?) أي . بي . سي: الأخبار في برنامج صباح الخير أمريكا، 10/أغسطس/1992م.

[4] (?) نيوزدي والغارديان: 5/أغسطس/1992م.

وكان لكل صربي يقتل طفلاً مسـلماً ما يعـادل (300) جنيه استرليني.[1]

أما قضـية اغتصـاب المسـلمات: فقد أكـثرت التقارير والصحف العالمية والعربية من الحديث عنهـا، ولا نريد أن نخـــوض في التفاصـــيل لأنها ثقيلة على النفس، وهي أعراض مسلمة تنتهك، ولا نخوة معتصم، إنها اغتصاب وحشي منظم، وليس عملاً فردياً، ويقصد منه إذلال المســـلمات وتحطيم شخصـــياتهن، ومما يؤسف له أن كثـيراً من المعتـدين كـانوا من جـيران المغتصـبات، فقد تنكـروا لعلاقـات الجـوار والمعايشة خلال عشـــرات الســنين، وتـــذكر بعض التقـــارير أن الاغتصاب كان يتم أمام محارمهن وأولادهن.[2]

جـ- التآمر الصليبي والموقف الدولي المتخاذل:

لقد تكـالبت الأحقـاد الصـليبية وتعـاونت على تمزيق شعب مسلم، وإجهاض دولة شرعية اعترفت بها الأمم المتحدة: تكالبت أحقاد الصرب الأرثـوذكس وحلفـائهم من نفس المذهب، من الروس واليونان ومن شايعهم.

وأحقاد الكاثوليك من الكروات وحلفـائهم من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ومن سايرهم.

لقد كـــانت **مذبحة صـــليبية لأهل البوســـنة والهرســـك،** والشـــواهد على ذلك كثـــيرة من فعل عصابات الصرب. فقد قاموا بذبح المسـلمين ورسـموا

---

1 (?) مجلة تايم: 17/أغسطس/1992م. وانظر: البيان: العدد (55)، ص60-63، أحمد بن راشد بن سعيد.

2 (?) راجع تفصيلات ذلك في مجلة الرابطـة: ص19،ـ 172-173. ومجلـة البيـان: العـدد (55)، ص63-65. وما تنقله عن الصحف الغربية.

الصليب على أجسادهم، كما قاموا بتدمير المساجد في كل بلدة احتلوها.[1]

ونقلت مجلة غربية عن بعض الصرب قولهم: ((إن كل المسلمين في الأصل عرب قذرون يمسحون أدبارهم بأيديهم)).[2]

هذا وإن ((أكثر الصرب يقولون: إن القتال في البوسنة أمر ضروري لمنع انتشار الإسلام في أوروبا)).[3]

وذكرت مراسلة شبكة (أي . بي . سي) (شيلا ماكينكار) في تقرير لها عن مدينة (اليجا البوسنية): ((أن القادة العسكريين الصرب يقولون إنهم يشنون حرباً دينية، نصارى ضد مسلمين، هي نوع من الحرب الصليبية في القرن العشرين)).[4]

لقد كان لأوروبا المسيحية ضلوعاً واضحاً في المؤامرة، وفتوراً قوياً في تردد الحكومات الأوروبية وتلوناً في مواقفها.

* قال الرئيس الفرنسي عند زيارته لمطار سراييفو: ((لن أسمح بقيام دولة أصولية إسلامية في أوروبا)) وقال: ((إن الحل العسكري مستبعد لأن المعضلة من سيقدم الجنود المطلوبين)).

---

1 (?) الأيكو مونست: الواحد من أغسطس سنة 1992م.

2 (?) مجلة نيو ستيشمان سوسيتي: 31/يوليو/1992م.

3 (?) عن مراسل شبكة أي . بي . سي . الأمريكية.

4 (?) انظر: مجلة البيان: العدد (55)، ص67-68، وما نقله الكاتب عن الصحف السابقة، للكاتب أحمد بن راشد بن سعيد.

وقـــال الجـــنرال روسو قائد الفيلق المحـــارب إلى جانب الكروات، والذي خدم عشرين ســنة في الجيش الفرنسي: ((إنه سيشارك الجيش الكرواتي في معركة أوروبا ضد الإسلام الناشئ، الـذي بـات يهـدد الحضـارة الغربية)).

* وروســـــيا الاتحادية وريثة روســـــيا القيصـــــرية الأرثوذكسـية، ما فـتئت تهـدد مجلس الأمن علنـاً بحق النقض (الفيتو) ضد أي قـرار يتخـذه هـذا المجلس ضد الصـــرب المعتـــدين، وقد اتضـــحت ملامح مـــؤامرتهم بانتشـــار بضع مئـــات من الجنـــود الـــروس على جبـــال سراييفو بالرغم من اعتراض حكومة البوسنة الشرعية على قـدومهم، إلا أن بطـرس غـالي أكد موافقته على ذلك القدوم، أما اليونان فهي الحليف الطبيعي للصرب لأنها على نفس المـذهب، وتقـوم بتسـريب السـلاح والمؤن إلى الصـرب، حـتى لبنـان ما قصـرت في هـذا الشأن.[1]

* وبريطانيا موقفها المتلـــون أوضـــحته الرســـالة الســـرية من رئيس وزراء بريطانيا جـــون ميجر إلى الــوزير البريطــاني للشــؤون الخارجية دوغلاس هــوغ ومما جاء فيها: ((الهـدف النهـائي هو تقسـيم البوسـنة والهرسك، ومنع قيـام الدولة الإسـلامية في أوروبا وهو الأمر الذي لا يمكن أن نسمح به أبداً...)).[2]

---

1 (?) وكالات الأنباء الغربية نقلاً عن مجلة البيان الأعداد: (53) ص71، العدد (75) ص64، والعـدد (58) ص 83.

2 (?) عن مجلة الرابطة: ص154، محرم وصفر - ربيع الأول 1414هـ ((وفيها نص للرسالة باللغتين العربيـة والإنجليزية)).

ويتساءل الآن كلارك وزير الدفاع البريطاني السابق قائلاً: ((كيف نستطيع أن نبرر لعوائل الجنود المقتولين أن أبناءهم لم يموتوا في سـبيل الملكة أو الـوطن، بل لمنع الصرب من قتل المسلمين)).[1]

* واقترح (توجمان) رئيس جمهورية كرواتيـا: ((بـأن تضم المناطق المأهولة بالصرب إلى صربيا، والمأهولة بالكروات إلى كرواتيا، الأمر الـذي يسـمح بوجـود دولة إسـلامية صـغيرة في وسط البوسـنة)) وأضـاف: ((إن ذلك سيضع حداً لأي مطالب أو محـاولات لإنشـاء دولة إسلامية كبيرة في قلب أوروبا)).[2]

* أما الولايات المتحدة فهي الأمم المتحدة ولسـانها الناطق بطرس غالي، فعندما تريد شيئاً تتخذ من هـذه الهيئة غطاء قانونياً لتنفيذ أغراضها.

وحينما سـئل رئيسـها (جـورج بـوش) عشـية قمة ميونيخ عن سبب إحجامه عن التحـرك في ظل الوضع المـتردي أجـاب قـائلاً: ((إنه ليس مسـتعداً لأن يرسل الأولاد الأمريكـيين في مهمة كهـذه)) وتعلق (لاسـلي غليب) في النيويورك تايمز قائلة: ((إن الغرب ما كـان ليتخذ هذا الموقف اللامبـالي لو كـان ضـحايا المجـزرة من النصارى)).[3]

* ويتجلى الحقد الصـــربي اليهـــودي في تعـــاون الشـعبين في الجيش اليوغسـلافي الاتحـادي، ومـدهم

---

1 (?) النيوزويك: 7/سبتمبر/1992م.

2 (?) المرجع السابق: 17/أغسطس/1992م.

3 (?) النيويورك تايمز: نقلاً عن مجلة البيان: عدد 58، ص82.

بالخبراء العسكريين، إنها معركة واحدة مع المسـلمين في البوسنة ومع الإسلام كدين.[1]

هذه هي الدول الكبرى، وقد تبين حقيقة مواقفها.

أما الشـــــرعية الدولية ممثلة بهيئة الأمم ومجلس الأمن، فلا تـــزال محجمة عن التـــدخل ضد أطمـــاع الصـرب وأحقـادهم، رغم خـرقهم لكل اتفاقيـات وقف إطلاق النار.

إن المسلمين في البوسنة، هم ضـمن لعبة سياسـية بين الأمم المتحـدة والمجموعة الأوروبيـة، فالمجموعة الأوروبية لا تريد التـدخل لإيقـاف المذبحة إلا بنـاءً على قـــرارات مجلس الأمن، والأمم المتحـــدة الممثلة في أمينها العام الذي يماطل في اتخاذ أي قـرار من شـأنه أن يحمي المسلمين.[2]

إن ما قـــامت به هيئة الأمم هو حظر السـلاح على حكومة البوسنة، وهي تبرر سياسة الصمت لما يجــري من حـرق وتهجـير وقتل المسـلمين بـأن قـوات حفظ السـلام لـديها أوامر بـأن تبقى **محايدة** مهما يكن من أمر.[3]

وقد وصف منــدوب البوســنة لــدى الأمم المتحــدة عملية التســتر هــذه بأنها خيانــة، وانتقد هــذا الحيــاد المزعوم الذي يعني غض الطرف عن وحشية المعتدي ومعاناة الضحية، ومنظمة الصليب الأحمر، كانت تزعم

---

1 (?) انظر: البيان: العدد (58)، ص87.

2 (?) جمهورية البوسنة والهرسك: أحمد تمراز - حسين سباهيتش، ص116.

3 (?) الاندبندنت: 7 أغسطس 1992م.

الحيـــاد أيضـــاً، وقد أخفت معلومـــات عن اعتقـــالات جماعية وعمليات تعذيب واغتصاب منظمة.[1]

لماذا ترسل الأمم المتحـدة (14) ألف جنـدي لحفظ السلام عندما حصلت الحرب بين الصـرب والكـروات، وضـــغطت دول أوروبا على صـــربيا لوقف العـــدوان، وتتحـول هـذه الهيئة إلى حمل وديع لا يسـتطيع إيقـاف عدوان الصرب على مسلمي البوسنة بعد ذلك؟!

بل إن بطرس غالي يأمر بسـحب هـذه القـوات من (ســـراييفو) حـــتى يســـهل على الصـــرب مهمة قصف المدينة وإبادة أهلها.

وها هي القوات الصربية تطبق على جيب (بيهاتش) وتكـاد تـدمر المدينـة، وفيها ما يقـرب من مئـتي ألف مســـلم ما بين لاجئ ومقيم، وهو من المنـــاطق الـــتي أعلنت الأمم المتحدة أنها دولية ومحمية، ويـرفض قائد هــــذه القـــــوات الدولية (مايكل روز) من اســـــتدعاء طائرات حلف شمال الأطلسي وبكل جلافة.[2]

وماذا تصنع هذه الطائرات؟! فقد أصابت في إحـدى غاراتها مدفعاً صربياً وفي الأخرى دبابة قديمة!!

((وقد عبر نائب الرئيس البوسني أيوب غانيتش عن موقف الأوروبـــيين من قضـــية بلاده فقـــال: إن أوروبا أظهـرت وجهها الحقيقي، وإن تـدمير البوسـنة وفنـاء أهلها، سـيكون على يد أوروبـا، وليس على يد الصـرب فقط)).

---

1 (?) البيان: العدد (55)، ص69، 70.

2 (?) نقلاً عن وكالات الأنباء في الصحف والإذاعات المحلية والعالمية خلال (24-28) نوفمبر 1994م.

ومما يوضح التواطؤ بين دول أوروبا وروسـيا ما صرح به (كاراجيتش) زعيم عصابات الصرب البوسنية، وهو يتساءل باستغراب: ((لماذا يتظاهر الجميع بـذرف الـدموع على البوسـنة؟ إن هـؤلاء - المتظـاهرين بدموعهم - يتحـدثون إلينا في الغـرف المغلقة بطريقة مختلفة)).

وإن قـرارات مجلس الأمن لا تنفذ على المسـلمين ((فهناك أكثر من (63) قراراً دولياً في قضية البوسـنة لم ينفذ منها قـرار واحد وكـأن الصـرب يعرفـون هـذه الحقيقة، فاسـتمروا في مـذابحهم وجـرائمهم في ظل الحماية الدولية))، ولنكـرر مع الـرئيس علي عـزت قوله: ((إن الغرب حينما يتعلق الأمر بالإسلام، مسـتعد لأن يخون مبادئه وقيمه التي ينادي بها)).[1]

ولكن لمن تساق الأخبار، وعلى من تعرض الصور؟!

((لقد آن الأوان لإعـادة النظر في أشـياء مسـلمة، كعضـوية الأمم المتحـدة، واسـتقلال الصـليب الأحمـر، ونزاهة المنظمـات الدوليـة، الـتي هي غربية الهـوى والمنهج واللسان.

مـاذا لو كـان أهل البوسـنة المسـتهدفون، بالإبـادة والطرد يهوداً أو نصارى؟! ماذا لو كان مرتكبو المذابح مسلمين؟!

إلا أن مسـلمي البوسـنة لا بـواكي لهم، ولن يسـمح لهم أنهم أوروبيون بيض البشرة ومتسامحون)).[2]

---

1 (?) انظر مجلة البيان: العدد (82) جمادى الآخرة سنة 1415هـ، مقال: هذه حقيقة مجلس الأمن.

2 (?) مجلة البيان: العدد (55)، ص74، من مقال: (دماء ودموع البوسنة).

وصدق الله العظيم: **{ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُـودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ }** [البقرة:120].

وأنتم يا مسـلمي البوسـنة: لقد خيبتم آمـال المعتدين، وآمال حلفائهم، وسوف يسجل التـاريخ أنكم صـمدتم صـمود الأبطـال في معـركتكم الشـريفة ضد قوى الظلم والطغيان.

وأن أهل البوسنة قاتلوا بعدة زهيدة جيوشـاً مدججة بالسلاح، وأنهم نجحوا سياسـياً وعسـكرياً في إفشـال مؤامرة الإجهاز على الإسلام في قلب أوروبا)).[1]

وبعد كل هـذه الصـور من إرهـاب الأعـداء وغلـوهم، فهل يحق لهم ولأحفـادهم أن يتشـدقوا باتهـام المسـلمين بـالتطرف والإرهـاب! وصـدق من قـال: ((رمتني بدائها وانسلت)).

أخي القارئ: إن الغلو مـذموم أيـاً كـان مصـدره، وعواقبه وخيمـة، لا ينتج عنه إلا إراقة الـدماء البريئـة، وتجاوز النصـوص الشـرعية، هـذا وإن المنبت لا أرضـاً قطع ولا ظهراً أبقى)).

وإنها لمـؤامرة عالمية - كما مـرّ معنا - تسـتهدف اجتثـاث الإسـلام وأهله باسم التخويف من الإرهـاب والأصـولية. وإلا كيف يتبجح الجـزار بخوفه من ذبيحته وبيـده السـكين يجز به رأسـها؟! إنها لمهزلة حقـاً، تتم فصولها في أواخر القرن العشرين.

---

1 (?) المرجع السابق: العدد (75)، ص62، من مقال (البوسـنة على مفـترق الطـرق) وكلاهمـا للكـاتب: د. أحمد ابن راشد السعيد.

الباب الثالث
التصوف

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تعريف التصـــوف - نشـــأته وتطوره.

الفصل الثاني: الانحرافات العقدية عند أهل التصوف.

الفصل الثــالث: الآثــار الســلبية لظــاهرة التصوف.

الفصل الأول
نشأة التصوف وتطوره

1- تعريف التصوف واشتقاقه:[1]

اختلف العلمــاء في اشــتقاق التصــوف لغويــاً، وفي تعريفه كذلك، كما اختلفوا في أصله ونشأته، وما زالوا مختلفين حتى اليوم.

والواقع إن البحث في التصوف شـائك، لأن المراجع الــتي دون فيها فكر التصــوف ومنطلقاتــه، تجمع من الحجج والبراهين الأشياء الكثيرة والمتناقضة.

وسوف نقتصر في بحثنا عن التصوف، على ما شـاع عند أهله وما دون عند المتصــوفة في كتبهم، وما كتب عنهم عند العلماء الثقات، إن شاء الله تعالى.

* فالتصوف مشـتق من الصـفاء، كما يـرى بعضـهم، قــال بشر بن الحــارث: ((الصــوفي من صــفت لله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته)).

- وقــال آخــرون: إن الصــوفية نســبوا إلى صــفة المســجد النبــوي لقــرب أوصــافهم من أوصــاف أهل الصفة.

- وأكد آخــــرون: أن التصــــوف منســــوب إلى ((الصـوف)) لأن لبـاس الصـوف أقـرب إلى الاشـتقاق

---

1 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص31-37، والفتاوى: لابن تيمية، جـ11، ص5-6. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص341.

اللغوي، وإلى الظروف التاريخية الـتي أحـاطت بنشـأة التصوف، فقد كان يكثر لباسه عند المتصوفة.

((وقد روي أن محمد بن سـيرين بلغه أن قومـاً يفضـلون لبـاس الصـوف فقـال: إن قومـاً يتخـيرون الصـوف، يقولـون إنهم متشـبهون بالمسـيح بن مـريم، وهـدي نبينا أحب إلينـا، وكـان النـبي صـلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره)).

((إلا أن ابن تيمية رحمه الله يضـعف أكـثر هـذه الأقوال لأنها لا تصح من ناحية اللغة واشتقاقها)).[1]

- وذهب البيروني إلى أن الصوفية إنما هي اشـتقاق من كلمة ((سوفيا)) اليونانية، والتي تعني الحكمة.

- ويقول ابن خلدون عن التصوف وطريقته التي كثر الاختلاف فيها عند النـاس: ((وأصـلها العكـوف على العبـادة والانقطـاع إلى الله تعـالى والإعـراض عن زخرف الدنيا وزينتها.. والانفراد في الخلـوة للعبـادة)).[2]

وعلى العمـوم فـإن الأقـوال في تعريف التصـوف كثيرة، حتى قال السهر وردي: ((وأقـوال المشـايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول)).[3]

ويبـدو أن هـذا الاختلاف يرجع إلى تطـور ا لتصـوف وتشابك جذوره ومظاهره عبر القرون، وهذا ما سـوف نلقي عليه الضوء في الفقرة القادمة.

---

1 (?) الفتاوى: لابن تيمية جـ11، ص7.

2 (?) مقدمة ابن خلدون: ص333، نشر دار المصحف بالقاهرة.

3 (?) عوارف المعارف: للسهروردي، ص57، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، 1403هـ.

2- نشأة التصوف ومصادره:

لقد تشـــعبت الآراء والأقـــوال في منبع التصـــوف ومصـــدره أيضـــاً، فقـــال قائـــل: إنه إســـلامي بحث في أشـــكاله وصـــوره، وأصـــوله وقواعـــده، وأغراضه ومقاصده، وفي مواجيده وأناشـيده... وهـذا هو ادعـاء الصوفية ومن ناصرهم.

وقال قوم: لا علاقة للتصـوف بالإسـلام إطلاقـاً، في نشـأته وظهـوره، وهو أجنـبي عنه كاسـمه... ولـذلك يبحث هؤلاء عن مصادره في الفكر الأجنبي.

ويقـــول بهـــذا الـــرأي أكـــثر الســـلفيين والفقهـــاء والمتكلمين من أهل الســـنة المتقـــدمين، وكثـــير من الباحثين المعاصرين والمستشرقين.

وقـــالت طائفـــة: إنه اسم للزهد الـــذي تطـــور بعد القـرون المشـهود لها بـالخير، كـرد فعل على زخرفة المدنية وزينتها الـــتي انفتحت أبوابها على المســـلمين بعد الفتوحات، وانغماسهم في ترف الدنيا ونعيمها.

ودخلت بعد ذلك أفكـــــار أجنبية وفلســـــفات غـــــير إسلامية، وذهب إلى هـذا الـرأي ابن تيمية والشـوكاني وغيرهما من بعض أعلام السنة، حتى الصوفية أنفسهم وبعض المستشرقين يرون هذا الرأي.

وقـــال آخـــرون: إن التصـــوف كـــان وليد الأفكـــار المختلطة من الإسلام وبقايا اليهودية والمسيحية، ومن المانوية والمجوســـية والبوذية وقبل ذلك من فلســـفة اليونان، وآراء الأفلاطونية الحديثة، وتمسك بهذا الـرأي

بعض من كتب عن الصوفية، من المسلمين وغير المسلمين.[1]

وخير طريقة للحكم على آراء المتصوفة هو الرجوع إلى رسائلهم وكتبهم الموثوقة لديهم.

والحقيقة: إن الصوفية مصطلح طارئ ظهر عندما كثر لبس الصوف في جماعة من الزهاد، فقيل إنهم تصوفوا - أي لبسوا الصوف - فسموا صوفية وقيل لواحدهم ((صوفي)).

متى ظهر التصوف؟

يرى بعض الباحثين أنه ظهر في الكوفة، وسبب ذلك عندهم أن الكوفيين قد تأثروا بموجة الزهد الذي اتخذ شكل معارضة لبني أمية، فقد خالفوهم إلى لبس ملابس الزهاد والرهبان.

وممن قال بذلك: الدكتور كامل الشيبي، الذي يرى أن التصوف ارتبط بسبب ذلك بالتشيع، لما في الكوفة من اضطراب سياسي وهزيمة نفسية من جراء الأحداث التي نزلت بساحتها خلال مواقفهم مع آل البيت، فلما لحقتهم الهزيمة العسكرية، تركوا القتال والدعوة إلى خلافة علي وذريته، ولجؤوا إلى الزهد وطريقة التصوف.[2]

بينما يرى ابن تيمية رحمه الله: أن الصوفية ظهرت في البصرة، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر

---

1 (?) التصوف المنشأ والمصادر: تأليف إحسان إلهي ظهير، ص43-44، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الأولى، 1406هـ.

2 (?) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، جـ11، ص6-8، طبعة المغرب.

الأمصار، ولهذا كان يقال: فقه كـوفي، وعبـادة بصـرية وغـالب ما يحكى من المبالغة في هـذا البـاب إنما هو عن عبـاد أهل البصـرة.. فكـان فيهم طوائف يصـعقون عند سـماع القـرآن، ولم يكن في الصـحابة من هـذا حالـه، فلما ظهر ذلك أنكـره طائفة من الصـحابة والتـابعين، كأسـماء بنت أبي بكر وعبد الله بن الزبـير رضي الله عنهم، ومحمد بن سيرين ونحوهم...

وقد **اختلف النـاس في طريقة المتصـوفة هؤلاء،** يقول ابن تيمية:

((فطائفة ذمت الصـوفية والتصـوف، وقـالوا إنهم مبتـدعون خـارجون عن السـنة... وطائفة غلت فيهم وادعـوا أنهم أفضل الخلـق، وكلا طـرفي هـذه الأمـور ذميم.

والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غـيرهم من أهل طاعة اللـه، ففيهم السـابق المقـرب بحسب اجتهـاده، ومنهم المقتصد الـذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصـنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب.

ومن المنتسـبين إليهم من هو ظـالم لنفسه عـاصٍ لربه.

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البـدع والزندقـة، كـالحلاج، وإن أنكر طائفة من مشـايخ الصـوفية أنه منهم)).[1]

والطوائف هـذه تمثل تطـور التصـوف خلال مراحله المتباينة كما سيأتي بيانه.

---

[1] (?) المرجع السابق: ص17-18، من الجزء السادس عشر.

3- تطور التصوف والمراحل التي مرّ بها:

لقد مر التصــوف بمراحل مختلفــة، إذ بــدأ بالزهد والزهاد في البصرة وأمثالها من أمصار المسـلمين، ثم تحــول بعد ذلك إلى طــرق صــوفية لكل منها معالمها المتميزة، ومن ثم صارت تنحرف عن الإسلام وتعاليمه رويداً رويداً.

ويمكن أن نمـيز في الصـوفية ثلاث مراحل واضـحة نوجزها فيما يأتي:

المرحلة الأولى:

وكان يغلب على أصـحابها جـانب العبـادة والبعد عن الناس، مع الـتزامهم بـآداب الشـريعة، وقد يغلب على بعضهم الخـوف الشـديد والبكـاء المسـتمر، وكـان من هؤلاء في المدينة: عـامر بن عبد الله بن الزبـير، الـذي كان يواصل في صومه ثلاثاً ويقـول له والـده: رأيت أبا بكر وعمر ولم يكونا هكذا.[1]

وكان في البصـرة طلق بن حـبيب العـنزي، وعطـاء السلمي الذي بكى حتى عمش.[2]

ومن هــؤلاء الزهــاد: إبــراهيم بن ســيار وبشر بن الحـارث الحـافي كـان قد فـاق أهل عصـره في الزهد وحسن الطريقة واسـتقامة المـذهب وعـزوف النفس كما قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.[3]

---

1 (?) سير أعلام النبلاء: الذهبي، جـ5، ص219.

2 (?) المرجع السابق: جـ4، ص601.

3 (?) تاريخ بغداد: جـ7، ص67-80.

ومن هـؤلاء جنيد بن محمد الجنيـد، الـذي ينقل عنه الخطيب البغـدادي قولـه: ((علمنا مضـبوط بالكتـاب والسنة، ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث ولم يتفقه، فلا يقتدى به)).[1]

((إن هؤلاء كـانت مقاصـدهم حسـنة، غـير أنهم على غير الجـادة وفيهم من كـان لقلة علمـه، يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري)).[2]

ومن هذا الزهد المشـروع نسـبياً انتقل بعضـهم إلى تأليف الكتب، يدعو فيها إلى أمـور لم تكن عند الزهـاد السـابقين، كـترك الـزواج مثلاً، ومن هـؤلاء: مالك بن دينـار الـذي امتنع عن الـزواج، وعن أكل اللحم إلا من أضـحيته، وكثـيراً ما كـان يقـرأ في كتب السـابقين كالتوراة والإنجيل.

ويعتـبر من أقطـاب هـذه المرحلـة: رابعة العدويـة، التي استحدثت قصة الحب الإلهي والعشق الإلهي.

فهـؤلاء من أوائل الصـوفية الـذين اتخـذوا طريقـة، جمعـوا فيها بين الزهد والتعمق والتشـدد، والتفـتيش عن الوسـاوس والخطـرات، مما لم يكن على عهد السلف الأول.

وإذا كـان الصـفاء الـروحي يـأتي بـدون تكلف عند السلف نتيجة التربية المتكاملة، فنحن هنا بصدد تشـدد وتكلف لحضور هذا الصفاء، وبصدد تنقير وتفـتيش عن الإخلاص يصل إلى حد الوساوس.

---

1 (?) تاريخ بغداد: جـ7، ص241-249. وانظر: التصوف في ميزان البحث والتحقيق: عبـد القـادر بن حـبيب السندي، توزيع مكتبة ابن القيم، طبعة 1410هـ، من ص43-104، حيث ترجم لعدد من معتدلي الصوفية.

2 (?) التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص46.

ومما استحدث في هذه المرحلة: الاستماع إلى القصائد الزهدية مع استعمال الألحان المطربة، وصنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد والزهاد، ولكنها تخلط بين الصحيح وغيره، وتدعو إلى الفقر، وتنقل عن أهل الكتاب، مثل كتب الحارث المحاسبي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي والرسالة للقشيري.[1]

وعلى كلٍّ ((فإن هذه المذاهب قد ظهرت فيما بعد القرون المفضلة رويداً رويداً، وكان أصحابها الأولون قد انفردوا بما أتوا من الزهد والورع، الذي لم يكن عليه رسول الله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وإلى هذا يشير قوله تعالى: **{ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا }** [الحديد:27].

والحقيقة إن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك)).[2]

وربما كان الصوفية صادقين في زهدهم في هذه المرحلة، مع بعدهم عن الدنيا، إلا أن التشدد الذي فرضوه على أنفسهم لم يأمر به الشارع، ويبدو أن هناك تأثيراً للنصارى في تكوين القناعات بتعذيب الجسد كي تصفو الروح.[3]

هذه البداية للتصوف بقيت مقبولة إلى حد ما، ولكن ليت الأمر وقف عند هذا الحد، وإنما بدأت تغزو الصوفية مصطلحات غامضة، وطقوس غريبة،

---

1 (?) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبدة - طارق عبد الحليم، دار الأرقم، الكويت، 1406هـ، ص 22-27.

2 (?) الصوفية والفقراء: ابن تيمية، ط دار الفتح، القاهرة، ص5.

3 (?) الصوفية: محمد العبدة - طارق عبد الحليم، ص29.

وانحرافــات عن الشــريعة، وهــذا ما ظهر جليــاً في المرحلة التاليــة، وخلال طــرق منظمــة، لها مشــايخها وطقوسها، بعد القرن الثالث الهجري.

المرحلة الثانية:

وقد أدخل فيها المتصـــــوفة مصــــطلحات غامضة فتحــــدثوا عن الفنــــاء والبقــــاء، وعلم الإشــــارة في المكاشفات، والمآل في ذلك إلى الذوق.

وفي هــذه المرحلــة: نشأ لــديهم ما يســمى بعلم الظاهر والباطن وأعلنوا سقوط تكـاليف الشـريعة عن أوليائهم، لاطلاعهم على علم الحقيقة وبسبب الكشف والإلهــام، وزعمــوا الاطلاع على علم الغيب فكــثرت الأساطير والخرافات عندهم.[1]

ولعل عقائد الشيعة - والباطنية خاصة - قد خـالطت عقائد القوم، كما أن الأديان القديمة وفلسفة اليونـان، قد تغلغلت في عقائد المتصـــــوفة من خلال الطريقة ورموزها ومصطلحاتها.

((وقد ظهر هذا التصوف بصورة مـذهب مخصـوص، وطائفة مخصوصة عند الموالي والأعاجم، عن سـذاجة حيناً، وأحقاد لهدم الإسلام حيناً آخـر، فـأدخلوا اليهودية والمســــيحية وأفكارهما على الإســــلام، ناهيك عن الزرادشـتية والمجوسـية والبوذيـة، وفلسـفة اليونـان الأفلاطونية، يقصـدون إبطـال الشـريعة والتفريق بينها وبين الحقيقــة، مع إشـاعة الأسـاطير والأباطيل باسم الكرامــات والخــوارق، ولم يظهر التصــوف مــذهباً

---

[1] (?) سنفصل الحديث عن هذه الانحرافات العقدية في الفصل القادم.

ومشـــرباً، ولم تـــرج مصـــطلحاته الخاصة وأصـــوله وقواعده إلا في القرن الثالث الهجري، وما بعده)).[1]

وقد كـان معظم أقطـاب التصـوف من هـذه الطبقة منهم: أبو الحسن الشـــاذلي، وأبو يزيد البســـطامي، وأحمد الرفاعي، وأحمد البـدوي، وعبد القـادر الجيلاني والتيجاني والنقشبندي...

* **فأبو يزيد البسـطامي**: ((طيفـور بن عيسـى، أحد الزهاد كان جده مجوسياً فأسلم، وله نكت مليحة، إلا أنه جـاء عنه أشـياء مشـكلة لا مسـاغ لهـا، قاله في حالة السكر والدهشة والغيبـة، لا يحتج بهـا، إذ ظاهرها الإلحاد كقوله: سبحاني ما أعظم شــاني وما في الجبة إلا الله، ما النار؟ لاستندت إليها غـداً، وأقـول: اجعلـني فداء لأهلها...

لقد تـأول هـذه الشـطحات، علمـاء الصـوفية وقـال بعضهم: إنه قال ذلك في حال الاصطلام والغيبة)).[2]

* **وأبو الحسن الشاذلي**: شيخ الطائفة الشاذلية، كان كبير المقدار عالي المنار، له عبـارات فيها رمـوز.[3]

والأقـوال فيه متضـاربة: فبينما ينقل عنه الشـعراني في طبقاته أنه: ((كان يقول: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف)).

---

1 (?) التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص43-45، بتصرف يسير.

2 (?) انظر سير أعلام النبلاء: جـ13، ص86-88. والبداية والنهاية: جـ11، ص35.

3 (?) طبقات الشعراني: جـ2، ص4-13.

وينقل عنه أيضاً: ((أنه كان يقــول: أنا الآن لا أنتسب إلى أحد، بل أعــوم في عشــرة أبحــر، محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل... الخ)).[1]

ومن الجدير بالـذكر أن الـدكتور عبد الحليم محمـود شـيخ الجـامع الأزهـر، كتب كتابـاً في تمجيد الشـاذلي وطريقته.

ففي ذلك الكتاب يذكر أن الله سبحانه كلم الشاذلي على جبل زغــوان، وهو الجبل الــذي اعتكف الشــاذلي في قمتـــــه، وتعبد فيه وتحنث، يـــــذكر ذلك نقلاً عن صاحب كتاب ((درة الأسرار)).[2]

وينقل أيضاً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم الشــاذلي من داخل حجرته الشــريفة ((فلما قــدم المدينة زادها الله تشــريفاً وتعظيمــاً، وقف على بــاب الحرم من أول النهار إلى نصفه، عريان الرأس حــافي القدمين، يســتأذن على رســول الله صــلى الله عليه وســلم تســليماً، فسـئل عن ذلك فقـال: حـتى يـؤذن لي... فســمع النــداء من داخل الروضة الشــريفة: ((يا علي ادخل)).[3]

فمن كانت هـذه مكانته لا يسـتبعد أن يقـول: ((لــولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكــون في غد وبعد غد إلى يــوم القيامة)) وإني لأســتغرب كيف ينقل شيخ الجامع الأزهر هذه الأساطير وهو الذي تخـرج من

---

1 (?) السابق: جـ2، ص7.

2 (?) انظر: المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي: د. عبـد الحليم محمـود، ص32، طبعـة دار الكتب الحديثة، القاهرة.

3 (?) المرجع السابق: ص83.

فرنسا أيضاً، إلا أن التربية الصوفية كثيراً ما تلغى فيها العقول.

والطريقة عند أقطاب التصوف، أن معظمهم يوصل نسـبه إلى آل الـبيت ((علي وأبنائه خاصة)) فالرفـاعي والشاذلي وأحمد البدوي والجيلاني كلهم من آل البيت، ويخاطبون جدهم رسول الله، وهو في قــبره فيجيبهم. صــلى الله عليه وعلى آله وســلم، هكــذا يزعمــون، ويصدقهم أتباعهم بلا تردد.

ومما قاله الشــاذلي: ((أعطيت الشــاذلية ثلاثــاً لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعـــــــــدهم: الأول أنهم مختارون في اللوح المحفوظ، الثـاني أن القطب منهم إلى يوم القيامة، الثـالث أن المجـذوب منهم يرجع إلى الصحو)).[1]

* **أحمد بن الرفـاعي:**[2] المتــوفى ســنة 578، يحاول أتباعه إثبات نسبه إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم أيضاً.

يــذكر صــاحب القلادة أن الرفــاعي لما حج عــام 555هـــ وقف تجـاه الحجـرة العطـرة النبوية وقـال: السـلام عليكم يا جـدي، فقـال له عليه أفضل صـلوات الله: وعليك السلام يا ولدي.[3] وسمع ذلك كل من في المسـجد النبـوي، ومد له رسـول الله يـده الشـريفة العطـرة من قـبره الأزهر فقبّلهـا، في ملأ يقـرب من

---

1 (?) دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص235-248، طبعة إدارة ترجمان السنة، لاهور.

2 (?) انظر: دراسات في التصوف: لإحسان إلهي ظهير، فصل عن الرفاعية.

3 (?) قلادة الجـواهر في ذكـر الرفـاعي وأتباعـه الأكـابر: لمحمـد أبي الهـدى الرفـاعي، من ص215-234. والتصوف: للسندي، ص111-133، طبعة بيروت، 1400هـ.

تسعين ألف رجـل؟! ثم قـالوا: ((وإنكـار هـذه الكرامة كفر)).[1]

وينقل عن الرفاعي أمـور غريبـة، وحركـات عجيبـة، وقد تعلم أصـحابه السـحر. يقـول الـذهبي: ((ولكن أصـحابه فيهم الجيد والـرديء، وقد كـثر الزغل فيهم وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق، من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات)).[2]

وقـال ابن خلكـان[3]: ((ولأتباعه أحـوال عجيبـة، من أكل الحيـات وهي حيـة، والـنزول إلى التنـانير وهي تضطرم من النار فيطفئوها)).

وقال ابن الملقن في ترجمة الرفاعي: ((هو القائل: الشيخ من يمحو اسم مريـده من ديـوان الأشـقياء، ثم قـال: ودخل عليه شـخص، وكـان على جبهته مكتـوب سطر الشقاوة فمحي ببركته)).[4]

وقد نـاظر ابن تيمية رحمه الله أتبـاع الرفـاعي ((البطائحية)) أمـام أمـير دمشـق، وأبـان الكـذب والتلبيس عند مشايخهم، واشـترط عليهم أنه سـيدخل معهم النار على أن يغتسلوا بالخل والماء الحـار، لأنهم كـانوا يطلـون جسـوهم بأدوية يصـنعونها من دهن الضـفادع وبـاطن قشر النـارنج وغـير ذلك من الحيل المعروفة لهم... ولما فضح أمرهم ذلوا، وطلبـوا التوبة

---

1 (?) القلادة: الصفحات 104-108-109. وجامع كرامات الأولياء: للنبهاني، جـ1، ص198.

2 (?) انظر: العبر: للذهبي، جـ3، ص75.

3 (?) وفيات الأعيان: لابن خلكان، جـ1، ص172، بيروت.

4 (?) طبقات الأولياء: ص98. وانظر: التصوف: للسندي، ص111-133.

عما مضى، وسأل الأمير ابن تيمية عما يطلب منهم فقال: متابعة الكتاب والسنة.[1]

* **أما أحمد البدوي:** والملقب بالسيد البدوي، فقد أحاطوه بمظاهر التقديس، وجعل قريناً لرسول الله وغيره من الأنبياء، وزعموا أن شفاعته لا يصل إلى مثلها الأنبياء، وأنه يطلع على الغيب، وأن الأرض تطوى له، وأنه قادر على إحياء الموتى، وإماتة الأحياء، وأنه يخرج من قبره عندما يستغيث به أحد ممن يتعرض لقاطع طريق، وأنه يتكلم من قبره، وقد ادّعى السيد البدوي أنه من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم .[2]

ويبدو أن البدوي كان شخصية غامضة مريبة، لها مخطط باطني خبيث، خطط له ومهد الطريق شخصيات من رموز الشيعة الباطنية باسم التصوف والدروشة.[3]

* هذه نماذج من قادة التصوف عرضت لسيرة بعضها حتى يطلع القارئ على خطورة ما توصلوا إليه من أفكار وشطحات، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المراجع المطولة.

المرحلة الثالثة:

تعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل التصوف حيث تسربت الفلسفة اليونانية، فابتعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف، بل جعلتها من الصوفية الخارجة عن

1 (?) انظر: الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص445-466.

2 (?) انظر: السيد البدوي دراسة نقدية: د. عبد الله صابر، الفصل الخامس، من ص37 حتى ص45. والتصوف في ميزان البحث والتحقيق: للسندي، ص134 حتى ص172.

3 (?) السيد البدوي: د. عبد الله صابر، الفصل الرابع، ص26-35.

الإسلام، إذ كان تـأثير الفلاسـفة قويـاً بعد ترجمة كتب اليونان، وفيها نظرية الفيض والإشـراق، الـتي سـتلعب دوراً خطــيراً في فكر التصــوف، وخاصة عند الســهر وردي، وابن عربي.[1]

وقد ذكر كثـير من البـاحثين، أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصــادر الأساســية للتصــوف، بل إنها هي المصـدر الأول بالنسـبة إلى القـائلين بوحـدة الوجـود والحلــول، بــدءاً من أبي يزيد البســطامي، وســهل التستري وابن سـبعين، وانتهـاء بـابن الفـارض والحلاج وابن العربي والسهر وردي المقتول وغيرهم كثير.

وقد أخذ هــؤلاء نظرية الفيض والمحبة والإشــراق والمعرفــة، مع الآراء الأخــرى الــتي تمســكوا بها عن الأفلاطونية الحديثة.

ويـرى آخـرون أنها مـأخوذة من البوذيـة، وغيرها من الديانات المحرفة كاليهودية والنصرانية.[2]

فصار هؤلاء المتصوفة يعتقدون أنه ليس هناك فـرق بين الله وخلقـه، إلا أن الله تعـالى كل والخلق جـزؤه، وأن الله متجلٍّ في كل شيء من الكـون حـتى الكلاب والخنـازير، فالكل مظـاهره، وما في الوجـود إلا اللــه، فهو الظاهر في الكون، والكون مظهره.[3]

يقول ابن عربي: ((فلا مظهر لـه إلا نحن، ولا ظهـور لنا إلا به، فبه عرفنا أنفسنا وعرفنـاه، وبنـا تحقـق عين ما يستحق الإله.

---

1 (?) الصوفية: محمد العبدة، ص40-41.

2 (?) التصوف والمنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص121.

3 (?) دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص296.

فلـــــــولاه لما كنا ولــولا نحن ما كانا
فـــــــإن قلنا بأنا يكـــــون الحق إيانا
فبـــدانا وأخفـــاه وأبـــــــداه وأخفانا
فكـان الحق أكوانا وكنا نحن أعيانا[1]

تعالى الله عما يقول هؤلاء الضالون علـواً كبـيراً، إذ أن هؤلاء ((يعتقدون أن العـالم كله ظل وعكس لـذات الله تعـالى، فهل في الوجـود إلا اللـه؟ والإنس والجن والشـجر والحجر والـدود والـدواب، والطيـور والسـباع والكلاب والخنــازير صــور مختلفة للتجلي الإلهي، فكل شيء في العـالمين إله عند الصـوفية، وعلى ذلك نقل الطوسي عن أبي حمـزة الصـوفي: أنه كـان إذا سـمع صوتاً مثل هبوب الريح، وخرير الماء، وصـياح الطيـور، كان يصيح ويقول: لبيك)).[2]

((ونقل عن أبي الحسن النـــوري أنه ســـمع نبـــاح الكلاب فقال: لبيك وسعديك)).[3]

فماذا بعد هذا من الكفر الصــريح، والوقاحة مع ذات الله جل جلاله.

لقد كــان عبــاد الأصــنام يحترمونها ويــدافعون عن مقدساتهم، أما هؤلاء فقد نزلـوا بأربـابهم إلى أقل من عباد الأصنام بكثير.[4]

---

1 (?) الفتوحات المكية: ابن عربي، جـ2، ص44-45.

2 (?) كتاب اللمع: للطوسي، ص495، ط دار الكتب الحديثة بمصر.

3 (?) إيقاظ الهمم: ابن عجيبة الأندلسي.

4 (?) سوف نزيد هذا الموضوع تفصيلاً في الفصل القادم (الانحرافات العقدية).

الفصل الثاني
الانحرافات العقدية عند أهل التصوف

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: الشريعة والحقيقة (أو الظاهر والباطن) وسقوط التكاليف الشرعية.

المبحث الثاني: الأولياء والكرامات.

المبحث الثالث: الصلة بين التصوف والتشيع.

المبحث الرابع: غلاة الصوفية وقولهم بوحــدة الوجود.

المبحث الخامس: تقـديس القبـور والأضـرحة والاستغاثة بأصحابها.

المبحث الأول
الشريعة والحقيقة ((الظاهر والباطن))

وقع المتصـــوفة في انحرافـــات عقدية خطـــيرة، تغلغلت في طـــــرقهم من عقائد الشـــيعة والباطنية خاصة، كما أنها دخلت إليهم من عقائد الملل الأخــرى، مما أوقع القوم في ضـلالات، من أولها هـذا الانحـراف الذي قسم الدين فيه إلى ظاهر وبـاطن، وإلى شـريعة وحقيقــة، ثم انجرفــوا إلى القــول بسـقوط التكـاليف الشرعية وتأويل القرآن تأويلاً باطنياً فاسداً.

* فالشــريعة - كما يراها المتصــوفة - هي مجموعة من الأحكــام العملية التكليفية أي ما يســمى ((بالفقه الإســلامي))، والحقيقة هي ما وراء هــذه الأحكـام من إشــارات وأســرار حسب زعمهم، لقد أهملــوا علــوم الشريعة لأنها عندهم من علوم الظاهر التي لا تــؤدي - بــزعمهم - للوصــول إلى الحضــرة كما هو شــأن علم البــاطن، ويســمون العلمــاء بحملة الشــريعة، بينما يسمون أنفسهم بحملة الحقيقة.

ومن هنا احتقر المتصــوفة العلم وأهلـــه، وقبحـــوا طريقة العلماء في فهم الكتاب والسنة حتى ترك كثـير من علمـائهم في القـرنين الأخـيرين حلقـات التـدريس

والعلم، واعــتزلوا النــاس تمامــاً، ليتفرغــوا للأتبــاع والمريدين.[1]

وقد نقل عن الجنيد أنه كان يقول: ((المريد الصادق غــني عن علم العلمــاء، وإذا أراد الله بالمريد خــيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء)).[2]

فالفقهاء - في نظر الصوفية - يعلمون الناس أركان الصــلاة وســننها، وهم يهتمــون بأعمــال القلــوب من المحبة والخشــية، ويقــول غلاتهم: إن هــذه الأحكــام خاصة بعوام المسلمين نظراً لضيق عقـولهم وقلـوبهم عن اسـتيعاب المعـاني العلويـة، دون الالـتزام برسـوم وأشكال معينة...)).[3]

* وقد انحرف غلاتهم بعد ذلك إلى التنفير من علـوم الحــديث حــتى يضــعوا الأحــاديث لتناسب طــرائقهم وبدعهم.. ولهم في ذلك عجائب لا تحصى من ذلك:

ما نقله فريد الــدين العطــار عن أبي الحســين الخرقــاني أنه قــال: ((وهبــني الله جميع العلــوم والمعارف، مع كوني أمياً، وقرأت الحديث على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فلم يُصَـدِّقْهُ مريـده، فرأى - المريد - في المنام رسول الله وسمعه يقــول: صدق الرجل، صدق الرجل، وقال المريد: بدأت بعــدها أتردد إلى الشيخ وأقـرأ الحـديث، فأحيانـاً كـان يقـول: هــذا الحــديث ليس بصـحيح، ولما سـألته كيف عــرف ذلك؟ قال: لما تقرأ الحديث أشتغل بمشـاهدة رسـول

---

1 (?) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين: رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، سنة 1414هـ، علي بن بخيت الزهراني.

2 (?) طبقات الشعراني: جـ1، ص84، طبعة 1305هـ.

3 (?) الصوفية: العبدة، ص51.

الله صلى الله عليه وسلم ، فكلما قرأت الحديث الصحيح يبتسم النبي وتنورت جبهته، وإذا مررت بحديث موضوع ظهرت كآبة على وجهه صلى الله عليه وسلم ، فبذلك أميز الصحيح من الضعيف)).[1]

ويصرح الدباغ قائلاً: ((قد ينزل الملك على الولي، ويخبره بصحة حديث ضعفه العلماء)).[2]

فالمتصوفة يرون أن العلم اللدني ليس بينه وبين الغيب حجاب، أي أنه لا يحتاج إلى إسناد، فوجوده إسناده.

وقد جعلوا حديث الناس حديثاً للنبي المعصوم، معتمدين على كشفهم وإلهامهم، فجعلوا الموضوع ثابتاً، والسقيم صحيحاً، دون النظر إلى رواته قائلين: بأنهم سمعوه عن النبيّ رأساً، أو علموا تصحيحه عن رسول الله مشافهة، أو بواسطة الملك أو بتعليم الخضر.[3]

لقد خالف المتصوفة ما قاله العلماء في أهمية علم الإسناد في الحديث النبوي، فعن عبد الله بن المبارك أنه قال: ((الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)) رواه مسلم.

وما أكثر ما يقول المتصوفة رداً على أهل الحديث لتمسكهم بالإسناد: ((أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت))[4] أي ((أخذتم

---

1 (?) تذكرة الأولياء: فريد الدين العطار، ص277، نقلاً عن دراسات في التصوف، ص129.

2 (?) الإبريز: عبد العزيز الدباغ، ص151، طبعة مصر.

3 (?) دراسات في التصوف: ص130-131، إحسان إلهي ظهير.

4 (?) ذخائر الأخلاق: ابن عربي، ص153، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

علمكم عن الرجال، رجال السند وقد ماتوا، أما علمهم فقد أخذوه مباشرة عن الحي الـذي لا يمـوت، هـذا مع ادعائهم في كتبهم قـائلين: ((علمنا هـذا مؤيد بالكتـاب والسنة)).

الظاهر والباطن:

لقد ادّعى المتصــوفة أن للقــرآن ظــاهراً وباطنــاً، فالظاهر هو ما يؤخذ من ألفاظه حسب الفهم العربي، وهو ما يهتم به علمـاء الظـاهر، أما البـاطن فهو العلم الخفي وراء تلك الألفــاظ، وهو المــراد الحقيقي بهــا، وهذا لا يطلع عليه إلا الخـواص من أصـحاب المقامـات السامية، ويطلقون عليه: ((الإشـارات)) وهم يغمــزون أهل الفقه بأنهم لا يهتمون بأعمال القلوب.[1]

ولعل فكرة الظاهر والبـاطن تسـربت إلى التصـوف من التشـــيع[2] إذ إن الشــــيعة بجميع فرقها وخاصة الإسماعيلية منهم، يعتقدون أن لكل ظـاهر باطنـاً، وقد اختص بمعرفة البـــــــــاطن علي وأولاده وأئمتهم المعصــومون - حسب زعمهم - وقد ســموا المــوالين لهم بالخاصة، وغير الموالين بالعامة.

ثم قسموا الظـاهر والبـاطن بين النـبي صـلى الله عليه وســـلم ، والوصي وقـــالوا: ((كـــانت الـــدعوة الظاهرة قسط الرسول، والدعوة الباطنة قسط وصيه الذي فاض منه جزيل الأنعـام))[3] يقصـدون عليـاً ثم قالوا: ((إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقـة،

---

1 (?) الصوفية: العبدة - طارق عبد الحليم، ص51.

2 (?) ينظر في: التصوف المنشأ والمصادر: فصل الظاهر والباطن، ص243-255.

3 (?) الذخيرة في الحقيقة: للداعي الإسماعيلي علي بن الوليد المتوفى سـنة 612هــ، ص113، طبعـة دار الثقافة، بيروت، نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر، ص243.

وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وصاحب الحقيقة هو الوصي علي بن أبي طالب)).[1]

وقال المتصوفة: ((العلوم ثلاثة ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر وباطن، وباطن الباطن.

فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن)).[2]

* ونلاحظ أن التوافق بينهم وبين الباطنية الإسماعيلية في هذه المصطلحات واضح جلي. فما سبب توغل الصوفية في علم الباطن.

* وما سبب التجائهم إليه؟

يقول الصوفية: ((إن علم الباطن هو علم القلب، وعلم التصوف علم جليل شريف نفيس وهو أجل العلوم وأشرفها، وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة، التي لم تبعث الأنبياء إلا لأجلها)).[3]

وقالوا:

هل ظاهر الشرع إلا كجسم فيه روح

والعلم الظاهر هو علم العبودية، والعلم الباطن هو علم الربوبية.[4]

وسئل بعض علمائهم عن علم الباطن أي شيء هو؟

---

1 (?) الافتخار: للداعي أبي يعقوب السجستاني، ص71، طبعة لبنان.

2 (?) انظر: الفتوحات الإلهية: ابن عجيبة الحسني، ص333، طبعة عالم الفكر، القاهرة.

3 (?) التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص248.

4 (?) الفتوحات الإلهية: ابن عجيبة، ص333.

فقـــال: ((سر من الله تعـــالى، يقذفه في قلـــوب عباده، لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً)).[1]

ومن أسباب ذلك أيضاً: أن الصوفية تقولـوا بكلمـات كلها كفر وإلحـــاد، ونقل عن الباطنية والتشـــيع، فلما سمع العلمـاء هـذه المقـولات كفـروهم بهـا، ورمـوهم بالإلحاد والزندقة، فلم يسعهم آنذاك إلا القول بالظاهر والباطن والهروب إلى التأويل.[2]

فالمتصـوفة يـدعون ((أنهم يأخـذون عن الله كل ما يحتــاجون إليه وينتفعــون به من غــير واســطة، أو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسل بالشرائع الظاهرة، وهم موافقون له فيهـا، أما الحقـائق الباطنة فلم يرسل بها، أو لم يكن يعرفها، وهم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته)).[3]

((ومن ادّعى أن من الأوليــاء الــذين بلغتهم رســالة محمد صـــلى الله عليه وســـلم من له طريق إلى الله لا يحتـاج فيه إلى محمـد، فهـذا كـافر ملحـد، وإذا قـال: أنا محتـاج إلى محمد في علم الظـاهر دون علم البـاطن، أو في علم الشـريعة دون علم الحقيقـة، فهو شر من اليهـود والنصـارى الـذين قـالوا: إن محمــداً رسول إلى الأميين. فكـانوا كفـاراً بـذلك، وكـذلك هـذا الــذي يقــول: إن محمـداً بعث بعلم الظـاهر دون علم الباطن، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر...)).[4]

---

1 (?) قوت القلوب: لأبي طالب الملكي، ص120، طبعة دار صادر، بيروت.

2 (?) التصوف المنشأ والمصادر: ص252.

3 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص65.

4 (?) المرجع السابق: جـ11، ص225.

ومن بعض ضـلالاتهم ((أنهم قد يقولـون كما يقـول صـاحب (الفصـوص) ابن عـربي: أنهم يأخـذون من المعـدن الـذي يأخذ منه الملك الـذي يـوحى به إلى الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا (عقيـدة المتفلسـفة)، ثم أخرجوها في قالب (المكاشفة).[1]

وقد نتج عن هذه العقيدة المنحرفة أمران خطيران:

1- سـقوط التكـاليف الشـرعية عن نسـاكهم ومتقدّميهم.

2- الضلال في تفسير القـرآن اعتمـاداً على التأويل الباطني.

سقوط التكاليف الشرعية:[2]

لقد سـلك المتصـوفة مسـلكاً غريبـاً في إسـقاط التكاليف الشرعية عن مشايخهم، ((وفي النساك قـوم يزعمـون أن العبـادة تبلغ بهم إلى درجة تـزول فيها عنهم العبـادات، وتكـون الأشـياء والمحظـورات على غيرهم مباحات لهم)).[3]

وقد أشار إلى هذا صوفي قديم فقال: ((وارتحل عن القلـوب حرمة الشـريعة، فعـدوا قلة المبـالاة بالـدين أوثق ذريعة.. واستخفوا بـأدائهم العبـادات... وركضـوا في ميـدان الغفلات، وركنـوا إلى اتبـاع الشـهوات.. وادّعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال، وتحققـوا بحقـائق الوصال)).[4]

---

1 (?) المرجع السابق: جـ11، ص227.

2 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: ص260-274.

3 (?) مقالات الإسلاميين: الأشعري، ص289.

((إن نسخ الشـــريعة المحمدية مما يـــؤمن به جميع فــرق الباطنية ولو أنهم يتظــاهرون بإنكــاره كما يــذكر الغزالي)).[1]

وفي سيرة المتصوفة غـرائب وعجـائب، تـبين مـدى خروجهم على التكاليف الشرعية.[2]

من ذلك ما ذكـره العطــار عن أبي يزيد البســطامي أنه خــرج مــرة للحج فرجع من الطريــق، فســألوه عن الســبب فقــال: لقيــني في الطريق رجل حبشي وقــال لي: لماذا ترك الله ببسطام؟ فرجعت.[3]

وذكـــــــروا مثل ذلك عن رابعة العدوية فقــــــالوا: ((ســـافرت رابعة إلى مكة فـــرأت أثنـــاء الطريق كعبة الله تمشي إليها - عياذاً بالله - فقالت: لا أريد الكعبــة، بل أريد ربها)).

وقال بعضــهم: ((إن الكعبة طـافت بالشـيخ إبـراهيم المتبولي حجـراً حجـراً، ثم رجع كل حجر إلى مكانه)).[4]

((وقالوا مثل ذلك في الزكاة، فلما سئل الشبلي كم في خمس من الإبل؟

قـــال: في واجب الشـــرع شـــاة، وفيما يجب على أمثالنا، كلها لله)).[5]

---

4 (?) الرسالة القشيرية: عبد الكريم القشيري، جـ1، ص22-24، تحقيق: د. عبد الحليم محمــود، طبعــة دار الكتب الحديثة، القاهرة.

1 (?) فضائح الباطنية: ص46، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

2 (?) انظر: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص100-105.

3 (?) تذكرة الأولياء: فريد الدين العطار، ص82، طبعة باكستان.

4 (?) جامع كرامات الأولياء: النبهاني، جـ1، ص245.

وقد سـئل ابن تيمية رحمه الله عن هـؤلاء وطرائقهم، وما الحكم فيهم؟

((سئل عن قوم داوموا على الرياضة، فرأوا أنهم قد تجوهروا فقـالوا: لا نبـالي الآن ما عملنـا، وإنما الأوامر والنواهي رسوم العوام، ولو تجوهروا لسـقطت عنهم، وحاصل النبـوة يرجع إلى الحكمة والمصـلحة، والمـراد منها ضبط العوام، ولسنا نحن من العـوام، فنـدخل في حجر التكليف - فهل هـذا القـول كفر من قائلـه؟ أم يبدع من غير تكفير؟)).

أجاب رحمه اللـه: ((لا ريب عند أهل العلم والإيمـان أن هذا القـول من أعظم الكفر وأغلظـه، وهو شر من قول اليهود والنصـارى، فـإن اليهـودي والنصـراني آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض)).[1]

وقال رحمه الله أيضاً: ((إن هؤلاء خارجون في هـذه الحال عن جميع الكتب والشـرائع والملـل، لا يلـتزمون لله أمراً ولا نهيـاً بحـال، بل هـؤلاء شر من المشـركين المستمسكين ببقايا من الملل)).[2]

وسـئل رحمه الله عمن يقـول: ((إن غاية التحقيق وكمـال الطريـق، تـرك التكليف بحيث أنه إذا ألـزم بالصـلاة يقـوم ويقـول: خرجنا من الحضـرة، ووقفنا بالباب)) فأجاب رحمه الله، بقوله:

---

5 (?) قواعد التصوف: لأحمد بن رزق، ص20، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1976م. والفتوحـات الإلهية: ابن عجيبة الحسني، ط51، ط عالم الفكر بالقاهرة.

1 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص401.

2 (?) المرجع السابق: جـ11، ص402.

((أما من جعل كمـال التحقيق الخـروج من التكليف فهـذا مـذهب الملاحـدة من القرامطة والباطنيـة، ومن شابههم من الملاحـدة المنتسـبين إلى علم أو زهـد، أو تصوف أو تزهد. يقـول أحـدهم، ((إن العبد يعمل حـتى تحصل له المعرفـة، فـإذا حصـلت زال عنه التكليـف، ومن قـال هـذا: فإنه كـافر مرتد باتفـاق أئمة الإسـلام، فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جاء على كل بـالغ عاقـل،إلى أن يمـوت. قـال تعـالى: **{ وَاعْبُـدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَـكَ الْيَقِينُ }** [الحجــر:99] واليقين هنا ما بعد الموت...)).[1]

هـذا ما توصل إليه المتصـوفة من انحـراف وتبـديل لـدين اللـه، بينما كـان الأولـون منهم يقيـدون زهـدهم وتصوفهم بالكتاب والسنة.

قال الجنيد: ((علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقــرأ القــرآن، ولم يكتب الحــديث، لم يصح له أن يتكلم في علمنا هذا)).

وقال سهل التستري: ((كل وجد لا يشهد له الكتــاب والسنة فهو باطل)).[2]

التأويل الباطني في التفسير:

إن التفرقة بين الظاهر والباطن قد أدت بالمتصـوفة إلى تأويل الآيات وتحريفها تحريفاً شـنيعاً، وقد حـاولت كل الفـرق الضـالة الباطنية أن تجد في التأويل نصـيراً لها من كتاب الله، يتناسب وأهواءها.

---

1 (?) المرجع السابق: جـ11، ص539.

2 (?) المرجع السابق: جـ11، ص585.

ولذلك ضبط علم التفسير عند أهل السنة بـ((أصول التفسير)) حتى لا يتحول الأمر إلى فوضى لا نهاية لها، وإليك غرائب التفسير عندهم.

ففي تفسير آية **{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي }** [الأنعام:76]. قال فيها صاحب منازل السائرين: ((رأى هذه: حالة العطش كأن إبراهيم عليه السلام لشدة عطشه إلى لقاء محبوبه، لما رأى الكواكب قال: هذا ربي، فإن العطشان إذا رأى السراب ذكر به الماء)).

وآية **{ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ }** فسرها الشيخ عبد الغني النابلسي - وهو من المتأخرين - ((أي صورتك الظاهرة والباطنة، يعني جسمك وروحك، فلا تنظر إليها لأنها نعلاك)).[1]

ومن ذلك التفسير الإشاري، والتأويلات الصوفية للقرآن:

ما يذكره ابن عطاء الله الإسكندري في لطائفه نقلاً عن بعض مشايخه أنه فسر الآية **{ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً }** [الشورى:49] الحسنات، **{ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ }** [الشورى:49] العلوم، **{ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً }** [الشورى:50] علوماً وحسنات.. الخ.[2]

ومن ذلك يقول ابن عربي في تفسير قول الله عز وجل:

---

1 (?) شطحات الصوفية: عبد الرحمن بدوي، ص195. وانظر: الصوفية: محمد العبدة، ص53-54.

2 (?) لطائف المتن: ابن عطاء الله الاسكندري، ص248، تحقيق: عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر، مطبعة حسان، القاهرة.

{ الم } أشار بهذه الحروف إلى كل الوجـود حيث هو كــلّ، لأن (أ) إشـــارة إلى ذات الله الـــذي هو أول الوجود.. و(ل) إلى العقل الفعال المسمى ((جبريل)).. و(م) إلى محمد الذي هو آخر الوجود)).[1]

وقد جمع للمتصـــوفة أبو عبد الـــرحمن الســـلمي تفسيراً للقرآن الكريم من كلامهم الذي أكثره هـذيان، يبلغ مجلــدين، ((فقد أتى بمصـــائب وتـــأويلات باطنية نسأل الله العافية)).[2]

ومما نقله الـــدكتور عبد الحليم محمـــود عن أبي الحسن الشـــاذلي تفســـير قوله تعـــالى على لســـان موسى عليه السلام: **{ هِيَ عَصَـايَ }** [طـه:18] أي معرفتي بك أعتمد عليها، **{ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي }** [طه:18] أولادي في التربية، **{ وَلِيَ فِيهَا مَـآرِبُ أُخْرَى }** [المائـدة:18] من بـاب: لي وقت مع ربي لا تسعني فيه أرض ولا سماء.[3]

فالصـوفية يعتقـدون أن العامة يأخـذون بـالظواهر، وأكثر الشريعة جـاء حسب فهمهم، أما المتصـوفة فهم العارفون وهم أهل الحقائق.

ولـــذلك يقـــول ابن عـــربي: ((ما خلق الله أشق ولا أشد من علمـــاء الرســـوم على أهل الله المختصـــين بخدمتـــه... الـــذين منحهم أســـراره في خلقـــه، وفهم معاني كتابه وإشارات خطابه)).[4]

---

1 (?) تفسير ابن عربي: جـ1، ص5، طبعة طهران، نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر، ص279.

2 (?) تذكرة الحفاظ: الذهبي، جـ3، ص249، طبعة القاهرة.

3 (?) المدرسة الشاذلية الحديثة: د. عبد الحليم محمود، ص403، طبعة القاهرة.

4 (?) الفتوحـات المكيـة: ابن عـربي، البـاب الرابـع والخمسـون، طبعـة الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، 1405هـ.

المبحث الثاني
الأولياء والكرامات

من أكـثر الأشـياء الـتي تعلق بها المتصـوفة قـديماً وحديثاً هو موضوع الأولياء وما يحصل لهم من كرامات وخـوارق العـادات. فما الـولي لغـة؟ وما حقيقة الولاية الشرعية؟ وما تصور الولاية لدى المتصوفة؟

الولي لغة:

((القـــــريب، والولاية ضد العـــــداوة، وأصل الولاية المحبة والتقـــرب، والمـــراد بأوليـــاء اللـــه: خلّص المؤمنين)).

قـال ابن تيمية رحمه اللـه: الـولي سـمّي وليـاً من موالاته للطاعـــات، أي متابعته لهـــا، ويقـــول ابن حجر العسـقلاني: المـراد بـوليّ اللـه، العـالم بالله تعـالى، المواظب على طاعته)).

هكذا كانت النظرة إلى الولاية حتى دخل المصـطلح أوســاط الشــيعة والصــوفية، فــأطلقت الولاية على أئمتهم ومشــايخهم، مــراعين فيه اعتبــارات أخـــرى جديدة.

فالصوفية: يرون أن أكبر مقامـات الـولي عنـدهم هو (الفناء) وهو باب الولاية ومقامها.

ويرى القشيري: ((أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء هي العصمة من المعاصي والمخالفات)) وهذه قلدوا فيها الشيعة الذين يعتقدون العصمة في أئمتهم.

أما عند ابن عربي فهي مراتب ومنها مرتبة ((الولاية الخاصة)) والأوليـاء هم الورثة لأنهم أخـذوا علمهم عن الله مباشرة؟[1]

يقـول ابن عـربي: ((علمـاء الرسـوم - يقصد علمـاء الشــريعة - يأخــذون عن الســلف إلى يــوم القيامــة، والأوليـاء يأخـذون عن الله ألقـاه في صـدورهم رحمة منه، وعناية سبقت لهم من ربهم)).[2]

((أي أنهم يزعمون: أن علماء الشريعة إنما يأخـذون عن السلف وقد طواهم المـوت، أما هم فيأخـذون عن الله مباشرة من غير واسطة ملك أو نبي، وبهذا كفروا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم)).[3]

والولاية الحقة: لا تكـون إلا باتبـاع السـنة. يقـول ابن تيمية: ((فأولياء الله المتقون هم المقتدون لمحمد صلى الله عليه وسلم فيفعلون ما أمر بـه، وينتهـون عما زجر عنـــه، فيؤيـــدهم الله بملائكته وروح منـــه، ويقـذف الله في قلـوبهم من أنـواره، ولهم الكرامـات التي يكرم الله بها أوليـاءه المتقين، وخيـار أوليـاء الله تكون كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسـلمين، كما كانت معجـزات نـبيهم صـلى الله عليه وسـلم ، كـذلك وكرامـات أوليـاء الله إنما حصـلت ببركة اتبـاع رسـوله صـلى الله عليه وسـلم ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول صـلى الله عليه وسـلم)).[4]

---

1 (?) الصوفية: محمد العبدة، ص63،64.

2 (?) هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل، ص129، عن فصوص الحكمة لابن عربي، ص130.

3 (?) المرجع السابق: ص130.

4 (?) مجموع الفتاوى: جـ11، ص274.

الكرامات عند الصحابة والتابعين:[1]

وقد حصل للصحابة رضوان الله عليهم كرامات، وكانت إما لحاجة أو حجة في الدين، من ذلك ما أكرم الله به أم أيمن عندما هاجرت وليس معها زاد ولا ماء، فكادت أن تموت من العطش، وكانت آنذاك صائمة، فلما كان وقت الإفطار سمعت حساً على رأسها، فإذا دلو معلق فشربت منه، حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها.

وكان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبر قسمه، كما كان سعد بن أبي وقاص مستجاب الدعوة، فما دعا قط إلا استجيبت دعوته، وعندما ألقي أبو مسلم الخولاني في النار، لم تحرقه. رضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين.

وعندما كان خبيب بن عدي أسيراً عند المشركين بمكة، كان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنبة آنذاك.

ومن التابعين[2]**:** كان الحسن البصري قد تغيب عن الحجاج، ودخلوا عليه ست مرات، فدعا الله عز وجل فلم يروه. وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوقات الصلوات، وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره.

وينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بسبب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان، أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه، ويسد حاجته، ويكون

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص275-283.

2 (?) المرجع السابق: جـ11، ص280-283.

مَنْ هو أكمل منه ولاية لله، مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلــك، لعلو درجته وغنــاه عنهــا، لا لنقص ولايتــه، ولهـذا كـانت هـذه الأمـور في التـابعين، أكـثر منها في الصحابة... وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية.

الأحــوال الشــيطانية والمعجــزات: قد يخــدم الجن والشياطين بعض الكفرة أو الفسقة، فيخــبرونهم بالأمور الغيبية، أو يؤدون لهم خدمات خارقة.

((فالأسـود العنسي الـذي ادّعى النبـوة، كـان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبــة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولـون فيـه، حـتى أعـانتهم عليه امرأته لما تـبين لها كفره فقتلوه.

((وكذلك مسيلمة الكذاب، كـان معه من الشـياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور..

فأهل الأحوال الشيطانية، تنصـرف عنهم شـياطينهم عادة، إذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي..

ومن هـــؤلاء من يأتيه الشــــيطان بأطعمة وفواكه وحلــوى وغــير ذلك مما لا يكــون في ذلك الموضــع، ومنهم من يطير بهم الجـني إلى مكة أو بيت المقـدس أو غيرهما، ومنهم من يحمله شيطانه عشية عرفـة، ثم يعيـده من ليلته فلا يحجّ حجـاً شـرعياً بل يـذهب بثيابه ولا يحـرم إذا حـاذى الميقـات ولا يلـبي.. ولا يعتـبر له حج)).[1]

---

[1] (?) انظر: المرجع السابق: ابن تيمية، جـ11، ص284-288.

الفرق بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية:

إن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، أما الأحوال الشيطانية فسببها ما نهى الله عنه ورسوله... فالاستغاثة بالمخلوقات.. والشرك والظلم والفواحش من الأحوال الشيطانية، وليست من الكرامات الرحمانية.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق حي أو ميت، سواء كان ذلك الحي مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي به حاجة ذلك المستغيث... ومنهم من يتصور له الشيطان يقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه.[1]

((ومنهم من يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان، فزجره واستعاذ بالله منه فيزول.

((ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة، يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين..

فهذه أحوال شيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة، وهم درجات، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم، وهم على مذهبهم...

ومثل هذه الأمور يطول وصفها، والإيمان بها إيمان بالجبت والطاغوت، والجبت السحر.

---

[1] (?) انظر: الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص284-288.

وإن كـان الرجل مطيعـاً لله ورسـوله، لم يمكنهم الدخول معه في ذلك، أو مسالمته)).[1]

ويقـول ابن تيمية في هـؤلاء من مـدعي الولايـة: ((ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً، ليلاً ونهاراً مع غاية الزهد، وعبده مجتهداً في عبادتـه، ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله - وهو القرآن - كان من أوليـاء الشـيطان، ولو طـار في الهـواء أو مشى على الماء، فإن الشيطان يحمله في الهواء)).[2]

الكرامات عند المتصوفة:

تمتلئ كتب المتصوفة بذكر الغرائب والشطحات التي لا تخضع إلى عقل، ولا تنسجم مع منطق سوي. من ذلك ما رواه الشعراني في طبقاته من أن بعض مريدي البدوي ذكـر: أن أحد زملائهم وهو إسماعيل الأنباني كان صاحب كرامات، فقد كلمته البهائم، وكان يخبر أنه كان يرى اللوح المحفوظ، ويقول: يقع كذا وكذا لفلان، يجيء الأمر كما قال، فأنكر عليه شخص من علماء المالكية، وأفتى بتعزيره فبلغ ذلك سيدي إسماعيل فقال: ومما رأيته في اللوح المحفوظ أن هذا القاضي يغرق في بحر الفرات)).

وقال الشعراني: ((وأخبرني شيخنا محمد الشناوي أن شخصاً أنكر حضور مولد سيدي أحمد البدوي، فسلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيدي أحمد فقال: بشرط أن لا تعود، فقال: نعم، فرد عليه ثوب إيمانه. ثم قال له:

---

[1] (?) المرجع السابق: جـ11، ص289-290، جـ11، ص173.

[2] (?) المرجع السابق نفسه.

وماذا تنكر علينا؟ قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال سيدي أحمد: ذلك واقع في الطواف ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي، ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضاً، أفيعجزني في الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي))؟

فهذا فيه من الاستغاثة بغير الله وهو من أعظم الشرك، وأكبر الفتنة.[1]

ومن شطحات الصوفية، ما ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتابه (ختم الولاية)، وهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، حيث غلا في ذكر الولاية فقال: ((فكما أن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء، فأعطي خاتم النبوة، وهو حجة الله على جميع الأنبياء، فكذلك هذا الولي آخر الأولياء في آخر الزمان... فإذا أتى وقت زوال الدنيا، بعث الله ولياً اصطفاه واجتباه وقربه وأعطاه ما أعطى الأولياء، وخصه بخاتم الولاية، فيكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء... فإذا برز الأولياء يوم القيامة ينصب له مقام الشفاعة، فلم يزل هذا الولي مذكوراً أولاً في البدء، أولاً في الذكر، أولاً في العلم، ثم الأول في اللوح المحفوظ والأول في الحشر وفي الشفاعة...)).[2]

وماذا بعد هذا القول من الضلال والغلو؟

---

1 (?) عن كتاب: التصوف في ميزان البحث والتحقيق: عبد القادر بن حبيب الله السندي، مكتبة ابن القيم في المدينة النبوية، 1410هـ.

2 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص373-376.

وهنالك نـــــوع من الغلو يطلق على أصـــــحابه **المجـــاذيب**: إذ ترفع عنهم التكـــاليف، وقد يكـــون المجـــذوب بجســـده على الأرض، بينما يكـــون عقله سابحاً في ملكـوت السـماء، يطلع على الغيب، ويخـبر من حوله من النـــاس بالمغيبـــات، بعد أن كشف له الحجاب - هكذا يزعمون.

والجذبة عند الصـوفية تـوازي عمل الثقلين عنـدهم، وتعــني الجذبة أن الله يجــذب الصــوفي إلى حضــرته ويكشف له الحجاب.

والمجذوب في واقع الحـال لا يعـدو أن يكـون - في أغلب الأحيـان - مجنونـاً أو دجـالاً متظـاهراً بـالجنون، لكن الجماهير تعتقد أنه جن عندما كشف له الحجــاب، وجذبه الخـــالق، لأنه ما عـــاد يحتمل عـــالم الغيب الرهيب...

وقد كـــثر هـــؤلاء ممن يمشـــون في الطرقـــات مكشوفي العورات، ومرتكبين للمباحـات والمحرمـات.[1]

هذا ويمتلئ كتاب الطبقات للشعراني بقصص هؤلاء المجـذوبين ويعتقد المتصـوفة بـأنهم أوليـاء اللــه، فلا يعترض عليهم خشـية أن يصـيب المعـترض ما لا تحمد عقباه.

من ذلك ما ورد في خـبر أحد الشـيوخ الـذين تـرجم لهم، من أنه كـــان يغلب عليه الحـــال، فيتكلم بالألسن

[1] (?) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص332-336.

العبرانية والسـريانية والعجميـة، وتـارة يزغـرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء.[1]

وجاء في خبر شيخ آخر: أنه كان يتشـوش من قـول المؤذن؟ ((الله أكبر)) فيرجمه ويقـول: ((نحن كفرنا يا مسلمين؟ حتى تكبروا علينا؟)).[2]

فهذا وإن كان لا يعبر عن رأي الصـوفية جميعهم، إلا أنه يدلنا على سبب انتشار هـذه الخرافـات في العـالم الإسـلامي، وأن هـؤلاء المعتـوهين تصـنع لهم الهـالات ويعتبرون من أولياء الله المقربين؟

ويرى الصوفية أنه في حالة الجـذب قد يصل المـرء إلى درجة من فقـدان الـوعي، حـتى أنه لا يـرى ولا يسمع وقد يهيم على وجهه، كما ورد ذلك عن سهل بن عبد الله ((أبو حمزة البغدادي)) وأنه ظل مرة مستمراً في انجذابه خمسة وعشرين يوماً، لا يطعم وإن أجـاب عن مسائل يسألها له أهل العلم)).[3]

والقول الفصل في مدّعي الولاية: ما قاله ابن تيمية رحمه اللـه، قـال: ((من اعتقد أن لأحد من الأوليـاء، طريقـاً إلى الله من غـير متابعة محمد صـلى الله عليه وسلم ، فهو كـافر من أوليـاء الشـيطان، ولو بلغ الرجل في الزهد والعبـادة والعلم ما بلـغ، ولم يـؤمن بجميع ما جـاء به محمد فليس بمـؤمن ولا ولي لله تعالى كالأحبار والرهبـان من علمـاء اليهـود والنصـارى وعبـادهم... وكل من له علم أو زهد وعبـادة في دينه

---

1 (?) الطبقات الكبرى: الشعراني، ص115، في ترجمة الشيخ محمد السروري، ت932هـ.

2 (?) السابق: ص126، في ترجمة الشيخ إبراهيم عصيفر، ت942هـ.

3 (?) انظر: حلقات الصوفية: السلمي، ص295، وكتاب موقـف الإمـام ابن تيميـة من التصـوف والصـوفية: د.أحمد البناني، ص244.

وليس مؤمناً بجميع ما جاء به فهو كافر عـدو للـه، وإن ظن طائفة أنه ولي لله)).

((والناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضـلهم في الإيمان والتقوى)).[1]

[1] (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص170-175.

المبحث الثالث
الصلة بين التصوف والتشيع

وفيه مطلبان:

الأول: التشابه بين التصوف والتشيع في الأفكار والمعتقدات.

الثاني: مدرسة التشيع الصوفي وأهدافها السياسية في القرن السابع الهجري.

إن تغلغل التشيع في أفكار الصوفية ومعتقداتهم لأمر مريب حقاً، فإضافة إلى تقسيم الشريعة إلى ظاهر وباطن، والغلو في ادّعاء الولاية والتقديس للأئمة والأولياء، فإن هنالك تشابهاً وتطابقاً في كثير من المعتقدات والأفكار نوجزها في النقاط التالية:

أ- التشابه في مراتب الصوفية ودرجاتهم.

ب- الغلو في علي ، وفي ذريته.

جـ- التشابه في ادّعاء علم الغيب والعروج إلى السماء، وتنزل الملائكة عليهم.

د- الاعتقاد في عصمة الأئمة والأولياء.

وقد صدرت رسائل ودراسات في بيان الصلة بين التصوف والتشيع، ولم يعد الأمر سراً من الأسرار.[1]

---

1 (?) ينظر: الصلة بين التصوف والتشيع: د. كامل مصطفى الشيبي، ط بيروت، 1982م.

المطلب الأول
التشابه الكبير في الافكار والمعتقدات

أ- في مراتب الصوفية ودرجاتهم:

لقد وضع المتصوفة مراتب ودرجات لبيان طبقات الصوفية ومكانتهم، وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب: ((خواص الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده على عباده، الأبدال والأقطاب والأوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء، وسيدهم الغوث)).

وقد رتبوا أولياءهم حسب أهميتهم على الشكل التالي:

1- القطب أو الغوث وهو مقيم بمكة.

2- الأوتاد الأربعة: وهم أربعة رجال، منازلهم على منازل الأربعة أركان من العالم، شرق غرب وشمال وجنوب.

3- الأبدال وعددهم أربعون وهم بالشام؟ وعند الجرجاني في تعريفاته: هم سبعة رجال، من سافر من موضع ترك جسداً على صورته حياً بحياته.

4- النجباء وهم الذين يحملون عن الخلق أثقالهم، عددهم سبعون وهم بمصر.[1]

---

[1] (?) انظر: الجرجاني: التعريفات ص39، 23. التصوف المنشأ والمصادر: ص231. التصوف: عبد القادر السندي، ص525. والصوفية: محمد العبدة، ص70-71.

والقطب عنـــــدهم كما يقـــــول مؤسس الطريقة التيجانية: ((هو الخلافة عن الحق مطلقـاً فلا يصل إلى الخلق شيء من الحق (الله) إلا بحكم القطب)).[1]

ويلاحظ أن صلة التصوف بالتشيع صلة قوية ظاهرة، في هـذه الـدرجات والمـراتب، وهـذا ما أشـار إليه ابن خلدون إذ يقول: ((إن هؤلاء المتـأخرين من المتصـوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس، توغلــوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحـدة.. كـابن عــربي وابن ســبعين وابن الفــارض، وكــان ســلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمـة، مـذهباً لم يعـرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخــر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بـالقطب... وقد أشـار إلى ذلك ابن سـينا ((في كتاب الإشارات في فصول التصـوف))... وهـذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو بعينه ما تقوله الرافضة ودانـوا بـه، ثم قـالوا بـترتيب وجـود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقبـاء)).[2]

ويقول ابن تيمية رحمه الله: ((وهؤلاء الذين يــدعون هـــذه المـــراتب، فيهم مضـــاهاة للرافضة من بعض الوجــوه، بل هــذا الــترتيب والأعــداد تشــبه من بعض الوجـوه تـرتيب الإسـماعيلية والنصـيرية ونحـوهم، في

---

1 (?) هذه هي الصوفية: ص125، عبد الرحمن الوكيل، طبعة دار الكتب العلمية.

2 (?) مقدمة ابن خلدون: الفصل الحادي عشر في علم التصوف، ص473، طبعة القاهرة.

السابق والتـالي والنـاطق والأسـاس... وغـير ذلك من الترتيب الذي ما نزل الله به من سلطان)).[1]

ويقول أيضاً: ((وكل حديث يـروى عن النـبي صـلى الله عليه وسلم ، في عدة الأوليـاء والأبـدال والنقبـاء والنجبـــاء والأوتـــاد أو القطب الواحد، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ولم يرد عن السلف)).[2]

ب- الغلو في عليّ وبنيه:

من الملاحظ أن سلاسل التصـــوف كلها -ما عــــدا النـادر القليل منهـا- تنتهي إلى عليّ بن أبي طـالب ، دون ســائر أصــحاب رســول الله صــلى الله عليه وسلم .

ونجد أن في طرق إســنادها إلى عليّ وأبنائه دون غــيرهم، ومما يــذكر أن رؤســاءهم لهم اتصــال وثيق وصلات وطيدة مع أئمة الرافضة، كما تذكره تـراجمهم وسيرهم وأحوالهم، إضافة إلى الخرقة الصـوفية الـتي لا يبدأ ذكرها أيضاً إلا من علي أيضاً)).[3]

فعليّ حسب كلام المتصـــوفة: ((من أصـــحاب العلم، وممن يعلمون من الله ما لم يعلمه غيره)).[4]

وهـذا الغلو في عليّ وأبنائه لا يقل عن غلو الشـيعة فيـه، وإليه تنسب سلاسل التصـوف كلها عند الشـيعة كــذلك، فقد كــان ((الصــوفي المشــهور أبوالعبــاس المرسي تلميذ الشـــاذلي يقـــول: ((طريقتنا هـــذه لا

---

1 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص439.

2 (?) المرجع السابق: جـ11، ص167.

3 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص147-158.

4 (?) الفتوحات المكية: ابن عربي، جـ1، ص260.

تنسب للمشارقة ولا للمغاربــة، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن عليّ بن أبي طـــــــــــالب ، وهو أول الأقطاب)).[1]

ويعتـبر الرفـاعيون أن الرفـاعي زعيم طـائفتهم هو الإمام الثالث عشر بعد الثاني عشر الموهوم، الذي لم يولد.[2]

إن الانتســاب إلى آل الــبيت نســباً أو طريقــةً مما يجـــذب عامة المســـلمين، ويســـاعد على إخفـــاء الانحرافات والأهداف المشبوهة.

جـ- التشابه في ادّعاء علم الغيب والعروج إلى السماء وتنزل الملائكة عليهم:[3]

يرى الشيعة أن الإمام علي كـان يـنزل عليه الـوحي ويكلمه الله ويناجيه بلا حجـــاب، ثم تـــوارث هـــذه الأوصاف خلفه من بعده إلى خاتم الأئمة، وقد ورد في كتــاب (الكــافي) للكليــني، وهو كالبخــاري عند أهل السنة، أن جعفر الباقر الإمام المعصوم السادس لـدى الشيعة قال: ((وكان أمير المؤمنين عليه السلام كثـيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنـار، وأنا الفـاروق الأكـــبر... ولقد أقـــرت لي جميع الملائكة والـــروح والرسل بمثل ما أقــروا به لمحمد صــلى الله عليه وســلم ... ولقد أعطيت خصــالاً ما ســبقني إليها أحد

---

1 (?) طبقات الشعراني: جـ2، ص14.

2 (?) المجالس الرفاعية: ص6، أحمد الرفاعي، مطبعة الإرشاد، بغداد.

3 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: من ص159 حتى ص185.

قبلي، علمت المنايا والبلايـــــا، والأنســـــاب وفصل الخطاب...)).[1]

ويــــرون كـــذلك أن أئمتهم أفضل من الأنبيـــاء -كما صرح بـذلك الكليـني- وأن الإمامة فـوق النبـوة. وقـال الخميـــني مثل ذلك في كتابه ولاية الفقيه قـــال: ((إن من ضـــروريات مـــذهبنا أنه لا ينـــال أحد المقامـــات المعنوية الروحية للأئمـــة، لا ملك مقـــرب ولا نـــبي مرسل)).

وإذا رجعنا إلى آراء الصـــــوفية المبثوثة في كتبهم نجـدها مطابقة لما عند الشـيعة في هـذه المعتقـدات تماماً.

يقول الصوفي الكبير عبد القـادر الحلـبي المعـروف بابن قضيب البان: ((كل ما خصت به الأنبيـاء خصت به الأولياء)).[2]

ونقل النفـزي الرنـدي عن بعض المشـائخ أنه قـال: ((إن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسـلم عليّ فأسـمع تسليمها)).[3]

ويقـــول ابن عـــربي: ((إن القطب يـــنزل على قلبه الروح الأمين، حيث يذكر في كتابه مواقع النجوم:[4]

وهـــذا المقـــام-أي رفع الحجـــــاب
وبــــــدا هلال التم للنـــاظرين وزال

---

1 (?) الأصول من الكافي: جـ1، ص196-197، طبعة إيران، نقلاً عن المرجع السابق ص160.

2 (?) المواقف الإلهية: ابن قضيب البان، ص20، ملحق بكتاب الإنسان الكامل لعبـد الـرحمن بـدوي، طبعـة وكالة المطبوعات، الكويت، 1976م.

3 (?) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية: النفـزي الرنـدي، 1/262، طبعـة دار الكتب الحديثـة، القاهرة،1970م.

4 (?) مواقع النجوم: ابن عربي: ص102، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر.

وتنزل الـروح الأمين يـــــــوم العروبة

ويعتقدون كذلك **بعروج المتصوفة إلى السـماء** ووقـوفهم بين يـدي الـرب ومناجـاتهم لـه. يقـول أحد المتقدمين من الصوفية نجم الدين كبرى المقتول سنة 618هـــ: ((إنه ممن عـــرج به إلى الســـماء)) أما ابن عـــربي، فقد جعل عروجه محاكيـــاً المعــراج النبـــوي الشريف (في كتابه الإسراء). ومثل هذا الانحراف كثير في كتبهم.[1]

ولما حصل الاختلاف بين علمــاء بخــارى في **إمكان رؤية الله أم لا؟!** تحـــــاكموا عند شـــــيخ الطريقة النقشبندية ((شاه نقشبند)) فقال للذين ينفون الرؤية: أقيمـوا في صـحبتي ثلاثة أيـام متطهـرين، فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حـال قـوي فصـعقوا، فلما أفـاقوا جعلـوا يقبلـون قدمه الشـريف وقـالوا: آمنا أن الرؤية حق، ثم لم ينقطعوا عن خدمته)).[2]

ولا يجوز بحـال أن يـزعم أحد بأنه يـرى ربـه، وهـذه فرية عظيمة يقشـعر لها بـدن المـؤمن، فهل يعقل أن يقول الله لموسى عليه السلام: ((لن تراني)) ويســمح لأمثال هؤلاء برؤيته؟!

ولما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: هل رأى محمد ربه؟ قالت: سبحان اللـه! لقد وقف شـعري لما قلت)). رواه مسلم برقم (289).

---

1 (?) انظر: التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص166 وما بعدها.

2 (?) المواهب السرمدية: ص145-146، نقلاً عن النقشبندية: عبد الـرحمن دمشـقية، دار طيبـة، الريـاض، 1404هـ.

وعنها رضي الله عنها أنها قـــــالت: ((من زعم أن محمداً صـلى الله عليه وسـلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية)).

ويـزعم المتصـوفة **أنهم يطلعـون على الغيب**: ((لأنه إذا انكشفت الحجب عن القلب، تجلى فيه شيء مما هو مستور في اللوح المحفوظ)).[1]

ويقول أحد غلاتهم: ((ما السماوات السبع والأرضون السـبع في نظر العبد المـؤمن إلا كحلقة ملقـاة في فلاة))، ((وإن الجـنين إذا سـقط من بطن أمه يـراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره)).[2]

وهـذا كله يتعـارض مع بـدهيات الإسـلام، ومع قوله تعـالى: **{ وَعِنْـدَهُ مَفَـاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُـوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْـقُطُ مِنْ وَرَقَـةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـــاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }** [الأنعام:59].

وقوله تعالى: **{ تِلْكَ مِنْ أَنْبَـاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْـكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَـذَا فَاصْـبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ }** [هود:49].

إلا أن غرائب المبتدعة وادّعاءاتهم تكاد لا تنتهي.

---

1 (?) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب: عماد الـدين الأمـوي، وبهـا مسـند قـوت القلـوب لأبي طالب، طبعة دار صادر، بيروت، ص261.

2 (?) الإبريز: عبد العزيز الدباغ، طبعة مصر، ص242-274.

د- العصمة:[1]

يـرى المتصـوفة في أوليـائهم أنهم محفوظـون (أي معصـومون)، كما يعتقد الشـيعة في أئمتهم العصـمة، لأن الإمام عندهم يجب أن يكون معصوماً.

قـــال ابن بابويه الملقب بالصــــدوق عند الشــــيعة: ((اعتقادنا في الأنبيـاء والرسل والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون مطهـرون من كل دنس، وأنهم لا يـــذنبون ذنبـــاً صـــغيراً ولا كبـــيراً.. ومن نفى عنهم العصـــمة في شـــيء من أحـــوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر)).[2]

وغلاة المتصوفة يصرحون بعصمة أوليائهم. قال ابن عربي: ((إن من شرط الإمام الباطن (يعني الولي) أن يكون معصوماً وليس الظاهر كذلك)).[3]

وقالوا: ((ومن شرط الولي أن يكـون محفوظـاً، كما أنه من شرط النبي أن يكون معصوماً)).[4]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الباب موضـحاً ضلال الطائفتين: ((وكذلك الرافضة موصـوفون بـالغلو عند الأئمة... وهؤلاء الإمامية يدعون ثبــوت إمامة عليّ بالنص، وأنه كان معصوماً، هو وكثير من ذريته...

---

1 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير، ص201-212.

2 (?) اعتقادات الصدوق: ص108، طبعة إيران نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر.

3 (?) الفتوحات المكية: جـ3، ص183.

4 (?) الرسالة القشـيرية: جــ2، ص521. مواقـع النجـوم: ابن عـربي، ص80. غيث المـواهب: النفـزي، ص 131.

ومن جعل بعد الرسول معصوماً - يجب الإيمان بكل ما يقوله - فقد أعطـــاه معـــنى النبـــوّة، وإن لم يعطه لفظها..

وكثير من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك، ويقولون: ((الشيخ محفـوظ، ويـأمرون باتّباعه في كل ما يفعـل، لا يخـالف في شـيء أصـلاً، وهـذا من جنس غلو الرافضة والنصـارى والإسـماعيلية... ومعلـوم أن كل هــذه الأقــوال مخالفة لــدين الإســلام، للكتــاب والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها...

وقد اتفق أهل العلم، أهل الكتــاب والســنة، على أن كل شخص سـوى الرسـول، فإنه يؤخذ من قوله ويـترك إلا رســول الله صــلى الله عليه وســلم ، فإنه يجب تصـديقه في كل ما أخـبر، وطاعته في كل ما أمـر، فإنه المعصــوم الــذي لا ينطق عن الهــوى، إن هو إلا وحي يوحى)).[1]

وأخيراً: أخي القارئ!

هل كــان هــذا التطــابق في الأفكــار والمعتقــدات والتصورات، عفوياً وبلا سـابقة من التخطيط والسـعي الدائب لتخريب معتقدات الأمة؟!

ألا يذكرنا هذا بفتنة عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل، والـذي اتخذ التشـيع لعليّ سـتاراً لبث سـموم يهـود ومعتقـــداتهم، وذريعة للفتنة وإراقة الـــدماء منذ فجر الإسلام؟!

ألم يحرق عليّ أصـحاب عبد الله من السـبئية، ثم هم بقتل ابن السوداء فهرب إلى أقاصي خراسان؟!

---

1 (?) منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، ص174، 175، طبعة لاهور، باكستان.

وهـاهم أحفـاد ابن سـبأ يعيثـون الفسـاد في عقيـدة المسلمين عن طريق غوغاء التصوف والصوفية، فعلينا أن نعيد النظر في دراسة هذه البدع، وتنقية الدين مما شابه من شوائب دخيلة.

المطلب الثاني
مدرسة التشيع الصوفي وأهدافها السياسية
في القرن السابع الهجري[1]

بعد أن ضعفت الخلافة العباسية في بغـداد، وخـراب التتـــار لها فطن الشـــيعة البـــاطنيون لإعـــادة الخلافة العبيدية التي قضى عليها السلطان صلاح الــدين، ومن جاء بعده خلال دولتي الأيوبيين والمماليك.

يقــول محمد فهمي عبد اللطيف في كتابه ((الســيد البدوي أو دولة الدراويش في مصر)) كان التصوف قد وضح في الحياة الإسلامية كظـاهرة اجتماعيـة، وأصـبح المتصـوفة قـوة في المجتمع الإسـلامي لها تأثيرها في اجتذاب النفوس، فاستغل الشيعة الباطنية هذه الناحية لمواجهة الخلافة العباسية، وذلك في دهاء وبراعة.[2]

وقد أعد لهــذه المهمة إعــداداً خاصــاً الســيد أحمد البـــدوي، وتعـــاون من أجل ذلك مع عـــدد من رمـــوز الصوفية الباطنية آنذاك كما سيأتي تفصيله.

1- فما حقيقة السيد البدوي؟!

يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق شـيخ الأزهـر: أنه رجع إلى مخطوطة مغربية ينكر صـــــاحبها أن ((أحمد

---

1 (?) اعتمدت كثيراً في هذا المبحث على كتاب ((السيد البدوي: دراسة نقدية)) د. عبد الله صـابر، سلسـلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية، القاهرة، 1991م، دار الطباعة والنشر الإسلامية.

2 (?) السيد البدوي (أو دولة الدراويش في مصر): مطبعة الحرية، 1948م.

البـدوي)) كـان صـوفياً، ويثبت أنه كـان علويـاً شـيعياً يهدف إلى إرجاع الملك العبيدي ((الفاطمي)) الشيعي المغـالي، وأن ((علي البـدوي)) والد ((أحمد البـدوي)) كان أحد العلـويين الشـيعة الإسـماعيلية، وأنه نـزح من المغرب إلى مكة، وكان أحمد البدوي وقتها لم يتجـاوز السـبع سـنوات وكـان ذلك عـام (603هــ) حيث عقد الشـيعة مـؤتمراً (في مكـة) بحثـوا فيه كيف يعملـون على إعادة الدولة الإسلامية العلوية - أي شيعة باطنية.[1]

وكانت بلاد المغرب وقتها مسرحاً للنشـاط الشـيعي الباطني المتستر بالتصوف، والذي يحاول إعادة الدولة العبيديـة، الـتي كـانت تقـوم على أسـاس المـذهب الإسماعيلي الباطني المغالي.

وبعد اضـــطهاد الشـــيعة، بعد أن ســـقطت الدولة الفاطمية في المغـــرب خرجـــوا في هجـــرة جماعية متجهين إلى مكة متسـترين بـالحج، وذلك ليبحثـوا عن خطة جديدة لتحقيق أهـدافهم في العـالم الإسـلامي... وكانت دعـوتهم الجديـدة قد تسـترت بسـتار التصـوف والزهـد، ولكنه كـان تصـوفاً شـيعياً مغاليـاً، كتصـوف البدوي وإبـراهيم الدسـوقي، كما كـان بعضـهم يتسـتر بستار الفلسفة كـابن عـربي ومن قبله الحلاج وغيرهما من القـائلين بوحـدة الوجـود، وقد سـاعد على نشر دعـوتهم الضـالة انشـغال الخلافة العباسـية بـالحروب الصليبية وصدهم للغزو التتاري.[2]

---

1 (?) مجلة السياسة الأسبوعية: عدد (89، 90، 92)، 1927م، مقالات تحت عنوان (المولـدان الأحمـدي والدسوقي).

2 (?) السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص6-7.

ونقل الإمـام حسن البنا رحمه الله رواية عن مجـيئ أسـرة البـدوي، قريبة من رواية الشـيخ مصـطفى عبد الرزاق.[1]

ويؤكد الدكتور سعيد عاشـور ذلك بقولـه: ((الحقيقة أنه قد ساد القرن السادس الهجري جو من الاضـطهاد للشيعة بالمغرب، مما جعلهم يتسـللون إلى المشـرق، ومازال والد ((أحمد البـدوي)) يتحين الفرصة للخلاص، حتى أتيحت له سنة (603هــ) فتظـاهر بـالخروج للحج وفي نيته عدم العودة.[2]

وفي وقت سابق على هجـرة والد ((أحمد البـدوي)) من المغـــرب إلى مكة كـــانت هجـــرة والد ((أحمد الرفـــاعي)) من المغـــرب إلى العـــراق، حيث ســـكن البطـــائح بقرية أم عبيـــدة، وأسس أحمد الرفـــاعي مدرسته من الـذين نزحـوا من المغـرب، وارتـدوا رداء التصـــوف ليخفـــوا أفكـــارهم وعقيـــدتهم الباطنية ومخططـــاتهم ضد دولة الخلافة العباســية، وقد أشـــار الذهبي في سير أعلام النبلاء إلى هذه الهجرة.[3]

ومن العـراق انطلق أحد أتبـاع الرفـاعي إلى مصـر، وهو ((أبو الفتح الواسـطي)) (جد إبـراهيم الدسـوقي) لنشر دعـــوتهم الباطنية بهـــا، وقد كـــان ذلك في العهد الأيـوبي، وبعد مـوت الواسـطي جـاء (البـدوي) ليخلفه في دعوته تلك وقد توزع هؤلاء الدعاة في مصر، فكان ((الدســـوقي)) بدســـوق و((أبو الحسن الشـــاذلي))

---

1 (?) انظر: مذكرات الدعوة والداعية: ص40-41.

2 (?) السيد البدوي شيخ وطريقـة: ص47، د. سـعيد عاشـور نقلاً عن: الجـواهر السـنية لعبـد الصـمد ص7، والطبقات الكبرى للشعراني جـ1، ص183، طبعة سنة 1954م.

3 (?) سير أعلام النبلاء: 4/323.

بالإسكندرية، و((أبو الفتح الواسـطي)) ما بين القـاهرة وطنطا والإسـكندرية، ولما مـات الواسـطي حل محله البـدوي بطنطـا. وجميعهم من فلـول العبيـديين الـذين طــردهم صــلاح الــدين الأيــوبي من مصر، ثم حــاولوا العودة تحت ستار التصوف والزهد.[1]

وقد تعـاون شـيعة المشـرق مع شـيعة المغـرب في التنســيق، فــابن بشــيش أوفد الشــاذلي ليحل محل الواســـطي في الإســـكندرية، وقد تم التنســـيق مع مدرسة أحمد الرفــاعي بــالعراق بزعامة ((عز الــدين الصياد)) الذي أقام بالقاهرة سنة 636-637هـ لــيرتب لحضـــور البـــدوي إلى ((طنطا))، كما أن كلاً من ابن بشـيش والبـدوي قد تتلمذ على يد الشـيخ بـري تلميذ ((أحمد الرفـاعي)) بـالعراق. كما أن ابن بشـيش وابن عربي قد تتلمذا على يد ((أبي مدين)) بالمغرب.[2]

2- رحلات البدوي المريبة:[3]

لقد رحل البدوي إلى العراق سنة (634هــ) بصـحبة أخيه الأكــبر وكــان العــراق آنــذاك مركــزاً من مراكز التصوف الشـيعي، حيث أتبـاع مدرسة أحمد الرفـاعي المتوفى سنة (570هـ).

وعلل البدوي لرحلته تلك قائلاً: ((بينما أنا نائم بجوار الكعبة إذ أنا بهـاتف يقـول في المنـام: ((اسـتيقظ من نومك يا همام ووحد الملك العلام... ولا تنم فمن طلب

1 (?) السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص8-9، ص28-29.

2 (?) السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص8-9، ص28-29.

3 (?) انظر: السيد البدوي - دراسة نقدية: د. عبد الله صابر، ص11-15.

المعالي لا ينام، فوحق آبائك سيكون لك حال ومقام)) [1] ولعل في هذه الرؤيا مبالغة مقصودة لإعداد القارئ لتقبل المعجزات التي نسـبت إلى السـيد البـدوي فيما بعد.

وخلال رحلته إلى العــــراق زار قـــــبر الحسن بن المنصـور الحلاج الـذي أعـدم عـام (319هــ) بسـبب عقائــده الفاســدة، ثم زار بصــحبة أخيه ((الكاظمية)) لزيارة قبور أئمة الشيعة هنالك.

((ويرى بعض الباحثين أن رحلة البـدوي إلى العـراق كانت بأمر العلويين الشيعة ليتم إعداده دعويـاً على يد الصـوفي الشـيعي ((ابن عـرب)) واسـمه في طبقـات الرفاعية ((الشـــيخ بـــري))، وهو شـــقيق ((أبي الفتح الواســطي)) حيث تعلم البــدوي كيف يبــدو مجنونــاً زاهداً)). [2]

وعـاد البـدوي إلى مكة ليصـبح شخصـاً مجـذوباً قد يطــوي أربعين يومــاً لا يتنــاول الطعــام ولا الشــراب، وغالباً يكون شاخصـاً ببصـره إلى السـماء وقد صـارت عيناه تتوقدان كالجمر. [3]

وفي مكة عــاوده الهــاتف في المنــام ثلاث مــرات قــائلاً: ((يا أحمد سر إلى طنطا فإنك تقيم بها وتــربي رجالاً وأبطالاً)). [4]

---

1 (?) السيد أحمد البدوي: د. سعيد عاشور، ص57.

2 (?) د. أحمـد صـبحي ص9 (عن طبقـات الرفاعيـة ص26،ـ 47) في كتابـه السـيد البـدوي بين الحقيقـة والخرافة: ص90.

3 (?) الجواهر السنية في الكرامات الأحمدية: عبد الصمد زين الدين الأحمـدي، نقلاً عن: السـيد البـدوي: د. عبد الله صابر، ص14.

4 (?) الطبقات الكبرى للشعراني: جـ1، ص184، ط الحلبي، 1954م، د. سعيد عاشور، ص81.

ويرى بعض الباحثين أن الشيعة هم الذين أرسلوا ((البدوي)) لنشر دعوتهم بمصر لإرجاع الملك الفاطمي الشيعي، بعد موت داعيتهم ((أبو الفتح الواسطي)) بالإسكندرية سنة 635هـ. وقد رتبوا للأمر عدته.[1]

وفي طنطا سكن ((البدوي)) سطح دار (ركن الدين) وكانت قريبة من المسجد، وحرص على الصراخ من فوق السطح ليعلم الجميع بجذبته واتخذ زي المجاذيب، وظل ضارباً اللثامين على وجهه، وكان إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يخلعها لغسل حتى تذوب، فيبدلونها له بغيرها، وإذا ما شعر بأنه سينكشف اتخذ الجذب له وسيلة للتمويه.

يروي الحافظ السخاوي، أن ابن حيان زار البدوي مع الأمير: ناصر الدين بن جنكلي يوم الجمعة، وكان الخطيب قد بدأ خطبته، عندها وضع الشيخ أحمد رأسه في طوقه بعد ما قام قائماً وكشف عن عورته بحضرة الناس وبال على ثيابه على حصر المسجد واستمر بعدها واضعاً رأسه في طوق ثيابه وهو جالس حتى انقضت الصلاة ولم يصل.[2]

وقد حاول أحد علماء المالكية استجلاء أمر البدوي فذهب مع جماعة من طلبته إلى طنطا، وهناك جلسوا بجوار الدار التي يعيش فوق سطحها السيد البدوي، حيث بدءوا ينتقدونه، وعندما سمعهم وهو فوق السطح أتى إلى طرف السطح وبال عليهم.[3]

---

1 (?) انظر تفصيلاً لذلك: السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص15.

2 (?) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ9، ص150، عن السيد البدوي السابق ص16.

3 (?) السيد البدوي: سعيد عاشور، ص128.

وهكذا اتخذ السـيد البـدوي الجـذب والوله والسـرية غير مفصح عن شيء من دعوته.

3- دعوة السيد البدوي ومخططاتها الخفية:

لقد مرت دعوة السيد البدوي بمرحلتين هما:[1]

المرحلة الأولى: كـانت في أخريـات حكم الدولة الأيوبيـــة، وتعتـــبر هـــذه المرحلة هي مرحلة انطلاق البدوي في دعوته، إذ بقي البـدوي مقيمـاً على سـطح منزل الشيخ ركن الدين ((ركين)) لمـدة اثنـتي عشـرة سنة، كان يقوم خلالها بعملين متناقضــين، الأول: يوجه إذاعة من الصــــياح والصــــراخ، ليقنع النــــاس بجذبته وجنونه وفي نفس الــوقت يسـير الــدعاة والبعــوث، ويحكم الخطط ويعاونه صـــــديقه ((عبــــدالعال)) في التنفيــذ، وكــان البــدوي يختــار دعاته من المريــدين المخلصين والقادرين على نشر دعوته بين الناس.

يقـول عبد الوهـاب الشـعراني: ((فلم يـزل سـيدي (أحمد) على السـطح مـدة اثنـتي عشـرة سـنة، وكـان ســـيدي (عبـــدالعال) يـــأتي إليه بالرجل أو الطفـــل، فيطأطئ رأسه من السطح، فينظر إليه نظـرة واحـدة فيملـؤه مـدداً، ويقـول لعبد العـال: ((اذهب به إلى بلد كذا، أو موضع كذا، ليكون داعيته فيه)).

وقد اكتمل عدد تلاميذه أربعين، وهم الذين يُسَــمَّوْنَ بالسـطوحية (نسـبة إلى السـطح الـذين كـان البـدوي يسكن فيـه) وقد تلقـوا العهد على يـده، وانتشـروا في أنحاء الديار المصرية يبشرون بتعاليمه.

---

[1] (?) انظر: السيد البدوي - دراسة نقدية: ص17-20.

وقد أرسل دعاته إلى (نفيـــــــا) بمحافظة الغربية بمصــر، وإلى (إمبابــة) وإلى بلــبيس، والقــاهرة، وإلى الشام، واليمن والموصل وغيرها.

وكــان هــؤلاء المبعوثــون يقيمــون في البلد الــذي أرسلوا إليه ولا يغادرونه حتى يموتوا.

المرحلة الثانية:[1] أيام حكم المماليك، وفي هــذه المرحلة وُضع البدوي تحت المراقبة الشــديدة، وخاصة أثناء حكم الظاهر بيــبرس الــذي واجه مــؤامرة شــيعية بزعامة (الكوراني) الصوفي الشيعي، وقد كان بيــبرس خبيراً بالمؤامرات، مشهوداً له بالدهاء.

يقــول الشــيخ مصــطفى عبد الــرزاق: ((إن البــدوي سرعان ما أحس أنه محاط بالجواسيس، وأن الظــاهر بيبرس قد وقف على نيتــه، فـانقلب يعلم النـاس النحو والصــرف، وقــرأ دروســاً في الفقــه، ولبث ســنين لا يجتمع بأحد من السطوحيين في مجلس ظاهر)).[2]

وكـانت دعـوة البـدوي قد اسـترعت انتبـاه الظـاهر بيـــبرس فكلف قاضي القضــــاة ((ابن دقيق العيد)) ليتحقق من دعوة البدوي ويتأكد من ميوله السياسية.

كما أن (الظاهر بيبرس) نفسه سار متخفياً يستطلع أخبار البدوي وأتباعه في مصر (الإسكندرية والقــاهرة) وســار كــذلك إلى مكة بزيــارة مفاجئة عنـدما علم من مصــادره الســرية أن مكة كــانت النقطة الأساســية لدعوة البدوي وأشياعه.[3]

---

1 (?) المرجع السابق: ص18-21.

2 (?) مجلة السياسة الأسبوعية: عدد (89)، 1927م.

3 (?) المقريزي: حوادث (663-664هـ).

لقد تـــأثر البـــدوي في دعوته بما لـــدى الباطنية الإسـماعيلية من نظريـات وأفكـار فنظرية القطب هي نفسـها نظرية المهـدي عند الشـيعة، ورفع التكـاليف الشرعية عن الأوليـاء والأئمة واحـدة، وكـذلك مظـاهر التقـــديس، وأنهم في مرتبة أعلى من مرتبة الأنبيـــاء، والخ.

ومن الأدلة على وجود مخطط بـاطني يقف خلف البدوي:[1]

1- استخدام البدوي لأسلوب الدهاء والتخفي، وذلك في ظهـوره في زي المجـاذيب، واتخـاذ التقية عنـدما يكشـــف... وتبوله في المســجد، مما جعل النـــاس لا يفكـــــرون في دعوته ومراميها البعيـــــدة. ولا ننسى الطريقة المريبة الـتي جـاء فيها البـدوي إلى (طنطـا) والتزامه الصـــمت، وخاصة عند حضـــور الأغـــراب، وامتناعه عن مقابلة رجلين في وقت واحد.

2- التنسيق بين (البدوي) ودعاة الشيعة في العـالم، إذ كـان التنسـيق واضـحاً قويـاً بين شـيعة المغـرب، وشيعة المشرق وهـذا التنظيم هو الـذي أوفد ((السـيد البدوي)) إلى مصر أخيراً.

وقد كانت خطط البدوي وأهدافه متسقة مع أهـداف الدسوقي والشاذلي وابن عربي.

كما أنهم كـانوا يتشـابهون في انحرافـاتهم العقديـة، وفي أذكارهم المملوءة بالكلمات الغامضة المريبة.

3- استخدام الشيفرة في مراسلاتهم، والادعـاء بأنها لغة سريانية.

---

[1] (?) انظر: السيد البدوي - دراسة نقدية: ص26-31.

4- ادعاؤهم النسب النبوي: العبيديون ادّعو نسبتهم إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وأساطين التصوف، كلهم أوصلوا نسبهم إلى آل البيت النبوي.

فالفرقة الإسماعيلية أسسها ((ميمون بن قداح الديصاني)) في السلمية بالشام، وقد ادّعى أنه من أهل البيت النبوي، رغم أنه من أصل يهودي. وابنه (عبيد الله) الذي تنسب إليه الدولة الفاطمية، قال ابن كثير: إنه كان يهودياً ادّعى أنه شريف علوي فاطمي، وأن الحكام الفاطميين كانوا من أنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة.[1]

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: مؤسس الدولة العبيدية يهودي.

وإذا عرفنا أن عبد الله بن سبأ رأس الشيعة الغالية ((الذين ألهوا علي بن أبي طالب وتظاهروا بالولاء لأهل البيت ((كان يهودياً، أدركنا خطورة التحركات الخفية للحركات الباطنية، وهي تتلون وترفع واجهات مختلفة، باسم التشيع لآل البيت حيناً، أو التصوف والدروشة حيناً آخر، وتاريخها يكشف لنا الخبايا والخفايا، يطلعنا كل يوم على جديد.

1 (?) البداية والنهاية: لابن كثير، جـ12، ص267، ط. دار الفكر، بيروت.

المبحث الرابع
غلاة الصوفية وقولهم بوحدة الوجود

هذه مرحلة تعتبر أخطر مراحل الضلال الـتي توصل إليها هؤلاء الغلاة من فلاسفة التصوف.

((فقد زعم بعض الصـوفية أن الواحد منهم قد يصل إلى مرحلة ينكشف له فيها أن الحق هو الخلق والخلق هو الحق، ولا فرق بينهما مطلقاً..

وقال آخرون: بمثل كلام الحلولية الذين يرون أن الذات الإلهية تحل أو تتحد ببـدن الإنسـان، أو روحه حيناً، وتفارقه حيناً آخر)).[1]

((وهذه هي عقيدة الفناء ، ووحدة الوجود، وذلك بأن تحـدث لهم حـال يـرون الله فيها بكل مصـنوعاته ومخلوقاته - حسب زعمهم - فيصـبح الله هو المعبـود والعابد في آن واحد... فالكون عندهم عبارة عن مرايا أسماء الله وصـفاته... والعـارف عنـدهم هو من فـنيت ذاته وصفاته في ذاته تعـالى وصـفاته فلم يبق له اسم ولا رسم)).[2]

لقد تسـربت هـذه الضـلالات إلى المتصـوفة من **مصادر فلسفية ودينية مختلفة.**[3]

---

1 (?) موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية: د. أحمد البناني، ص171.

2 (?) النقشبندية - عرض وتحليل: عبد الرحمن دمشقية، ص55-58.

3 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: ص121-135، وص223-230.

فيرى بعض الباحثين: أن موضوع وحـدة الوجـود في **الفلسـفة الأفلاطونية** قد جـذب أنظـار الصـوفية أكـثر من أي شـيء آخر، لأن الـذين يؤمنـون بهـذه العقيدة يرون أن العالم كله مـرآة لقـدرة الحق تعـالى وكل موجـود بمثابة مـرآة تتجلى ذات الله فيهـا، إلا أن المرايا كلها ظـاهرة، والموجـود المطلق والموجـود الحقيقي هو اللـه.. وعلى السـالك أن يطـير بجنـاح العشق نحو الله تعـالى، ويجـرد نفسه من قيد وجـوده الذي ما هو إلا مظهر فحسب، وينمحي ويفنى في ذات الله، أي الموجود الحقيقي)).[1]

ويـرى آخـرون: أن هـذه العقيـدة الكفريـة، مـأخوذة ومقتبسة بتمامها من الـديانات الهندية ((فقد اختـاروا نفس المنـاهج الـتي وضـعها أصـحاب الـديانات الهندية للحصـول على المعرفة ((نروان)) وجعلوا تعذيب النفس ((غورديسا)) والصمت والتفكير والذكر وسيلة للوصول إليها)).[2]

فـأبو يزيد البسـطامي كـان من أهل خراسـان، وكان جده زرادشتياً وكان شـيخه في التصـوف كرديـاً، ويقـال: إنه أخذ عقيـدة الفنـاء الصـوفي عن أبي علي السـندي الـذي علمه الطريقة الهندية الـتي يسـمونها مراقبة الأنفاس، والتي وصفها هو بأنها عبـادة العـارف بالله.

وإننا نلمح نزعة أبي يزيد إلى وحـدة الوجـود ماثلة في الأقـوال المعـزوة إليه كقولـه: سـبحاني ما أعظم

---

1 (?) تـاريخ التصـوف الإسـلامي: د. قاسـم غـني، ترجمـة صـادق نشـأة، ص142ـ 143، نقلاً عن التصـوف المنشأ والمصادر: ص114-115.

2 (?) التصوف المنشأ والمصادر: ص114-115.

شـأني، للخلق أحـوال، ولا حـال للعـارف، لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته بهوية غيره)).([1])

ويقـال: إنه صـلى بالنـاس الفجر والتفت بعد ذلك وقـال: ((إني أنا اللـه، لا إله إلا أنا فاعبـدوني، فتركه الناس، وقالوا: مجنون مسكين)).([2])

فالديانة البوذية كانت قد انتشـرت في الشـرق، في بلخ وبخـارى وفيما وراء النهر قبل الإسـلام بـأكثر من ألف سنة... وكان صوفية خراسان يعـدون في الرعيل الأول من الصـوفية في الشـجاعة الفكرية والحرية الشخصـية، والعقيـدة المعروفة بالفنـاء في اللـه، المقتبسة من الأفكـار الهندية إلى حد ما، والـتي انتشرت على الأكثر بواسـطة صـوفية خراسـان كـأبي يزيد البسطامي وغيره)).[3]

وعنـدما بـدأ المسـلمون في ترجمة كتب الشـعوب الأخرى، ترجم مقدار من آثـار البوذية الهنديـة، إضـافة إلى **عقائد النصارى المحرفة،** ثم جـاءت **عقيـدة الرافضة** لتشق طريقها نحو غلاة المتصوفة.

قال فخر الدين الرازي عن فـرق الصـوفية: ((ومنها الحلوليـة.. وأول من أظهر هـذه المقالة في الإسـلام الروافض، فإنهم ادّعوا الحلول في حق أئمتهم)).[4]

---

1 (?) في التصوف الإسلامي وتاريخه: ترجمة الدكتور أبو العلاء عفيفي، ص75.

2 (?) تلبيس إبليس: لابن الجوزي، ص345، ط دار الوعي ودار القلم، بيروت.

3 (?) تاريخ التصوف في الإسلام: د. قاسم غني، ترجمة صادق نشأت، ص221-222، طبعة مكتبـة النهضـة المصرية، القاهرة.

4 (?) اعتقادات فرق المسلمين والمشـركين: ص72-74، عن التصـوف في مـيزان البحث والتحقيـق: عبـد القادر السندي، ص12.

ويقول الشيخ عبد القادر البغدادي عن هؤلاء مؤكداً: ((الحلولية في الجملة عشر فرق، كلها كـانت في دولة الإسـلام، وغـرض جميعهـا: إلى فسـاد القـول بتوحيد الصـانع، وتفصـيل فـرق، في الأكـثر يرجع إلى غلاة الروافض)).[1]

وهـذه **فكـرة تسـربت إليهم من اليهـود والنصارى** القـائلين نحن أبنـاء الله وأحبـاؤه: **{ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }** [المائدة:17]، **{ وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }** [المائدة:18].

فوحـدة الوجـود كفر محض لاشك في ذلك. يقـول ابن تيمية رحمه اللـه: ((وأما أن يكـون الخلق جزءاً من الخالق تعالى، فهذا كفر صـريح يقوله أعـداء الله النصـارى، ومن غلا من الرافضـة، وجهـال المتصـوفة، ومن اعتقـده فهو كـافر... فـالرب رب، والعبد عبد ليس في ذاته شيء من مخلوقاتـه، ولا في مخلوقاته شيء من ذاتـه، وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلـول الـرب تعـالى بـه، أو بغـيره من المخلوقات، ولا اتحاده به)).[2]

---

1 (?) الفرق بين الفرق: ص254.

2 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص74.

ومن كبار القائلين بوحدة الوجود:

الحلاج وابن عـربي والسـيد البـدوي وابن الفـارض. وغيرهم كثير.[1]

* **فالحلاج:** الحسـين بن منصـور المتـوفى عـام (309هـ) كان جده مجوسـياً عـرف عند الفقهـاء وبعض المتصـــوفة أنه زنـــديق، وممن يتعـــاطى الســـحر والشعوذة، فقُتِلَ بالعراق.[2]

وقد أثر عنه من الشعر ما يصرح فيه بالكفر كقوله:

سـبحان من أظهر	ســـرُّ ســـنا لاهوته
ثم بـــدا في خلقهٍ	في صـــورة الآكل
حـــتى لقد عاينه	كلحظة الحـــاجب

فـالحلاج من أكـبر دعـاة الحلـول وامـتزاج الخـالق بمخلوقـه، تعـالى الله عما يقوله هـذا الزنـديق علـواً كبيراً. ويقول أيضاً:

مـزجت روحك في	تمزج الخمـرة في
فإذا مسَّـك شـيء	كل حـــــــال[3]

وقد حـاول بعضـهم أن يـبرر للحلاج أقوالـه، إلا أنها تـأويلات فاسـدة غـير مقبولـة، وإلا كيف يـؤول قوله التالي؟!:

أنا من أهـوى ومن	نحن روحـان حللنا

---

1 (?) انظر: التصوف في ميزان البحث والتحقيق: عبد القـادر السـندي، فقـد تـرجم لسـبعة عشـر رجلاً من هؤلاء ((الفصل الرابع)).

2 (?) انظر ترجمته في المرجع السابق: ص643-716. والبداية والنهاية: 11/132-134، مطبعة دار الفكر، بيروت.

3 (?) انظر البدايـة والنهايـة: 11/133. وأخبـار الحلاج: ص60 مـع كتابـه الطواسـي، طبعـة مكتبـة الجنـدي بمصر، 1970م، عبد الحفيظ محمد هاشم.

بغير الكفر والحلولية؟!

قـــال ابن تيمية رحمه اللـــه: ((الحلاج قُتِـــلَ على الزندقة التي ثبتت عليه بإقراره، وبغير إقــراره، والأمر الــذي ثبت عليه مما يــوجب قتله باتفــاق المســلمين، ومن قـال: إنه قُتِـلَ بغـير حـق، فهو إما منـافق ملحـد، وإما جاهل ضال)).[1]

ويُروى أنه قُتِـلَ بعد أن ادّعى النبـوة حينـاً، والألوهية حينـاً آخـر، وأقـرّ بكتـاب منسـوب إليه ((من الـرحمن الـــرحيم إلى فلان بن فلان)) يـــدعوه إلى الضـــلالة والإيمان به، وذلك في بغداد.

وقالوا له: كنت تدّعي النبوة فصـرت تـدّعي الألوهية والربوبية؟ فقال: ((لا، ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة)).[2]

هـــذا نمـــوذج مما نسب إلى الحلاج، وفي ســـيرته غرائب وعجـائب، ورغم ذلك يُتّخذ هـذا الزنـديق رمـزاً لحرية الفكر، فتكتب فيه القصائد، وتؤلف القصص عند زنادقة العصر الحاضر باسم الأدب.

* **ومحـيي الـدين بن عـربي:** المتـوفى سـنة (638هـ) كان من أصحاب هـذه الضـلالات، وممن يعتقد بالوحدة بين الخالق والمخلوقات.

يقـــول ابن عـــربي: ((إن الوجـــود الحقيقي هو الله سـبحانه، ولكنا نـرى هـذه الكـثرة والتعـدد قائمة أمـام أعيننـا، فلا يمكن إنكارهـا، ومن ثم فهـذه الموجـودات كلها ليست ســوى الله ذاته - تعــالى الله عما يقـــول الظـالمون علـواً كبـيراً - وكلها مظهر من مظـاهره،

---

1 (?) جامع الرسائل: ابن تيمية، ص187، طبعة محمد علي صبيح: الرسالة الثالثة.

2 (?) البداية والنهاية: ص138، الجزء الحادي عشر.

وتجل من تجلياتـــــه، وليست آية من آياتـــــه، كما هو مفهوم أهل السنة)).[1]

وها هو يترجم عقيدته شعراً فيقول:

لقد صـــار قلـــبي | فمـــرعى لغـــزلان
وبيت لأوثان بكعبة | وألـــــواح تــــوراة
أدين بـــدين الحب | ركائبه فـــــالحب

فدير الرهبان وبيوت الأوثان، وكعبة الطائفين وألواح التـــوراة والقـــرآن، كلها واحد عند ابن عـــربي، والحب دينه وإيمانه.

وهكـــذا ((فكل كـــائن هو الله والله هو كل كـــائن... فاتّخذ بـذلك الوجـود مع الخـالق المعبـود.. وهـذا أشد شركاً من قول اليهود والنصارى)).

((وكان كلام الفلاسفة إرهاصاً أدى بـابن عـربي إلى القول بوحدة الوجود، وإن كـان مذهبـهُ أكـثر شـرًّا من مـــذهب الفلاســفة، وخاصة أنه حـــرّف آيـــات القـــرآن لتنسجم مع نظريته الباطلة، وأن كثيراً من المســلمين المغفلين من يعظّمه ويسميه الشيخ الأكبر)).[2]

وقـــــــــــال ابن تيمية[3]: ((ورأيت بخطه في كتابه ((الفتوحات المكية)) هذين البيتين:

الـــربّ حق والعبد | يا ليت شـعري من
إن قلت عبـــــد، | أو قلت رب أنى

1 (?) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، 5/82.
2 (?) الصوفية: محمد العبدة، ص45.
3 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ1، ص242.

ويـرى ابن تيمية أن ابن عـربي وأمثاله تـأتيهم أرواح تخـــاطبهم وتتمثل لهم، وهي جن وشـــياطين فيظنونها ملائكة...

وهــذه الأرواح الشـيطانية هي الــروح الــذي يــزعم صاحب ((الفتوحات)) أنه ألقى إليه ذلك الكتاب...

ولما كانت أحـوال هـؤلاء شـيطانية، كـانوا مناقضـين للرسل صـــلوات الله تعــالى وســلامه عليهم، كما في كلام صاحب الفتوحات المكية: و((الفصـوص)) وأشـباه ذلك مدح للكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، وتنقص للأنبيـاء كنـوح وإبـراهيم وموسـى، وكـان يـذم شيوخ المسلمين المحمودين)).[1]

والغريب أن كثيراً من المتصوفة والملاحدة يرون ما يراه ابن عربي فيزعمون ((ما كـان يزعمه التلمسـاني منهم لما قُـرئ عليه ((الفصـوص)) وقيل لـه: القـرآن يخــالف فصوصــكم أجــاب: القــرآن كله شــرك وإنما التوحيد كلامنا. فقيل له: فإذا كـان الوجـود واحـداً فلم كـانت الزوجة حلالاً والأخت حرامـاً؟ قـال: الكل عنـدنا حلال هــؤلاء المحجــوبين قــالوا: حــرام، فقلنا حــرام عليكم)).[2]

وما يزال كثير من متصـوفة القـرن الأخـير يعكفـون على دراسة كتب ابن عــــــربي وغــــــيره من غلاة المتصـوفة، فـالأمير عبد القـادر الجزائـري مثلاً كـان يعكف في بيته - بدمشق - على مطالعة الفتوحــــات

---

1 (?) المرجع السابق: جـ11، ص239.

2 (?) المرجع السابق: جـ11، ص241.

للشـــيخ الأكـــبر ويحـــاور في مســـائلها مع جلة علمـــاء دمشق.[1]

* **وكــان عمر بن الفــارض** المتــوفى ســنة (632هـــ) من القــائلين بالاتحــاد والحلــول. وذلك في قصــائده المشــهورة في ديــوان شــعره، ومن أشــهر قصائده التي صرح فيها بمذهبه هـذا قصـيدته (التائيـة) الكبرى والمسماة ((نظم السلوك)) يقول فيها[2]:

لِها صلاتي بالمقام وأشـــــهد فيها أنها

كلانا مصـــلٍّ عابد حقيقة الجمع في

وما كان لي صـلى صلاتيّ لغـيري في

إلى أن يقول:

وما عقد الزنار حكمـاً سـوى يـدي وإن حل بـالإقرار فهي حلت.

وإن خر للأحجــار في البــدّ عــاكف فلا وجه للإنكــار بالعصبية.

وإن عبد النار وما انطفت فما قصـدوا غـيري لأنـوار عزتي.

فهل هنالك تصــريح بـــالكفر أشد مما قل في هـــذا الشعر؟!

فصـــــلاته لنفسه لأنها هي الله (والعيـــــاذ باللـــــه) ((وصــلوات اليهــود وعقد زنــار النصــارى، وبد الوثنية

---

1 (?) الرحلة الحجازية: 3/200، محمد لبيب البتنوني، مطبعة المعارف، جـ3، نقلاً عن: الأحوال الدينيـة عنـد المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص237.

2 (?) الديوان: ص34 وما بعدها.

الهنديـة، ومسـاجد اللـه، كلها عند هـؤلاء ساح فسـاح، يعبد فيها الله)).[1]

قـال الإمـام الـذهبي في مـيزان الاعتـدال:[2] ((إنه ينعق بالاتحـاد الصـريح في شـعره)) وقـال في تـاريخ الإسلام ((كان سيد شعراء عصره وشيخ الاتحادية)).

((والحقيقة أن هـذه المعـاني السـابقة شـرك واضح وزندقة وإلحاد، ولا يجوز تأويلها إلى غير هـذه المعـاني القبيحة التي نطق بها ابن الفارض)).[3]

وفي عقيدة الحلولية هؤلاء قال ابن تيمية: ((وأما ما جـاء به هـؤلاء من الاتحـاد العـام، فما علمت أحـداً سبقهم إليه إلا من أنكروا وجـود الصـانع، مثل فرعـون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجـود ذات الله خالق السماوات والأرض هو نفس وجود المخلوقات)).[4]

* ومن هنا فقد تولد عن هـذه العقيـدة - وحـدة الوجود - فكرة خبيثة أخـرى، وهي أن **المتصوفة قد عشـقوا الصـور الجميلة** لاعتقـادهم أنها مظـاهر الحق، فصار تصـوف وحـدة الوجـود، دعـوة إلى خلاعة ماجنـة، وإلى حب الشـهوات الرذيلـة، حيث جعلـوا العشق الطـبيعي سـلماً للحب الإلهي، وحـاكوا في

---

1 (?) هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل، ص98، ط دار الكتب العلمية.

2 (?) ميزان الاعتدال: الجزء الثالث، رقم الترجمة (6173).

3 (?) التصوف في ميزان البحث والتحقيق: عبد القادر السندي، ص600.

4 (?) مجموعة الرسائل: جـ1، ص172.

كتبهم الحكايات الغزلية، والأساطير العشـقية، وجعلـوا مجنون ليلى قدوة لهم في حبهم لله تعالى.

ومن هنا جاء تصريح ابن العربي في (فصوصه) بـأن ((من أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهي)).[1]

1 (?) فصوص الحكم: ابن عربي، ص218. وسوف نفصل في موضوع الحب الإلهي في الفصـل الثـالث من هذا الباب.

المبحث الخامس
تقديس القبور والأضرحة والاستغاثة بأصحابها

لقد ضخّم الصوفيون دور مشايخهم، وقدّسوهم أحياء وأمواتاً وتجاوزوا معنى أن الله قريب يجيب دعوة الداعي، وليس هناك حاجة إلى الوسطاء بينه وبين عباده. قال تعالى: **{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ }** [البقرة:186].

وقد غلا المتصوفة في مشايخهم، كما غلا الرافضة في أئمتهم.

يقول الغالية في مشايخهم: ((إن الولي محفوظ، والنبي معصوم... وأن الشيخ والولي ((لا يخطئ ولا يذنب)) ((وقد بلغ الغلو بالطائفتين)) الرافضة وأشباههم من الغالية في بعض المشايخ ((أن الرافضة تزعم بأن الأئمة الإثني عشر معصومون من الخطأ والذنب وأن منهم من هو بمنزلة النبي وأفضل منه، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعاً من الإلهية، وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهية لضلالات النصرانية. قال صلى الله عليه وسلم : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)).[1]

---

1 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص67-68.

وقد تحـــول الأمر عند المتصـــوفة إلى أن يســـتغيثوا بالمشـايخ أحيـاءً وأمواتـاً ولهم في ذلك قصص غريبـة، وأســاطير مختلفــة، تصــلح أن تكــون مجــالاً لخيــال قصصي خصب.

((يروي أن أحد مريـدي الشـيخ ((محمد المعصـوم)) كان راكباً على فرس فجفلت به فســقط على الأرض، وبقيت رجله معلقة في الركاب، وجعلت الفرس تعــدو به حتى أيقن بالهلاك، فاسـتغاث بحضـرة القيـوم ((أي الشــــيخ المعصــــوم)) قـــال: ((فرأيته حضر وأوقفها وأركبـني)) ((وكـذلك وقع نفس المريد في البحـر، وما كان يعرف السباحة، وكـاد أن يغـرق، فنـاداه مسـتغيثاً به، فحضر وأخذ بيده وأنقذه)).[1]

ولا يتوقف الأمر عند هـــذا الحــــد، بل لا فـــرق عند المتصوفة بين الاستغاثة بالشيخ حياً، وبين الاستغاثة به بعد موته.

ومن أساطيرهم في ذلك: أن امرأة مـات لها صـغير فجاءت إلى السيد البدوي وهي باكية، وقالت يا سيدي ما أعرف ولدي إلا منـك، وكـانت تقـول: توسـلت إليك بالله ورســوله، فمد أحمد البــدوي يــده إليه ودعا لــه، وأحياه الله. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.[2]

وقد زعم الخليفة الحــالي للســيد البــدوي في مولد عام 1991م:

---

[1] (?) جامع كرامات الأولياء: جـ1، ص99-200. المواهب السرمدية: ص210-213.

[2] (?) عجائب الآثار: الجبرتي، جـ3، ص141.

((أن الســيد البــدوي موجــود معك أينما كنت، ولو اسـتعنت به في شـدتك وقلت: يا بـدوي مـدد، لأعانك وأغاثك)).

قـال ذلك في الجمـوع المحتشـدة بسـرادق وزارة الأوقـاف في القـاهرة أمـام العلمـاء والـوزراء، وقد تناقلته الإذاعات وشاشات التلفاز.[1]

وقد انتقل التقــديس والتعظيم إلى قبــور هــؤلاء المشايخ وأضرحتهم الفارهـة، والتوسل بها في هـالات وضـجيج واعتقـاد باطــل، بــأن أصــحابها ينفعــون أو يضرون.

* الأضرحة تهيمن على حياة الناس:[2]

اهتم الصــوفيون بقبــور مشــايخهم وأضــرحتهم المشيدة، وصاروا يتوسـلون لـديها، ويمرغـون الوجـوه بالأعتاب والـتراب، وقد يصل الحـال بهم إلى الطـواف حول القـبر، وهـذا ما يشـاهد حـول قـبر السـيدة زينب بنت الحسن أو الحسين بن علي رضي الله عنهما سبع مرات تشبهاً بـالطواف حـول الكعبـة، وهـذا ما يحصل الآن حول ضريح سيدهم البـدوي، أو حـول قـبر الإمـام الشـافعي رحمه اللـه، وبكل هـؤلاء سـدنة وطقـوس وأوقـاف وأمـوال تبـذل، ناهيك عن الاختلاط وصـرف العبادة إلى غير اللـه، وأكـثرهم يسـأل الميت المقبـور بقوله: يا سيدي فلان اغفر لي وارحمني.

وقد يقول أحدهم: ((مدد يا سـيدنا الحسـين، مـدد يا سيدة زينب مدد يا بدوي يا شيخ العرب، مدد يا رسول

---

[1] (?) السيد البدوي - دراسة نقدية: د. عبد الله صابر، ص54.

[2] (?) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص171-218.

الله، مدد يا أولياء الله.. وهذا شـرك أكـبر يخـرج قائله من ملة الإسلام والعياذ بالله)).[1]

لقد انتشـرت القبـور والقبـاب والأضـرحة انتشـاراً عجيبـاً، وأنفق على قبابها ومبانيها وزخرفتها الأمـوال الطائلـة.. إضـافة إلى ما ينسـبونه إلى قبـور الأنبيـاء والصحابة مما لم يصح منه شيء.

وعنـدما حل الحكم العثمـاني في بلاد المسـلمين، ازداد التعلق بالقبور والأضرحة ((حيث أن الموجود في القاهرة (في بداية القرن الرابع عشر الهجري) وحـدها كان يبلغ مائتين وأربعة وتسعين ضريحاً، وفي الأسـتانة عاصـمة السـلطنة كـان يوجد أربعمائة وواحد وثمـانون جامعـاً، لا يكـاد يخلو جـامع فيها من ضـريح، وتنـافس الملوك والأمراء على تشييدها وتعلق الناس بها.

ووصل الأمر أحياناً أن يُبنى على قبر صـعلوك (كـان قاطع طريق) جامع وقبة، كما صنع الخديوي إسـماعيل سـنة (1280هـ) برجل يـدعى (صـالح أبو حديـد) كـان قاطع طريق، فصار يعمل له حضرة كل أسـبوع ومولد كل عام.[2]

وهنالك رجل مجذوب ((علي البكري)) كـان يطـوف عرياناً، فلما مات، أقام أخوه له ضريحاً، بـأن عمد إلى أحد مساجد القاهرة واجتزأ نصفه، وصار الناس يَرِدُونَ إليه من كل أنحاء القطر.[3]

---

1 (?) فتاوى اللجنة الدائمة: جـ2، ص193. وانظر كتابنا: الحياة الدينية عند العـرب: البـاب الخـامس، فصـل ((ألوان من الشرك في حياة المسلمين المعاصرة)).

2 (?) الخطط التوفيقية: علي باشا مبارك، جـ3، ص338.

3 (?) عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن الجبرتي، جـ2، ص155، دار الفارس، بيروت.

وكان لهذه الأضرحة ألوف من السدنة يعيشـون في رغد وثراء من ورائها، وكانوا يتوارثـون هـذه الوظـائف ويزعمون أنها لا تنتزع منهم إلا من قبل ظالم.

ويكفي أن تعلم أن ما كان يصل إلى ضريح الجيلاني في السنة من أمـوال الزائـرين، يفـوق ما كـانت تنفقه الدولة العثمانية على الحـرمين الشـريفين في السـنة الواحدة أضعافاً مضاعفة.[1]

وضريح البـدوي في مسـجده حيث يقـام داخله جماعتـان لكل صـلاة، ولكل جماعة إمـام إحـداهما جماعة الضـريح وتقـام داخل ضـريح البـدوي، والثانية جماعة عامة تقام خـارج الضـريح بنفس الـوقت، وفي داخل القبر نجد من يطوف ويتمسح بالضريح، كما تجد مظـاهر التوسل المختلفة بالبـدوي، ومناجاته ومطالبته بتفريج الكرب وقضـاء الحـوائج، ونـرى رفع الأكف في الـدعاء مع خشـوع وبكـاء أحيانـاً، وتقبيل المقصـورة والأعتاب ووضع النقود والمصاغ داخل صندوق النذور.. أملاً في تفريج الكروب كالشفاء من المرض أو النجاح في الامتحان، وغير ذلك مما لا يُقصد به وجه الله..

وقد لا يكتمل الحج عند الصـوفي إلا بزيـارة ضـريح السيد البدوي.[2]

يقول السخاوي: ((جاء الحجاج هـذه السـنة لسـيدي أحمد البدوي من الشام وحلب ومكة، أكـثر من حجـاج الحرمين)).[3]

---

1 (?) الرحلة الحجازية: محمد لبيب التبنوني، جـ2، ص219.

2 (?) انظر: كتاب السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص46-47.

3 (?) المسبوك في نيل السلوك: ص176، نقلاً عن المرجع السابق.

وهــذا ما يشــجعه أعــداء الإســلام. جــاء في دائــرة المعارف الإسلامية (التي يصـدرها المستشـرقون) عن السـيد البـدوي: ((بأنه أكـبر أوليـاء مصر ومفـرج كل الكروب منذ عهد طويل)).[1]

ومثل هذا الانحراف يجري حول قبر محيي الدين بن عــربي في دمشــق، وحــول قــبر الســيدة زينب في دمشق أيضاً وفي مصر...

وبذلك ((انصرف النـاس إلى خدمة الأمـوات بإعمـار أضــرحتهم وبنــاء القبــاب عليهــا، وصــرفوا الأمــوال والجهود، على حسـاب تربية الأحيـاء وتقوية الأمة على أعباء الجهاد.[2]

وصــارت حيــاة النــاس مرتبطة بها أشد الارتبــاط، يلجــؤون إليها في الشــدائد ويلتمســون فيها أســباب النصر، يطلبون منها الرزق والولـد، ويفـر إليها العصـاة والمجرمون يلجؤون إليها.

وقد كـان الحكـام والقـادة يبـذلون أمـوالهم في ذبح القــرابين لتلك الأضــرحة. وعند مغــادرة الفرنســيين للقــاهرة (1216هـــ) هــرع قائد الجيش العثمــاني - حسـين باشا القبطـان إلى زيـارة المشـهد الحسـيني، وذبح فيه خمس جواميس، وسـبعة أكبـاش واقتسـمتها خدمة الضريح)).[3]

يقول الإمام الشـوكاني رحمه اللـه: ((ومن المفاسد البالغة إلى حد يــرمي بصــاحبه وراء حائط الإســلام

---

[1] (?) دائرة المعارف الإسلامية: جـ1، ص468.

[2] (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص200 وما بعدها.

[3] (?) عجائب الآثار: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، جـ2، ص479.

ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكـان، أن كثـيراً منهم يأتي بأحسن - ما يملكه من الأنعام - وأجـود ما يحـوزه من المواشي فينحره عند ذلك القـبر، متقربـاً به إليـه، ويهل بها لغـير اللـه، ويتعبد به لـوثن من الأوثـان، إذ لا فرق بين النحائر لأحجـار منصـوبة يسـمونها وثنـاً، وبين قبر لميت يسمونه قبراً؟

وهـذه من المحرمـات القطعيـة. قـال صـلى الله عليه وسلم :

((لعن الله اليهـود والنصـارى، اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مساجد يحذر ما فعلوا)).[1]

وقال صلى الله عليه وسلم : ((لعن الله زائـرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج)).[2]

* هـذا أبـرز ما تيسر لي جمعـه، حـول الانحرافـات العقدية عند أهل التصـوف، وفيها من خلل التصـور، ومجانبة صفاء هـذا الـدين، ما يؤسف له أشد الأسـف، وقد تركت هذه الانحرافات العقدية انحرافات سـلوكية عند قطاع كبير من المسلمين، ما تزال تفتك في كيان هـذه الأمة حـتى الآن، وذلك مجـال حـديثنا في الفصل القادم.

---

1 (?) رواه البخاري ومسلم.

2 (?) رواه الترمذي (كتاب الجنائز) برقم (320) وحسنه.

الفصل الثالث
الآثار السلبية لظاهرة التصوف

1- نظرة المتصوفة إلى الحياة.
المبالغة في التقشف ومـدح العزلة وتـرك الزواج.
2- تعدد الطرق وانتشار الزوايا والأربطة.
3- الوجد والسماع.
4- التواكل والبطالة.
5- المتصوفة والجهاد في سبيل الله.
6- أسلوب التربية عند المتصوفة.

الآثار السلبية لظاهرة التصوف

تمهيد: نفوذ المتصوفة في العالم الإسلامي:[1]

لقد سيطر الفكر الصوفي في القرون الأخـيرة على العـالم الإسـلامي حـتى أن بعض البـاحثين أطلق على هـذا النفـوذ في مصر خلال العصر العثمـاني ((دولة الفقـراء)) وقد كـانت أعظم نفـوذاً من سـلطان بـني عثمان.

((وذلك لأن روح العصر لما كـان يسـوده من ظلام الجهل، وشدة الفقر، واضطراب الأمن وظلم الحكـام، عـاون على ثبـات هـذه الدولـة، وعلى رسـوخ قـدمها وشـيوع تعاليمها بين النـاس))[2] ولا غرابة في ذلـك، حيث أن هـؤلاء المتصـوفة قد سـيطروا على الدولة العثمانية نفسها، وتمكنوا من نشر مذاهبهم.

ويذكر محمد بن علي السنوسـي، أن السـلطان عبد الحميد كان قد قرّب إليه ثلاثة من كبار المتصـوفة في ذلك العصر، وهم: الشيخ محمد ظافر المدني، والشيخ أحمد أسعد المدني، والشيخ أبو الهدى الصيادي، وكان لهؤلاء مقـام سـام في السـلطنة العثمانيـة، فالصـيادي مثلاً كـانت له الكلمة النافـذة في تنصـيب القضـاء والمفـتين، واسـتطاع أن ينشر الطريقة الرفاعية وأن يبـني من مـال الدولة كثـيراً من التكايا والزوايا والأضرحة..

---

1 (?) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص275-279.

2 (?) التصـوف في مصـر إبـان العصـر العثمـاني: د. توفيـق الطويـل، ص109، مطبعـة الاعتمـاد، مصـر، 1365هـ.

هــذا النفــوذ كــان رغم حنكة الســلطان عبد الحميد ودهائه، لأن روح العصر كانت خاضعة للفكر الصوفي.. والأولياء كانوا في عرف الناس فـوق الـدين والعـرف، وهم في عـرف الكثـيرين قد سـقطت عنهم التكـاليف الشرعية.

وكــان الحكــام يعفــون الأوليــاء والمتصــوفة من الضرائب في كثير من الأحيان، ويرون أن أخــذها منهم من الكبائر)).[1]

لقد طغت الصـوفية على العـالم الإسـلامي، وجعلته ينام في سـبات عميـق، وتخـدره إلى حد لا يفيق منـه، فانشـغل المسـلمون بالأضـرحة والقبـور، والشـفاعة عنـدها، ولازمـوا الزوايا والتكايا ورددوا أوراد المشـايخ عــاطلين عن العمل وحــتى العلم الشــرعي، وغسل المشايخ أدمغة أتباعهم فصدقوا كل مسـتحيل، وآمنـوا بما يقول الشـيخ العتيـد، فكـانت تـربيتهم للأتبـاع تربية ذليلة في الغالب، وقد يخـرج المجـاذيب إلى الشـوارع يدعون على الكافر المارق ذي المدافع والدبابات.

((وفي مصر انتشر الأولياء وفشا أمرهم، واقتسـموا منـاطق النفـوذ فيهـا، وأصـبح كل قسم منطقة نفـوذ لولي منهم، يتصـرف في أهلها ويسـتغل غلاتهـا، ويقيم الـولائم في بيـوت يخفـون إليهم سـراعاً، يحملهم على ذلك الأمل في اكتسـاب البركـة، والظفر بـالزلفى إلى الله.[2]

---

1 (?) عجائب الآثار في التراجم والأخبار: جـ3، ص319، الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، دار الفارس، بيروت.

2 (?) التصوف في مصر إبان العصر العثماني: ص120.

إن هذا السبات العميق، والجهل الشديد، كان نتيجة طبيعية للآثار السـلبية الـتي تركها المتصـوفة تنخر في جسم الأمة، إضافة إلى فكر الإرجـاء، وأمـراض أخـرى كثيرة، وسوف نلقي نظرة على هذه الآثار..

1- نظرة المتصوفة إلى الحياة:

المبالغة في التقشف ومدح الفقر والعزلة:

كـان أوائل الصـوفية أصـحاب مجاهـدات وعبـادات، صـادقين مع أنفسـهم، وإن كـانت بعض أعمـالهم فيها تعمق وتشدد، ومخالفة للسنة.. ثم ظهـرت أجيـال بنوا التكايا والزوايا مســتريحين من كد المعــاش، وســاح بعضــهم في الــبراري والقفــار وارتــاحوا إلى الخلــوة والعزلة، وذموا الزواج، ومجدوا العري والجوع متأثرين بمصطلحات وافدة غريبة.

((فقد زعم كثير من الصـوفية أن الفقر أمر محمـود لذاتــه، وإنه مقــام شــريف من مقامـات الوصـول إلى الولاية)).[1]

لكن الزهد بعد ذلك أخذ صــــوراً متفاوتة في البعد والقرب عن المنهج الإسلامي.

فمن أقــوالهم الحســنة في ذلــك: ((الزهد عــزوف النفس عن الــــدنيا بلا تكلف)) وقــــولهم ((الزهد خلو القلب مما خلت منه اليد)).[2]

إلا أن التطـرف صـار من لـوازم التصـوف، فتكـاد لا تجد صوفياً لا يبالغ في الجـوع والتعـري وتـرك الحلال، وتجــده يفــرط في التقشف وتعــذيب النفس، وجلب الأذى، والتجاوز في أوامر الله أو نواهيه)).[3]

---

[1] (?) الرسالة القشيرية: ص209، ص94.

[2] (?) المرجع السابق نفسه.

[3] (?) دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص15.

وينسى هـؤلاء قوله صـلى الله عليه وسـلم : ((لا تشددوا على أنفسـكم فيشـدد الله عليكم، فـإن قومـاً شددوا على أنفسهم فشـدد الله عليهم، فتلك بقايـاهم في الصـــوامع والـــديار، رهبانية ابتـــدعوها ما كتبناها عليهم)).[1]

وعن أنس بن مالك أنه قـــال: ((كنا عند عمـــر، فقال: نهينا عن التكلف)).[2]

وقـال ابن مسـعود : ((الاقتصـاد في السـنة أحسن من الاجتهاد في البدعة)).[3]

* لقد مدحوا التعري ومجدوا الجوع والتسول:[4]

قال السـهروردي: ((قد اتفق المشـائخ على أن بنـاء أمـرهم على أربعة أشـياء: قلة الطعـام، وقلة المنـام، وقلة الكلام والاعتزال عن الناس)).[5]

وذكر الشـــعراني عن الســـيد البـــدوي: ((أنه لازم الصــمت، وما كــان يكلم النــاس إلا بالإشــارة))[6] مع العلم أن ملازمة الصمت من العادات البوذية.

ومن ذلك ((أن البدوي كان طول نهـاره وليله قائمـاً شاخصـاً ببصـره إلى السـماء، وقد انقلب سـواد عينيه إلى حمـرة تتوقد كـالجمر، وكـان يمكث الأربعين يوماً وأكـثر لا يأكل ولا يشـرب ولا ينـام))، ((وكـان إذا لبس

---

1 (?) رواه أبو داود.

2 (?) رواه البخاري.

3 (?) رواه الحاكم في المستدرك.

4 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: ص100-113. ودراسات في التصوف: ص25-30.

5 (?) عوارف المعارف: السهروردي، ص223، ط دار الكتاب العربي، 1983م.

6 (?) الطبقات الكبرى: الشعراني، جـ1، ص182-183.

ثوباً أو عمامة لا يخلعها للغسيل، ولا غيره حتى تذوب فيبدلونها بغيرها)).[1]

((وكتب الدكتور عبد الحليم محمود، عن أحمد الدردير أنه ردّد الذكر ستة شهور حتى أحرق الذكر جسمه، وأذهب لحمه ودمه حتى صار مجرد الجلد على العظم)).[2]

وقد نقلوا حكايات وأساطير عجيبة لتمجيد الجوع فقالوا:

((إن سهل بن عبد الله التستري، كان لا يأكل الطعام نيّفاً وعشرين يوماً)).[3]

ونقلوا عن أحمد الرفاعي أنه قال: ((أنا أحب للمريد الجوع والعري والفقر والذل)).[4]

* فلماذا هذا التعذيب للجسد؟ ولم كل هذه المجاهدات؟

((لقد كان الهدف الأسمى للمتصوفة، هو الوصول إلى الحضرة الإلهية، وكان الطريق إلى ذلك، هو ما تمثل في نظرتهم إلى الحياة من استهانة بها، وإعراض عن ملذاتها.. ومن هنا حببوا الخلوة والانقطاع عن الناس والسياحة في البراري والقفار وتعذيب النفس بحرمانها مما أحل الله، وذلك بالرياضات الشاقة والمجاهدات المؤلمة...

---

1 (?) المرجع السابق نفسه.

2 (?) سيدي أحمد الدردير: د. عبد الحليم محمود، ص76، ط القاهرة، 1974م.

3 (?) اللمع للطوسي: أبي نصر السراج، ص269، ط دار الكتب الحديثة المصرية.

4 (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بخيت الزهراني، ص280-283.

وكـان بعضـهم يختـار المغـارات (الكهـوف) ليختلي بنفسه وكـان بعضـهم ينقطع إلى الأودية والجبـال كما فعل الشـيخ وهبة المشـهور بــ((أبي العظـام)) إذ نقل عنه أنه انقطع في الأودية والجبال نحو سبعة أعوام.[1]

* واعتبروا قلة النوم من أصول الولاية والكرامة:

يذكر الهجويري عن أحد أقطاب المتصـوفة[2] أنه لم ينم لأربعين عاماً، وعندما نام رأى الله سبحانه وتعـالى في النوم، فقال: ((يا إلهي! كنت أطلبك بسهر الليالي، فرأيتك في النوم، فقال يا شاه، لقد أدركت في النــوم بغيتك بســهرك الليــل، ولو كنت نمت هنــاك لما رأيت هنا)).[3]

* وقد ذم المتصوفة الزواج ومدحوا العزوبة:[4]

حتى أنهم بوّبـوا في كتبهم أبوابـاً مسـتقلة في مـدح العزوبة وذم الــزواج، ولعل هــذا مــأخوذ من رهبــان النصـارى، ونسـاك المسـيحية الـذين ألزمـوا أنفسـهم التبتّل خلافاً لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

قــال تعــالى **{ وَمِنْ آيَاتِــهِ أَنْ خَلَــقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِـكُمْ أَزْوَاجـاً لِتَسْـكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَـلَ بَيْنَكُمْ مَــوَدَّةً وَرَحْمَــةً إِنَّ فِي ذَلِــكَ لآيَــاتٍ لِقَــوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }** [الروم:21].

---

1 (?) المرجع السابق نفسه.

2 (?) هو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني.

3 (?) كشف المحجوب: الهجويري، ص350، ترجمة عربية، طبعة بيروت. أيضاً تذكرة الأوليـاء: العطـار، ص169، عن دراسات في التصوف، ص45.

4 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: ص50-78.

وثبت في الصحيحين عن أنس أن رجـالاً سـألوا عن عبادة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فكـأنهم تقالوها فقالوا: وأيّنا مثل رسـول الله ثم قـال أحـدهم: ((أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقـال الآخـر: أما أنا فـأقوم ولا أنام.. وقال الآخر: أما أنا فلا أتـزوج النسـاء، فقـال رسول الله: ((ما بال أقـوام يقـول أحـدهم كـذا وكـذا؟ ولكـني أصـوم وأفطر وأقـوم وأنـام.. وأتـزوج النسـاء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)).[1]

هذا شرع الإسلام فماذا قال المتصوفة؟

ينقل الطوسي والعطـــار عن إبـــراهيم بن أدهم أنه قال: ((إذا تزوج الفقير، فمثله مثل رجل ركب السفينة فإذا ولد له ولد فقد غرق)).[2]

ونقل عن بشر بن الحارث أنه قيل لـه: ((إن النـاس يتكلمـــون فيك فقـــال: وما عسى يقولـــون؟! قيـــل: يقولون: إنك تارك السنة يعنون النكاح.

فقـال: قل لهم، إني مشـغول بـالفرض عن السـنة، فالأفضل في زماننا هذا ترك التزويج)).[3]

ونقل الشـعراني عن ربـاح بن عمـرو القيسي - من الصـــوفية الأوائل - أنه قـــال: ((لا يبلغ الرجل منـــازل الصـــديقين، حـــتى يـــترك زوجته كأنها أرملـــة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلاب)).[4]

---

1 (?) رواه الشيخان.

2 (?) اللمع: الطوسي، ص265.

3 (?) قوت القلوب: جـ2، ص238.

4 (?) طبقات الشعراني: جـ1، ص46.

* ألا تجد أن هذا مشابه لكلام النصارى؟!

يقـــول رســـول المســـيحيين في رســـالته إلى أهل كورفتوس:

((وأما من جهة الأمـــور الـــتي كتبتم عنهـــا، فحسن للرجل أن لا يلمس امــرأة)). ويقــول كــذلك: ((أقــول لغـير المـتزوجين والأرامل إنه حسن لهم إذا لبثـوا كما أنا)).[1]

* كما مدح المتصوفة الفقر ودعوا إلى ترك الدنيا:[2]

ذكر المحاسبي عن إبـراهيم بن أدهم أنه قـال: ((إن كنت تحب أن تكون لله ولياً، وهو لك محب فدع الــدنيا والآخرة، ولا ترغبنّ فيها))؟!

وقال ابن عجيبة الحسني مبيّنـاً حالة أهل التصـوف: ((الفقر أساس التصوف، وبه قوامه)).[3]

وذكر الصوفي عماد الدين الأمـوي في كتابه ((حيـاة القلوب)) أن رجلاً دخل على بعض الصـوفية يتكلم في الزهد، وعنده قميص معلق وعليه آخر فقـال: يا شـيخ، أما تستحي أن تتكلم في الزهد ولك قميصان؟)).[4]

وذكر الكلابـــاذي عن أحمد بن الســـمين أنه قـــال: ((كنت أمشي في طريق مكــة، فــإذا أنا برجل يصــيح: أغثني يا رجل! قـال خذ مـني هـذه الـدراهم، فـإني ما

---

1 (?) رسالة بولس من العهد الجديد: الإصحاح السابع (الآيتان 10، 8).

2 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: ص74-78.

3 (?) إيقاظ الهمم: ابن عجيبة الحسني، ص213، ط3، مصطفى البابي، 1402هـ.

4 (?) حياة القلوب: عماد الدين الأموي، جـ2، ص122، على هامش قوت القلوب، طبعة دار صادر، بيروت.

أقدر أن أذكر الله وهي معي، فأخذتها منه فصاح: لبيك اللهم لبيك، وكانت أربعة عشر درهماً.[1]

وينقلون عن الرفاعي - صـاحب الطريقة الرفاعية - أنه كان يقول: ((أكـره للفقـراء دخـول الحمـام، وأحب لجميع أصــحابي الجــوع والعــري والفقر والــذل والمسكنة، وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك)).[2]

ويرى بعض المتصوفة أن هذه المعـاني مقتبسة من النصــرانية كما نص على ذلك أبو طــالب المكي حيث قال: ((روينا عن عيسى عليه السلام أنه قـال: أجيعـوا أكبادكم وأعروا أجسـامكم، لعل قلـوبكم تـرى الله عز وجل)).[3]

وقال جولد زيهر ((إن مدح الفقر وإيثاره على الغنى كان من العناصر النصرانية)).[4]

فمن خصــائص المســيحية وتعاليمها تــرك الــدنيا والتجرد عن المال والجوع وتعري الأجسـاد والإعـراض عن زينة الحيــاة المباحة وتحــريم الطيبــات باسم الانقطاع إلى الآخرة.[5]

وكل ذلك مضــاد للفطــرة الســوية، ولــذلك بقيت تعـاليم النصـرانية المحرفة أفكـاراً مثالية لا تطبق في عـالم الواقـع، بل إن كثـيراً من الرهبـان انجرفـوا في

---

1 (?) التعرف لمذهب أهل التصوف: الكلاباذي، ص185، طبعة القاهرة، 1400هـ.

2 (?) النفحة العلية في أوراد الشاذلية: عبد القادر زكي، ص263، مكتبة المثنى بالقاهرة.

3 (?) قوت القلوب: لأبي طالب المكي، جـ2، ص67.

4 (?) انظـر: كتـاب التصـوف الإسـلامي منهجـاً وسـلوكاً: د. عبـد الـرحمن عمـيرة، ص33، مكتبـة الكليـات الأزهرية.

5 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر: ص64-65.

حمأة الرذيلة، وتعلقوا بأطايب الدنيا، ناهيك عن الغرب الذي يدين بالنصرانية.

وهذا ما وقع فيه كثير من المتصوفة تعلقاً بالحياة الدنيا باسم الزهد والدروشة، وخاصة في العصور المتأخرة.

فلا إفراط ولا تفريط، وكل ذلك انحراف ينافي هدي الإسلام.

((فالصمت الدائم بدعة منهي عنها، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء، فذلك من البدع المذمومة أيضاً.

كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: ((ما هذا؟!)) ، فقالوا: أبو إسرائيل قد رأى أن يقوم في الشمس ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((مروه فليجلس، وليستظل وليتكمم وليتمّ صومه)).([1])

وقال ابن تيمية عن الرجل[2] ((يتعبد بغير العبادات المشروعة، وإن كان خالصاً في نيته - مثل الذي يصمت دائماً أو يقوم في الشمس، أو على السطح دائماً، أو يتعرى من الثياب دائماً، ويلازم لبس الصوف، أو لبس الليف ونحوه، .. أو يمتنع عن شرب الماء أو أكل الخبز واللحم، ونحو ذلك.. كانت هذه العبادات باطلة ومردودة، كما ثبت في الصحيح عن عائشة عن

---

[1] (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص200.

[2] (?) المرجع السابق: جـ11، ص613.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أحـدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).[1]

لقد كـان زهد الصـحابة في متـاع الـدنيا، ذلك الزهد الإيجـابي البنـاء، ذلك الزهد الـذي يـدفع أصـحابه إلى الجهـاد والمجالـدة والمواجهـة، لا إلى الانحسـار داخل النفس، وهو الزهد الـذي يحصن النفس ضد الفتنـة، لا الذي يقتل النفس للوقاية منها.

أما الصـوفية: فقد انصـرفوا إلى الصـلاة أو الصـيام والذكر، وقالوا: هذه هي الأعمال المطلوبة للآخرة، أما أمـور الـدنيا فلا حاجة لنا إلى الخـوض فيهـا، لأنها فتنة توقع في حبائل الشيطان.

وكانت النتيجة بسبب هذا الفكر السلبي إضـافة إلى الفكر الإرجائي الذي شـجّع على التفلت من التكـاليف أن وصل العالم الإسـلامي إلى حالته الراهنة من الفقر والجهل والمرض)).[2]

---

1 (?) متفق عليه.

2 (?) انظر: مفاهيم ينبغي أن تصحح: الأستاذ محمد قطب، ص323، 328.

2- تعدد الطرق وانتشار الزوايا والأربطة:

انتشرت الطرق الصـوفية في العـالم الإسـلامي في القرون الأخيرة، وكـثرت الزوايا والتكايا الـتي يقيمـون فيها شـــعائرهم، ويـــأوون إليها متفـــرغين لأورادهم وسماعهم، بعيداً عن كد المعاش، وعمارة الأرض.

والطريق الصوفي: ((ما يضعه شـيخ من مشـايخ الصوفية لمجموعة من المريدين من أوضــاع يلتزمونها ويختصون بها دون غيرهم)).[1]

((فالشـــيخ الصـــوفي - شـــيخ الطريقة - يفـــرض الطريقة على المريـــدين، وقد انكشف له الحجـــاب، وتجلت له الأقدار، وعرف الأسـرار، إلى غـير ذلك مما يروّج على ألسنة أتباع الطريقة)).[2]

وعلى المريد أن يواظب على الأوراد والأذكـار الـتي لقنه إياها الشـيخ وأن يكـون في علاقاته بشـيخه كما عبر الشيخ القشيري ((كالميت بين يـدي الغاسل يقلبه كيف يشاء)).

وقد ظلت هـذه منـاهج الطريـق، حـتى أخذ العمل الصـوفي في القـرون المتـأخرة الشـكل الجمـاعي، والأســـلوب التنظيمي في البلاد الإســـلامية، أي منذ القرن السادس الهجري.

ويعتقد أصحاب الطرق الصوفية أن سلوك الطريق، له مراحل تبـــدأ بمرتبة المريـــد، ثم يعطى الأوراد ويسمى ((سالكاً)) للطريق، ثم يـرتقي بالـذكر وصـدق

---

1 (?) التيجانية: علي بن محمد الدخيل الله، ص28، دار طيبة، الرياض.

2 (?) الرسالة القشيرية: ص95، 20، تحقيق د. عبد الحليم محمود، الطبعة الأولى، 1963م.

النيــة، حــتى يصل إلى مقــام ((العبودية)) ثم يصل إلى مقام ((العشق)) والوجد والهيام، حــتى تصل النفحــات الربانية والبركـــات الإلهيـــة، وهنا يصل الســـالك إلى ((مقام الحقيقة)).

وبعــدها قد يفـنى العبد عن نفسه وحظوظــه، فيصل إلى ((الفناء واللقاء والبقاء)). أي برب العباد، وهذا هو منتهى الضــلال في الكفــر، ومن ثم حــالات: الحلــول والاتحاد ووحدة الوجود.[1]

* أوراد الصوفية وأذكارها:[2]

وقد اخــترع الصــوفية وظــائف وأوراداً، وجعلــوا لها ثواباً من عند أنفسهم، وأوجدوا لها حلقاً وآداباً.

ومن هذه الأوراد، ما لم يرد في كتاب ولا سنة...

فعندما يذكر رسول الله صلى الله عليه وســلم : أن أفضل الذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله. يقــول بايزيد الأنصاري وهو يقسم الذكر إلى أقسام:

((أما ذكر لا إله إلا الله محمد رسول اللــه، فهو ذلك اللسان، وهو يجوز في الشريعة، وذكر (لا إله إلا اللــه) هو ذكر القلب، وهو يجوز في الطريقة، وذكر (إلا الله) هو ذكر الروح، وهو يجــوز في الحقيقة وذكر (اللــه) هو ذكر السر، وهو يجوز في المعرفة، وذكر (هــو) هو ذكر الغيب، وهو يجــوز في القربــة، والاسم الأعظم هو ذكر المذكور، وهو يجوز في الوحدة.[3]

---

1 (?) انظر: دراسات في الفرق: د. صابر طعيمة، ص113-117، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ.

2 (?) انظر: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص189-212.

3 (?) مقصــود المؤمــنين: بايزيــد الأنصــاري، ص306، طبعــة إســلام أبــاد، باكســتان، نقلاً عن دراســات في التصوف، ص192، إحسان إلهي ظهير.

وحُكي عن الشبيلي أنه قيل له: لِمَ تقـول: ((الله))؟ ولا تقـول: ((لا إله إلا الله))؟ فقـال: أسـتحي أن أوجه إثباتاً بعد نفي.. أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحـود، ولا أصل إلى كلمة الإقرار)).[1]

وقد كثرت بدعهم في ذلك، حتى قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: ((لا إله إلا الله))، ومثل: ((الله أكـبر)) ومثل ((سـبحان الله والحمد لله)). فأما الاسم المفـرد مظهراً مثل ((الله، الله)) أو مضمراً مثل: ((هـو، هو)) فهذا ليس بمشـروع في كتـاب ولا سـنة، ولا هو مـأثور أيضاً عن أحد من السلف، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين.

وربما غلا بعضـهم في ذلك حـتى جعلـوا ذكر الاسم المفرد للخاصة وذكر الكلمة التامة للعامة)).[2]

ويقـول أيضـاً: ((أما ذكر الاسم المفـرد، فبدعة لم يشـرع وليس هو بكلام يعقـل، ولا فيه إيمـان.. ومن العجب أن الصـوفية يقولـون: ذكر العامة ((لا إله إلا الله)) وذكر الخاصة ((اللـه، الله)) وذكر خاصة الخاصة ((هـو، هو)). وقد ثبت في الصـحيح عن النـبي صـلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أفضل الكلام بعد القـرآن أربع، وهو من القرآن، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)).

وفي حـديث آخـر: ((أفضل الـذكر لا إله إلا الله))[3] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ولم يكتف المتصـوفة

---

1 (?) انظر: شطحات الصوفية: للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص44، طبعة الكويت.

2 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ10، ص556.

3 (?) المرجع السابق: جـ10، ص396.

بهذا الإعراض عن الذكر الشـرعي، بل ابتـدعوا أحزابـاً سـبعة، وزعوها على أيـام الأسـبوع، يكررها الصـوفية معرضين عن الأوراد والأذكار المأثورة في كتب السنة، واخـترعوا لها فضـائل ومنـاقب، منها ما ذكـروه: ((من قرأ مرة واحدة كتب الله له ثواب حجة مقبولة، وثواب من أعتق رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام، فيقـول الله تعـالى: ((يا ملائكـتي هـذا عبد من عبـادي أكـثر الصـلاة على حبيـبي محمـد، فـوعزتي وجلالي لأعطينه بكل حرف صلى قصراً في الجنة..))[1]

ويعتقد بعض المتصـوفة أنهم أخـذوا هـذه الأذكـار، والوظـائف والأحـزاب من علي ، أو من الخضر عليه السـلام، أو من رسـول الله مباشـرة، عليه أفضل الصلاة والتسليم، كحـزب أبي الحسن الشـاذلي، الـذي سماه ((حـزب البحر وكلماتـه: ((رب يسر وسـهل، ولا تعسر علينـا، يا ميسر كل عسـير، بحـق: أب ت ث... هـو، لاي.. بسم الله ((بابنا)) تبـارك ((حيطاننا)) يس ((سقفنا)) كهيعص كفايتنا..[2])

رُوي أنه لما اعـترض الفقهـاء على حـزب الشـاذلي هـذا قـال الشـيخ: ((والله لقد أخذته من رسـول الله صلى الله عليه وسلم حرفاً بحرف)).[3]

هذا وللذكر عندهم آداب: ((فلا يتلو المريد ورداً إلا بإذن من شيخه، أو يلقنه إياه، وأن يجلس على هيئة المتشهد وأن يراقب صـورة شـيخه في جميع عباداتـه،

---

1 (?) انظر: دلائل الخيرات: ص112-113، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1346هـ.

2 (?) انظر: النفحة العلية في أوراد الشاذلية: ص12، عبد القادر زكي، طبع مكتبة المثنى، القاهرة.

3 (?) جامع كرامات الأولياء: النبهاني، جـ2، ص176.

وأن يستمد من شيخه بقلبه... وألا يشرب عقب الـذكر مباشـــرة، وينتظر قليلاً في مكانه بعد الـــذكر صـــامتاً مستحضراً..)).[1]

((فهذه آداب غريبة عجيبـة، تسـربت إلى المتصـوفة من طقوس الهنود البوذية)) وقد تحـول الـدين عنـدهم إلى كهنوت جديد ورسوم خاوية.[2]

* لقد تحول السواد الأعظم من المسلمين إلى اتّباع هذه الطرق:

وقلما تجد في كتب الـتراجم والرجـال ترجمة لرجل إلا وفيها ذكر الطريقة الـــــتي ينتمي إليهـــــا، مع ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم هذه الطريقـة، وكأنما أضـحت هذه الطـرق هي الدرجة الرفيعة من الـدين، ويتسـابق إليها العلماء قبل غيرهم.

وكـــان الكثـــير من المتصـــوفة في ذلك العصـــر، لا يكتفون بطريقة واحدة، بل كثيراً ما يسعون لأخذ أكـثر من طريقة، ويرون أن ذلك زيادة في الدين والخير.

وكـــان شـــيوخهم يتنقلـــون بين البلـــدان ينشـــرون خرافـــاتهم وبـــدعهم، ويتحمّلـــون ما يصـــيبهم من عنت ومشقة في سبيل تبليغ طرقهم ونشرها بين الناس.[3]

فالدعوة إلى الله كانت عند النـاس هي الـدعوة إلى الطرق الصوفية، وكان النصح والإرشـاد بتوجيه النـاس إلى الصـوفية... وكـان الـدين والصـلاح - في العـرف

---

[1] (?) أبو الحسن الشاذلي: د. عبد الحليم محمود، ص387.

[2] (?) انظر: دراسات في التصوف: ص212، إحسان إلهي ظهير.

[3] (?) الأحـوال الدينيـة عنـد المسـلمين في القـرنين الثـالث والرابـع الهجـريين: علي بن بخيت الزهـراني، 1414هـ، ص291، 292، 296.

السائد - هما الصوفية، ولهـذا كـان يحـرص الآبـاء على تنشئة أبنائهم نشأة صوفية.[1]

وقد ذكر الدكتور توفيق الطويل أن الطرق الصوفية كــثرت كــثرة مفطــرة في العهد العثمــاني، إذ بلغت حوالي ثمانين طريقة، أما في زمنه ((قبل حوالي أكـثر من نصف قــرن من الآن)) فقد بلغت خمســاً وأربعين طريقــة، لكل منها شــيخ له نــواب في المركز الــتي يســتحوذ فيها على كــثرة من المريــدين والأتبــاع، ثم يكــــون له خلفــــاء في المــــدن والقــــرى، ولكل منهم مريدون يسلكون طريقة الشيخ.[2]

وقد بلغت الطــرق الصــوفية زمن الســلطان عبد الحميد سبعين طريقة.[3]

* التآخي بين النساء والرجال في الطرق الصوفية:**[4]**

يقــول الشــعراني: ((إن أتبــاع الأحمدية ((البــدوي)) والبرهامية ((أي إبــراهيم الدســوقي))، والقادرية ((أي عبد القــادر الجيلاني)) يأخــذون العهد على المــرأة، ثم يصــــيرون يــــدخلون عليها في غيبة زوجها ((أي أنهم اتخــذوا من التصــوف طريقــاً للوصــول إلى النســاء، بــدعوى أنها صــارت بنته أو أخته في الطريــق، وتحت هذا الشعار يخلو بها ويكون الشيطان ثالثهما.

وبهــذه الوســيلة اشــتدّ خطر الصــوفية الأحمديــة، ورفــاقهم على المجتمع المصــري)). وهــذا الشــعراني

---

1 (?) المرجع السابق: علي بن بخيت الزهراني، ص298.

2 (?) التصوف في مصر إبان العصر العثماني: ص74، نقلاً عن السابق، ص300.

3 (?) انظر: السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية: ص122، موفق المرجة، الكويت، 1981م.

4 (?) السيد البدوي - دراسة نقدية: د. عبد الله صابر، ص34-35.

نفسه يقــول في القــرن العاشر الهجــري ((إيــاك أن تمكن جاريتك - أي ابنتك - أن يأخذ أحد من الأحمدية أو البرهامية العهد عليها إلا مع المحافظة على آداب الشريعة)).[1]

وهـذا ابن الحـاج الفقيه الصـوفي ينـدد لما ظهر من البدع الأحمدية، مثل المؤاخاة مع النساء، كستار يخفي الانحلال الخلقي. يقــول: ((آخى بعضــهم بين الرجــال والنســـاء، بل كـــانت بعض النســـاء تعيش مع بعض الرجال ويزعمون أنهن أخواتهم من الشيخ.[2]

ومن الغريب أن تتحـول الطـرق الصـوفية إلى اللهو والعبث والانحلال، ولاشك أن الباطنية والمــــــــذاهب الهدامة قد نخـــرت في جســـمها، فليـــالي الإفاضة وشـــيوعية النســـاء عند القرامطة معروفـــة، وإباحة المحارم معروفة عنهم أيضاً.

*** أما الزوايا:[3]**

فقد كانت تعتبر أهم محاضن الصوفية، وأكـثر نقـاط تجمع أصحابها.

وكـــان الحكـــام والآبـــاء يتســـابقون في إنشـــائها وتعميرها، ويستجيبون لمطالب شيوخ الطـرق، وخاصة في القرون المتأخرة.

وكان الصوفيون في كثـير من الأحيـان يبـادرون إلى بناء زواياهم، لأن الزوايا بالنســبة إليهم، تمثل شــرايين الحياة، التي تجري فيها طرقهم وطقوسهم وبدعهم.

---

1 (?) السيد البدوي: د. أحمد منصور، ص334، عن لواقح الأنوار: ص323.

2 (?) المدخل: ابن الحاج، جـ2، ص204. نقلاً عن: السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص35.

3 (?) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص300-302.

وقد كثرت الزوايا كثرة مفرطة في العصر العثماني، ففي القاهرة وحدها كان يوجد مائتان وخمسة وعشرون زاوية... ومما يؤسف له أن عدد الزوايا الصوفية كان يفوق بكثير عدد المساجد والمدارس.

يقول الشيخ محمد الحجوي (المتوفى سنة 1376هـ):[(1)]

((حتى أنك إذا بحثت في أي مدينة، أو قرية في غالب الممالك الإسلامية تجد زواياها أكثر من المساجد ومن المدارس، ولا تكاد تجد عائلة إلا وهي آخذة طريقة من الطرق، تتعصب لها برجالها ونسائها وصبيانها..

والطامة الكبرى هي أن من ينتسب للعلم من أهل زماننا يتسابقون للأخذ عن تلك الطرق البدعية، ويتحزبون لها...)).

وبذلك انحصرت اهتمامات السواد الأعظم من المسلمين، في طرق وزوايا وأوراد، قلما يسأل هؤلاء عن مدى موافقتها لشرع الله، وازدادت السلبية عندما تعلق هؤلاء بسماع الأناشيد مع الموسيقى أحياناً، والترنح اللاواعي أحياناً أخرى، مع الميل إلى البطالة، وتعطيل شعيرة الجهاد في سبيل الله كما سيأتي بيانه.

* ومن أغرب ما نشاهده عند المتصوفة، أنهم في هذا العصر يعقدون حلقات الذكر، فتزدحم الشوارع

---

1 (?) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: تحقيق د. عبد العزيز القارئ، المكتبة العلمية بالمدينة، ط 1396هـ، جـ2، ص612.

بالمريـدين، يسـتمعون السـاعات الطـوال للمنشـدين، وهم يحسبون أنهم في عبادة للــه، ولا نجد أحــداً منهم يصــلي الصــلاة المكتوبة في المســجد رغم قربه من أماكن هذه الحلقات، فـالمؤذن يـؤذن وتقـام الصـلوات وتنتهي، ومع الأسف، لا نرى أحداً من هؤلاء المتصوفة، يرتـــاد المســـجد ويســـتمرون فيما هم فيه من وجْد وأناشيد ولهو، وهذا لو تعلق به المسلمون في القـرون المفضلة لما فتحوا العـالم، ولما انتشر هـذا الـدين في مشارق الأرض ومغاربها.

3- الوجْد والسّماع:[1]

ابتــدع المتصــوفة في حلقــاتهم ألوانــاً من الــذكر وسماع الأناشـيد الغزليـة، حـتى جعل بعضـهم الـرقص والسماع من العبادات المفضلة.

وكـانت مجـالس الـذكر تعقد في الزوايا والخلـوات غالباً، وربما عقدت في المساجد أحياناً.

يقول أبو الهدى الصـيادي الرفـاعي وهو يصف هـذه الحلقات: ((وفي أثناء ذكـرهم، يهـتزون يمينـاً وشـمالاً، يميلون ويبكون ويتواجدون، ويئنون ويتأوهون... وينشد لهم الحـادي من كلمـات الصـالحين، ومن منظومـات العارفين، وأقوال العاشقين الصادقين شـيئاً كثـيراً من المدائح النبوية)).[2]

ويــذكر محمد رؤوف الشـيخلي وصــفاً لمجلس من مجالس الذكر في بغـداد فيقـول: ((وأن الـذاكرين في المجلس، يصاب بعضـهم بغيبوبة فيتكلمـون بكلام غـير مفهوم، ويخــرج من أفــواههم زبد أبيض، وهم قـائمون وقاعــدون ويــأتون بحركـات اختياريــة، كـأن يــترنحوا واقفين ويتمرغوا على الأرض..)).[3]

* السماع:[4]

من البــدع العملية عند المتصـوفة، سـماع الأناشـيد والأشعار الغزلية، ففيها ذكر الهجر والوصل، والقطيعة

---

1 (?) انظر تفصيلاً لذلك: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص150-185.

2 (?) رياض الأسماع في أحكام الذكر والسماع: مطبعة التمدن بمصر، 1903م، ص6-14.

3 (?) نهر الذهب في تاريخ حلب: جـ1، ص281، المطبعـة المارونيـة، 1342هــ، كامـل بن حسـين الحلـبي. وانظر: الأحوال الدينية عند المسلمين: ص302-304، الزهراني.

4 (?) انظر: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص150-161.

والشوق والحب والعشق، وفيها ذكر الخمر والكؤوس، مع آلات أو بدونها مكاءً وتصديةً.

وتعتبر حلقـات الـذكر عنـدهم، من أفضل العبـادات، ويرون أن الـذاكر جليس اللـه، وليس يصـلح لمجالسة الله غير أكـابر أهل الحضـرة، وقد نقل الشـعراني عن الحــارث المحاســبي أنه كــان يقــول: ((مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن)).[1]

ونقلوا عن الجنيد أنه كـان يقـول: ((الرحمة)) تـنزل على الفقــير بثلاثة مواضــع: عند الأكل فإنه لا يأكل إلا عند الحاجـــة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلا لضـــرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع إلا عند الوجد)).[2]

واسـتخدموا لـذلك أبياتـاً ومقطوعـات في الغـزل والعشق، ويزعمون أنهم يقصدون بها حب الله.

من ذلك ما نقله الســـــهروردي في عوارفه عن ذي النـــون أنه لما دخل بغـــداد، دخل عليه جماعة ومعهم قــوّال، فاسـتأذنوه أن يقــول شـيئاً، فــأذن له فأنشد القوال:

صـــــغير هـــــواك   فكيف به إذا
الله وأنت جمعت   هـــــوى قد كـــــان
أما تـرثي لمكـتئب   إذا ضـــحك الخليّ

فطاب قلبه، وقام وتواجد وسقط على جبهته، والدم يقطر (من جبهته) ولا يقع على الأرض.[3]

---

1 (?) الأنوار المقدسـية في معرفـة قواعـد الصـوفية: الشـعراني، جــ2، ص679، طبعـة دار إحيـاء الـتراث العربي، بغداد.

2 (?) كتاب اللمع: الطوسي. والرسالة القشيرية: جـ2، ص645.

3 (?) عوارف المعارف: السهروردي، ص179. الرسالة القشيرية: جـ2، ص650.

* وقد حاكى شعراء الصوفية شعراء الحب العذري:

فذكروا اسم المحبوبة ومواطن اللقاء، وتصوير أيـام الصبا، وتحـدثوا عن مـواطن الفتنة في طرفها وجيـدها ووجهها وحـديثها، وكـانت ليلاهم - على حد ما زعمـوا - فريدة في تمنعها وعزتها، ويزعم المتصوفة أنهم نقلوا سلوك الزهد والتقشف من عـالم العبـارة كما يقولـون إلى عالم الإشارة كما يزعمون.[1]

وانظر إلى قول ميمونة، فيما نسبه إليها النيسابوري في عقلاء المجانين:

قلوب العارفين لها ... تــرى ما لا يــراه
وألســـنة بسر قد ... تغيب عن الكـــرام
وأجنحة تطير بغـير ... إلى ملكـــوت رب
فتســقيها شــرابٍ ... وتشـــــــرب من

وانظر إلى عذوبة اللفـظ، وشــدة التوله في قــول ريحانة الــتي تــرجم لها النيســابوري أيضــاً في (عقلاء المجانين):

حسْب المحب من ... أن المحب ببابه
والقلب فيه إن ... بســهام لوعـــات

((ونقل الغزالي عن النوري، أنه كـان مع جماعة في دعـوى، فجـرى بينهم مسـألة في العلم، وأبو الحسـين النوري ساكت، ثم رفع رأسه وأنشدهم:[2]

رب ورقـاء هتـوف ... ذات شجو صدحت

---

[1] (?) انظر: دراسات في الفرق: د. صابر طعيمة، ص113-117، مكتبة المعارف، الرياض120-123.

[2] (?) انظر: إحياء علوم الدين: جـ2، ص273، 274.

ذكرت إلفاً ودهـراً　وبكت حزنـــــــاً
فبكـائي ربما أرقها　وبكاها ربما أرقـني
غـير أني بـالجوى　وهي أيضاً بـالجوى

((وقد ذكر ابن خلكـان شـعراً للرفـاعي الكبـير إذ يقول:

وإذا جنّ ليلي هـام　أنــــوح كما نــــاح
وفــوقي سـحاب　وتحـــــتي بحـــــار
سـلوا أم عمــرو　تفك الأسـارى وهو
فلا هو مقتبـــــول　ولا هو ممنـــــــون

ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي.[1]

وزاد ابن كثير في تاريخه بعد هذه الأبيات:[2]

أغـــــار عليها من　ومن كل من يـدنو
وأحسد للمـــــرأة　إذا نظـــــرت مثل

فهذا الشعر وهـذه الأناشـيد المليئة بـذكر ما يـذكره الغاوون، تغنى على ألحان وأنغام، مع آلات اللهـو، وقد يكـون القـوال ((المنشد)) من الجـواري والبنـات، وقد تكون حلقـات السـماع والـذكر مختلطـة، ولا حـول ولا قوة إلا بالله.

وقد ذكـروا آدابـاً لهـذا السـماع والغنـاء، لا تقل عن آداب ســماع القـــرآن كمراعـــاة الزمـــان والمكـــان والإخوان، وأن يصغي السـامع وهو حاضر القلب، قليل

---

1 (?) وفيات الأعيان: ابن خلكان، جـ1، ص171-172.
2 (?) البداية والنهاية: جـ12، ص312.

الالتفــات، وإذا رقص أو تبــاكى فهو مبــاح، وأن يوافق القوم في القيام والجلوس.[1]

* الحب الإلهي:

وهي فكــرة نتجت عن اعتقــاد المتصــوفة بوحــدة الوجود، ولذلك فقد عشقوا الصـور الجميلة لاعتقـادهم أنها مظاهر الحق، فتصـوف وحـدة الوجـود فيها دعـوة إلى خلاعة ماجنـة، وإلى حب الشـهوات الرذيلـة، حيث جعلـوا العشق الطـبيعي سـلّماً للحب الإلهي، وحـاكوا في كتبهم الحكايات الغزلية وأساطير العشاق، وجعلوا مجنون ليلى قدوة لهم في حبهم لله تعالى.[2]

وقد ذكرنا نمـــاذج من هـــذا الغـــزل في الفقـــرة السابقة.

ومن هذا المنطلق أحب ابن عربي امرأة ذات مــرة - وهي ابنة الشـــيخ مكين الـــدين - في مكـــة!! وعنـــدما تمنعت عليه وأبت أن تنســاق مع خطيئتــه، راح يتوسل إليها ونظم فيها ديوانه: ((ترجمـان العشـاق))، ويؤكد لها فيه أنها هي ((الرب)) متجسداً في صورة أنـثى جميلـة، وأنه ما أحبها إلا لأنها أجمل تجليات الحقيقة الإلهية، وأنه إذ يتشهاها، فإنما يتشهى فيها أنوثة ربه وجسده الفائر - حاشا لله - فأبت المرأة إلا أن تكون شريفة.[3]

فهــذا الانحلال ليس غريبــاً على فــرق الباطنية من الإسماعيلية والقرامطة والحشاشين، فجذورهم جميعاً

---

[1] (?) إحياء علوم الدين: الغزالي، جـ2، ص276 وما بعدها.

[2] (?) دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص302.

[3] (?) هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل، ص239، دار الكتب العلمية، بيروت.

اليهوديـــة، وليـــالي الإفاضة وشـــيوعية النســـاء عند القرامطة معروفة.[1]

ومن هذا المنطلق قال ابن الدباغ:

((فــالنظر إلى الجمــاع عبــادة إذا قصد بــالتعلق به الوصـول إلى الخـالق، إذ لا يسـتدل على علم الصـانع وقدرته إلا بإتقان صنعته وإحكامها.. فلا يعطي الجمـال إلا من هو أجمل منه)).

ويقول في ذلك شعراً:

وقد قلتما لي أما هـــذه فـــوق
يقــــــول خليلي أهَـذا الـذي تهـوى
لئن شـــــابهت لقد خـــــــالفت
أراك إلحمى قل ثغورها[2]

فــانظر إلى القــوم كيف يــدعون إلى معصــية الله ورســوله بــالحث على النظر إلى النســاء الجميلات، بــدليل أن النظر إلى جمــالهن يوصل إلى محبة اللــه، ويــدل على حبــه، إذ أنه هو خــالق ذاك الجمــال، وأن خالقه أجمل منه.[3]

أين ذلك من قوله تعـــالى: **{ قُـــلْ لِلْمُـــؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُـوا فُـرُوجَهُمْ ذَلِـكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْـنَعُونَ }** [النــور: 30].

---

1 (?) السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص36.

2 (?) مشارق أنوار القلوب: ابن الدباغ، ص47-48، طبعة دار صادر، بيروت، 1379هـ.

3 (?) دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص303.

* الوجد والرقص:

يعتـبر من طـرق المتصـوفة في الـذكر والعبـادات الاستهتار والاستخفاف، والـرقص الجمـاعي مع سـماع الذكر والأناشيد على الدفوف.

ومن أناشـيدهم ما يقوله يحـيى بن معـاذ المتـوفى سنة 258هـ:

دقفنا الأرض على غيب معانيكا
ولا عيب على لعبد هـــــائم فيكا
وهذا دقنا للأرض إذا طفنا بواديكا[1]

فقد كـان للسـماع عند جمهـور المتصـوفة منزلة عظيمة سـرعان ما يتحـول الـذكر إلى رفع الصـوت، والحركة الشديدة. ويدافع أبو الهدى الصـيادي عما يقع من المتصوفة من حركات هوجاء أثناء ذكرهم ويقـول: ((من لم يحركه السـماع فهو نـاقص مائل عن لطف الاعتدال بعيد عن نور الروحانيـة.. فالسـماع يثمر حالة في القلب، وتسـمى وجـداً، ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضـطراب، وإما بحركة موزونة فتسـمى التصـفيق والـرقص)).[2] وقد أباح المتصـوفة الغنـاء والسـماع والـرقص، وكـان كثـير منهم يقبلـون على اسـتماع الملاهي والمعـازف ويتعلمون الموسيقى.

يقول أبو الهدى الصيادي من قصـيدة له في الـدف، الذي كانت لا تخلو منه حلقة إلا قليلاً:

---

1 (?) دراسات في الفرق: د. جابر طعيمة، ص61. عن اللمع: أبو نصر سراج الدين، ص452.

2 (?) رياضة الأسماع: أبو الهوى الصيادي، ص45. وانظر: الأحـوال الدينيـة عنـد المسـلمين: ص306-308، علي بن بخيت الزهراني.

اضـــرب الـــدف حكمة الشـــــرع
كل ما حـرك قلبـاً ودعا العقل به
وأجـال الـروح في تـــذكر الله وتبغي
إن في الدف وفي نغمة يعرفها من
صـــوته ذكر وفي أنه تـــذكر أوقـــات
نضرب الدف ومنه ذاكـراً نسـمعه لن

قال ابن تيمية رحمه الله: ((الضرب باليد على أختها أو غيرها على دف أو طبل كنـاقوس النصـارى، والنفخ في صفارة كبوق اليهود، فمن فعل هــذه الملاهي على وجه الديانة والتقرب، فلا ريب في ضلالته وجهالته)).[1]

ومن ثمار الوجد ولواحقه عند الصوفية والرقص.[2]

يقول السهروردي: ((ربما صار الرقص عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس)).[3]

وقد أحل أبو حامد الغزالي الرقص، كما أبـاح تمزيق الثيـاب وتقطيعها يقــول: ((فــإن قلت: فما تقــول في تمزيق الصــوفية الثيـــاب الجديـــدة بعد ســكون الوجد والفـراغ من السـماع، فـإنهم يمزقونها قطعـاً صـغاراً، ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم أن ذلك مباح)).[4]

---

1 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ11، ص176.

2 (?) انظر: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص180-185.

3 (?) عوارف المعارف: السهروردي، ص180.

4 (?) إحياء علوم الدين: جـ2، ص278-279، طبعة دار القلم، بيروت.

ومما أخذ على الأحمدية ((أحمد البـدوي)) الضـرب بالدف عند الذكر والرقص والتصفيق، فإذا دب الطرب مع المتصوف قليلاً، حرّك رأسه كما يفعل أهل الخمـر، ثم إذا تمكن الطرب منه ذهب حيـاؤه ووقـاره، فيقـوم ويرقص وينادي ويبكي.. ويـدخل ويخـرج ويبسط يديـه، ويرفع رأسه نحو السـماء وكأنه جـاءه المـدد منهـا، ويخرج الرغو أي الزّبد من فيه، وربما مزق بعض ثيابه. وعبث بلحيته.[1]

هذا ومنذ القرن الخامس الهجري وحتى اليوم، فـإن معظم الفرق الصوفية ينتظمون في ذكرهم وحلقـاتهم مجموعات مجموعات من الرجال والنساء معاً وبـدون حجـاب.. وفي مواسم ذكر الشـيخ أو ميلاد أئمة الطريقة يقومون بحلقـات للإنشـاد الجمـاعي أشـبه ما يكون برقص جماعي..

وقد دفع ذلك بشـاهد عيـان[2] وهو في سن الشـباب إلى بيت أحد الشـيوخ من أصـحاب طريقة شـهيرة، فوجد في حلبة الـذكر الجمـاعي رجلاً ضـخم الجثـة، يمسك عصـاً ومسـبحة، وكـان يضـرب بعصـاه الأرض متنقلاً بين زحـام الـذكر، وقد غص المكـان بالرجـال والنسـاء، وبينهم شـباب وشـابات في سن العشـرين، وكان الرجل ينتقل وهو يردد قول الحلاج، والذي حاكى فيه ابن أبي ربيعة في حبه العذري:

ولا ذكرتك محزونـاً   إلا وأنت بقلـبي

ولا هممت بشـرب   إلا رأيت خيـالاً

---

[1] (?) السيد البدوي: د. عبد الله صابر، ص34، نقلاً عن سعيد عاشور، عن المـدخل: ابن الحـاج، جـ2، ص2 وما بعدها.

[2] (?) هو الدكتور جابر طعيمة في كتابه: دراسات في الفرق: ص123 وما بعدها.

وإذا بصوت نسائي يصدر من بين الحلبة التي علا ضجيجها يعلق على هذين البيتين حين كان الرجل يرددها بالنغم المميز للطريق بحركة ((هستيرية)) مندفعة بين الصفوف تروح وتجيء وهي في سن الشباب ترتدي ثوباً أبيض ضاق بجسدها الممتلئ وهي تقول: يا روحي يا روحي يا روحي، ثلاث مرات، ألهبت حماس جميع من في الحلقة فتحولت العبادة المزعومة، وذلك القلب المدعى، إلى هدير راقص، كان المنشد أشبه بمقام ((المايسترو))، وحين أدرك أنهم أجهدوا، وبدءوا يتساقطون، أمسك عنهم، وهم بين الأنات والآهات والصراخ.

وقام كاتب السطور - شاهد عيان - وهو في ريعان شبابه يضرب كفاً على كف وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله... ويتساءل هل كان من الممكن أن ينتشر الإسلام بين الأمم لو انشغل السلف في صدر الدعوة بمثلب هذا العبث؟!))

أين هذا من عبادة المسلمين، وعباد الله المؤمنين؟! **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً }** [الأنفال:2].

{ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً } [مريم:58].

على هذا السماع، سماع آيات الله تتلى كان أصحاب رسول الله يجتمعون، وليس على المزمار والدف والرقص والرعونة.

فما حكم هذا السماع، وما حكم الرقص والدف والمزمار؟!

قال ابن تيمية رحمه الله في مواضع من فتواه:

((فعبـادة المسـلمين الركـوع والسـجود، أما الـدف والرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الأمة، بل أمروا بالقرآن في الصلاة والسكينة)) ((وهذه الأحـوال الفاسـدة، من كـان فيها صـادقاً فهو مبتـدع ضـال... ممن ضـارعوا عبّـاد النصـارى والمشـركين والصـابئين في بعض ما لهم من الأحـوال، ومن كـان كاذباً فهو منافق ضال)).[1]

وقال: ((أما السماع المحـدث، سـماع الكف والـدف والقضـيب فلم تكن الصـحابة والتـابعون لهم بإحسـان يجعلـون من هـذا طريقـاً إلى الله تبـارك وتعـالى، ولا يعدّونه من القـرب والطاعـات، بل يعدّونه من البـدع المزعومـة، حـتى قـال الشـافعي رحمه اللـه: خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسـمونه التغبـير يصـدون به الناس عن القرآن)).

((والـذين حضـروا السـماع المحـدث الـذي جعلـه الشافعي من أحداث الزنادقة، لم يكونوا يجتمعـون مع مردان ونسـوان، ولا مع مصلصـلات وشـبابات، وكـانت أشعارهم مزهدات ومرققات)).

((وهـذا السـماع المنكـر، من عده من القربـات استتيب فإن تاب وإلا قتل، وإن كان متـأولاً جـاهلاً بين له خطأ تأويله)).[2]

---

1 (?) الفتاوى: جـ11، ص599-600.

2 (?) المرجع السابق: جـ11، ص299-298، جـ11، ص534-535.

((وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الذين يستحلون الحِرَ[1] والحرير والخمر والمعازف على وجه الذم لهم)).

والمشركون كان سماعهم كما ذكره تعالى في كتابه العزيز بقوله:

{ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً } [الأنفال:35].

قال السلف: المكاء الصفير، والتصدية: التصفيق باليد، إذ كان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام، ويصفقون ويصوتون يتخذون من ذلك عبادة وصلاة، فذمهم الله على ذلك، وجعل ذلك من الباطل الذي نهى عنه)).[2]

ونقل القرطبي عن الإمام الطرسوسي أنه سُئل عن قوم في مكان يقرءون شيئاً من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر، فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة، هل الحضور معهم حرام أم لا؟

فأجاب بأن هذا ضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأما الرقص والتواجد، فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوله ويتواجدون، وهو - أي الرقص - دين الكفار وعباد العجل.

---

1 (?) الحر: يقصد أنهم يستبيحون الزنا.

2 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ3، ص327.

وإنما كـان مجلس النـبي صـلى الله عليه وسـلم مع أصحابه، كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار.. فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا أن يعينهم على باطلهم[1]

وقـال ابن القيم رحمه الله عن هـؤلاء المتصـوفة: ((فلو رأيتهم عند ذيـاك السـماع، فتمـايلوا تمايل النشـوان، وتكسـروا في حركـاتهم ورقصـهم، أرأيت تكسر المخـانيث والنسـوان؟!... فيا شـماتة أعـداء الإسلام بالـذين يزعمـون أنهم خـواص الإسـلام، قضـوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهـواً ولعبـاً، مزامـير الشيطان أحب إليهم من سماع القرآن)).[2]

---

1 (?) الإبـداع في مضـار الابتـداع: الشـيخ علي بن محفـوظ، توزيـع دار الإصـلاح، الـدمام، 1956م، طبعـة خامسة، ص322.

2 (?) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: جـ1، ص224، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

4- التواكل والتباطل:

لقد تطرف المتصوفة في مفهوم التوكل على اللـه، وفهموه فهماً خاطئاً فقطعوا الأخذ بالأسباب، وتركوا التحرز والاحتياط، وفسروا التوكل بغير معناه الشرعي، وخالفوا بذلك الكتاب والسنة.

فالتوكل عند المتصوفة صار يفسر تفسيراً عجيباً، وطبق في حياة القوم تطبيقاً غريباً.

وها هو أحد كبار الصوفية يشرح معنى التوكل عندهم فيكتب ((قال الحسن أخو سنان: حججت أربع عشرة حجة حافياً متوكلاً، وكان يدخل في رجلي الشوك، فلا أخرجه، لئلا ينقص توكلي)) ((وقيل من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زاداً)). ((وجاء جماعة من الشام إلى بشر الحافي، فطلبوا منه أن يحج معهم فقال لهم: نعم ولكن بثلاثة شروط: أن لا نحمل معنا شيئاً، ولا نسأل أحداً شيئاً، ولا نقبل من أحد شيئاً.. فلما اعتذروا عن بعض هذه الشروط قال: خرجتم تحجون متوكلين على زاد الحجاج؟![1]

((وحكي أن أحد مشايخ النقشبندية ((وهو الشيخ حبيب الله جان)) كان يسافر مع أصحابه بغير زاد ولا راحلة، فكانوا إذا نزلوا منزلاً، تأتيهم الموائد من الغيب)).[2]

---

[1] (?) جامع الأصول في الأولياء: الكمشخانوي، ص243. عن دراسات في التصوف: ص53.

[2] (?) جامع كرامات الأولياء: جـ1، ص389.

إن هـذا النـوع من التوكل كـاف لهـدم المجتمعـات، ونشر الفقر بينها وقد يـــؤدي إلى هلاك أهلهـــا، وهو مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن أنس بن مالك قال: قال رجل ((يا رسول الله أعقلها وأتوكـل، أو أطلقها وأتوكـل؟ قـال صـلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل)).[1]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لبعض أصـحابه بكـثرة المـال. فقد دعا لأنس بن مالك فقـــال: ((اللهم أكـــثر ماله وولـــده)) فلو كـــان الفقر مفضـلاً لذاتـه، لما دعا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم لصحابي جليل بهذا الدعاء.[2]

* ذم التكسب:[3]

يـــترك المتصـــوفة التكسب عـــادة، ويرونه من المنغصـات، بل من المنكـرات والمحرمـات، ويـأمرون بالتسول والاستجداء، أو الكسل والخمول.

وكل ذلك منافٍ لسنة رسول الله صــلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء المهديين من بعده.

قال صلى الله عليه وسلم : ((ما أكل أحد طعاماً قط خــيراً من أن يأكل من عمل يــده، وأن نــبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده)).[4]

إلا أن ابن عجيبة الحسـني يقـول: ((التصـوف بـني على ثلاث خصال: التمسك بـالفقر والافتقـار، والتحقق

1 (?) رواه الترمذي.

2 (?) رواه البخاري: جـ7، ص161-162، باب الدعاء بكثرة المال والولد. ومسلم: برقم (2840).

3 (?) انظر: دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهير، ص37-40.

4 (?) رواه البخاري: رقم (118).

بالبـذل والإيثـار، وتـرك التـدبير والاختيـار، والصـوفي الصادق: علامته أن يفتقر بعد الغـنى، ويـذل بعد العز)) [1] إن هـذا مخـالف لهديه صـلى الله عليه وسـلم ، ولما كان عليه أصحابه من بعده..

((وعن عطاء بن السائب قال: لما اسـتخلف أبو بكر ، أصـبح غاديـاً إلى السـوق، وعلى رقبته أثـواب يتجر بهـا، فلقيه عمر وأبو عبيـدة فقـالا: أين تريـد؟ فقـال: السوق. قالا: تصنع ماذا؟ وقد وليت أمـور المسـلمين؟ قـــال فمن أين أطعم عيـــالي؟ فنهيـــاه عن مزاولة التجارة، لأنه تولى أمر المسلمين، وفرضـوا له في كل سنة ستة آلاف درهم)). [2]

قال ابن الجوزي عقب هـذه القصـة: ((لو قـال رجل للصـوفية من أين أطعم عيـالي لقـالوا: لقد أشـركت، ولو سـئلوا عمن يخـرج إلى التجـارة لقـالوا: ليس بمتوكل ولا مـوقن، وكل هـذا لجهلهم بمعـنى التوكل واليقين)). [3]

فالتوكل ثمـرة الإيمـان بالقضـاء والقـدر ونتيجتـه، ولـذلك فهو عقيـدة تقـترن بالعمـل... قـال تعـالى: **{ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }** [الطلاق:3].

{ فَـإِذَا عَـزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران:159].

---

1 (?) إيقاظ الهمم في شرح الحكم: ابن عجيبة الحسني، ص4، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1982م.

2 (?) انظر: تاريخ الطبري: جـ3، ص554. طبقات ابن سعد: جـ3، ص184. تلبيس إبليس: ص282.

3 (?) تلبيس إبليس: ص282.

إلا أن الصـوفية يـرون أن التوكل يتعـارض مع العمـل، فهو درجة يلـتزم بها من يسـتطيعها منهم، بالطريقة السلبية عندهم.[1]

((رُوي عن أصحاب أبي تراب النخشـبي أنه نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له: لا يصلح لك التصوف، الزم السـوق)) ((وقال بعضهم: إذا قال الفقـير بعد خمسة أيـام أنا جائع، فألزموه بالسوق ومروه بالعمل والكسب)).[2]

فمن تـرك العمل إطلاقـاً، فإنه لم يفهم التوكل على وجهه الصـحيح وذلك من التواكل المـذموم، الذي يوجد البطالة، وينتج المتسكعين في الشوارع، أو التكايا والزوايا.

وكـان من ثمـرات هـذا التوكل تخلف المجتمعـات الإسلامية في القرون الأخيرة.[3]

فهـذا الشـيخ عبد الله الـدهلوي يتحـدث عن نفسه قـائلاً: ((كـان لي جهة تعيّش فتركتهـا، فاشـتدت عـرى الفاقة عليّ، فاعتصمت بالتوكـل! واتخذته سـجية، ولم يكن عنـدي يومئذ غـير خلق حصـير أفترشـها، وبلغ بي الضعف أقصاه، فلفرط ما نالني أغلقت بـاب حجـرتي، وقلت هذا قبري، حـتى يـأذن الله بـالفتح، أو بـأمر من عنـده، فما لبثت أن فتح الله على يد من أعرفـه، فمكث في زاوية القناعة خمسين سنة)).[4]

---

1 (?) موقف الإمام ابن تيمية من الصوفية: د. أحمد البناني، ص125-126.

2 (?) الرسالة القشيرية: القشيري، ص134.

3 (?) انظر: الأحوال الدينية عند المسلمين: ص283-285، علي بن بخيت الزهراني.

4 (?) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: جـ2، ص930، عبـد الـرزاق البيطـار، تحقيـق محمـد بهجت البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1380هـ.

لقد ترك هـذا الصـوفي مصـدر الـرزق الوحيد الـذي كـان يتعيش منه واعتكف في حجرته واشـتدت فاقتـه، فاعتصم بالتواكـل، فلم يسـعفه حـتى أيقن بالهلكة من الجـــوع، ومع ذلك لم يفكر في الخـــروج مما هو فيه اعتقاداً أن ذلك منه طعن في التوكل على اللـه... وقد كاد يهلك لولا أن منّ الله عليه بـالفتح، وهو عبـارة عن أحد المتصدقين.[1]

لقد أدت تلك النظرة المنحرفة إلى احترام البطالـة، وإباحة التسـول، وتحقـير ما تنطـوي عليه الحيـاة من لـذات، وإغـراء النـاس بتكليف الحـزن والسـعي إلى مـواطن الـذل.. والقناعة بالتافه من شـئون العيش والاسـتهتار بالمـال.. وأبـاحوا التسـول قـائلين: ((إن الشـحاذين الـذين يطوفـون بـالأبواب يحملـون عن المحسـنين ذنـوبهم، فـإن هدية الله للمـؤمن وقـوف السائل على بابه)).[2]

لقد أفسد التواكل كثيراً من عقيدة القضـاء والقـدر، وحولها من عقيـدة إيجابية دافعة إلى عقيـدة سـلبية مخذلـة، وإلى الرضا السـلبي بـالواقع، وعـدم محاولة التغيير)).[3]

وقد استغل نـابليون بونـابرت تلك الفكـرة المنحرفة عن القضـاء والقـدر لما احتلت جيوشه الصـليبية أرض مصر، فكان يصدر منشوراته بتذكير المسلمين بـأن ما وقع لهم من الاحتلال والأسر كان بقـدر من اللـه، فمن

---

[1] (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: ص283، بتصرف يسير.

[2] (?) التصوف في مصر إبان العصر العثماني: ص211، د. توفيق الطويل، مطبعة الاعتماد، مصر.

[3] (?) واقعنا المعاصر: محمد قطب، ص144.

حاول الاعتراض على ما وقع فكأنه يعترض على القضاء والقدر.[4]

وبذلك يحاول المتصوفة مخالفة واقع هذا الدين، ومصادمة نصوصه الواضحة في انحرافات كثيرة، ساهمت في تخلف هذه المجتمعات، وأن تترك قيادة ركب الحضارة لغيرها من الأمم الضالة، بعد أن كانت خيراً وبناءً وإعماراً للبشرية كلها، يوم أن كانت تسير على هدي هذا الدين، وتستنير بنوره الوهاج.

---

4 (?) عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، جـ2، ص239، دار الفارس، بيروت.

5- المتصوفة والجهاد في سبيل الله:

إن التربية الصـوفية على الدعة في التكايا والزوايـا، مع سماع الأناشـيد والأشـعار وفهم مغلـوط (عند كثـير منهم) لمفهوم القـدر، وأن إرادة الله نافـذة ولا مجـال لــدفع العــدو بالجهــاد.. كل ذلك أبعد المتصــوفة عن الجهاد، بل جعل أكثرهم يوالي الأعداء أو يـنزوي بعيـداً عن أحداث الأمة ونكباتها.

((ولقد أصـبحت الصـوفية جبرية مرجئة تُـرَبِّتُ على أكتــاف النــائمين، فيســتولي اليــأس والقنــوط على الحيــاة... هــذه النظــرة الســلبية كـانت خــير عــون للمستعمر.. الذي غذّى الصوفية وأنفق على مشـاهدها وزواياها الكثير من أجل قتل الحيويـة، ونفسـية الجهـاد عند المسلمين...)).[1]

وها هو شيخ المتصوفة الكبير الإمام محمد الغزالي، الذي عاش في القـرن الخـامس الهجـري، وهو العصر الذي غزا فيه الصليبيون والتتار بلاد المسلمين، واحتلوا كثيراً منها، ثم ذبحوا الآلاف من أهلها. لم يذكر الجهــاد في ســبيل الله في كتابه ((إحيــاء علــوم الــدين)) ولم يتطـرق إليه أبـداً، بل كـان مجـاوراً في بيت المقـدس تــارةً ومعتكفــاً في زاويته في الجــامع الأمــوي تــارةً أخرى، وكأنه في كوكب آخر، لا يعيش بين المسلمين.

فإذا كان هذا هو موقف كبير المتصوفة في عصــره، فلا غرابة أن يكــون موقف الصــوفية من الجهــاد في جملته موقفاً سلبياً، بل موقفاً معادياً أحياناً.[2]

---

1 (?) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية: ص235.

2 (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص328.

حـتى صـارت قـراءة أحـاديث البخـاري للبركة ورفع النازلات، ودفع غوائل الحروب.

((وقد كان سـلاطين المسـلمين وملـوكهم يرسـلون إلى العلمــاء في زمن الحــروب ليقــرؤوا لهم صــحيح البخاري، ويذكر الجـبرتي أن السـلطان العثمـاني (في سنة 1202هــ) أرسل أمـوالاً لتفـرق على طلبة العلم في الأزهر حتى يقـرؤوا له صـحيح البخـاري ويـدعوا له بالنصر)).

((ويذكر أيضاً: أنه حين قـدم الفرنسـيون إلى مصـر، وقبل دخولهم القاهرة، كان العلمـاء يجتمعـون بـالأزهر كل يوم ويقرؤون البخاري وغيره من الدعوات. وكذلك كـــــان يفعل فقـــــراء الأحمدية والرفاعية والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف.. ويعملون له مجالس في الأزهــر.. ويــذكرون في أذكــارهم الاسم اللطيف وغــيره من الأســماء))[1] ((وقد خــرج أربــاب الأشــاير بـالطبول والزمـور والأعلام والكاسـات، وهم يضـجون ويصيحون، أن العامة لما التحم القتال ضجوا بالصـياح، ورفعـوا الأصـوات قـائلين: يا رب يا لطيـف، يا رجـال الله... إلا أن الهزيمة قد حلت خلال ثلاثة أرباع الساعة واحتلت فرنسا القاهرة)).[2]

((ولم يكن لمثل هذه الجموع الفوضوية الـتي كـانت غارقة في البـــدع والخرافـــات، أن تقـــاوم الجيش الفرنسي في قوته وتدريبـــه، وكـــان الأولى بهـــؤلاء الطرقية وغيرهم أن يلقـوا بطبـولهم ومزامـيرهم، وأن

---

1 (?) عجائب الآثار: الجبرتي، جـ2، ص53.

2 (?) المرجع السابق: جـ2، ص185، 186.

يحملوا السـلاح ليقـاتلوا الفرنسـيين بـدلاً من صـخبهم وصياحهم بأذكارهم المبتدعـة، كما كـان الأولى بعلمـاء الأزهر الــذين عكفــوا على قــراءة صــحيح البخــاري لحصــول النصــر، أن ينظــروا ما بين دفــتي صــحيح البخاري من أحاديث وسنن وسـير ومغـاز، فيقتـدوا بما فيهــــا، ويقومـــــوا بـــــواجبهم في نصح الأمة وقيادتها وتوعيتها، وحثها على الجهاد، ولكن ذلك لم يحدث على الإطلاق)).[1]

* لقد أغرق الفكر الصوفي الناس بالتعلق في الخوارق والكرامات:

حــتى اعتمــدوا عليها في جهــاد الكــافرين ومقاومة المعتدين..

((فحين احتل الفرنســـيون مدينة ((فـــاس)) عـــام 1330هــ عمد - أحمد الهبة بن الشـيخ مصـطفى مـاء العينين - إلى دعوة أهل سـوس لبيعتـه، وصـار يعـدهم بانكسار العدو أمامهم لأول وهلة، وأن مـدافع العـدو لا تخرج إلا مـاء!! ولا يصـلهم منها شـيء، وأن العفـاريت تخدمه وتنصره، وترد عنه كيد الخائنين، وصارت الوفود تتــوارد عليه ثم دخل ((مــراكش)) وبايعه النــاس، ولما أحاط به الفرنسيون، فرّ هاربـاً بعد أن تكبـدت جموعه خسائر فادحة في العتاد والأرواح)).[2]

وفي العصر الحــديث عنــدما اقتســمت فرنسا وبريطانيا أكبر بلاد المسلمين كانت أكثر فرق الصوفية غارقة في أذكارهــا، وكــأن شــيئاً لم يكن، بل يقـــام

---

1 (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: ص232.

2 (?) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: جـ2، ص447. نقلاً عن المرجع السابق: ص318.

للمعتمد البريطـاني لـدى سـورية ((جـنرال سـبيرس)) حلقة ((ذكر)) على طريقة المولوية، بدعوة من الشيخ هاشم العيطـــــة، حيث أنشـــــدت الأناشـــــيد، وفتلت المولوية[1] ثم خطب صـــاحب الـــدار باســـمه واسم إخوانــه، مثنيــاً على رئيس الجمهوريــة، والملك جـورج السادس والمستر تشرشل والجنرال سبيرس، فأجاب الجنرال شاكراً)).[2]

وفي الجزائر كــان الصــوفية يحضــرون اجتماعــات جمعية العلمــاء لا خدمــةً لغاياتهــا، ولكن عونــاً لفرنسا والإدارة المحلية، ولكن الجمعية أخرجتهم منها، ولـذلك كان الشيخ ابن باديس يحـارب هـذه الطـرق الصـوفية أثنـاء تفسـيره للقـرآن الكـريم في الجـامع الكبـير في مدينة قسنطينة.[3]

* موقف الصوفية من الجهاد ومقاومة الاستعمار:**[4]**

ليست مواقف المتصــوفة واحــدة في هــذا الشــأن، ولكنها مواقف متباينة يسودها الاضطراب.

أ- فطائفة منهم أعلنت الجهـاد وقـاومت الاسـتعمار، ومن هــذه الطائفة الأولى أتبــاع الطريقة السنوســية، الذين جاهدوا ضد إيطاليا في ليبيا.

ب- وطائفة أخرى نكصت عن الجهـاد وانــزوت على نفســها فرقــاً وهربــاً، ومن هــؤلاء كثــير من الطــرق المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي.

---

1 (?) فتلت المولوية: أي رقصت وترنّحت.

2 (?) يوميات الخليل: خليل مردم، ص62، عن الصوفية: محمد العبدة، ص93.

3 (?) الصوفية: محمد العبدة، طارق عبد الحليم، ص93.

4 (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: ص327-331.

جـ- وهنالك طائفة ثالثة قاومت المستعمر ردحاً من الـزمن ولما لم تفلح في طـرد المسـتعمر استسـلمت للمســـــتعمر، ولم تكتف بـــــذلك، بل أبـــــرمت معه المعاهــدات، وأوضح من يمثلها هو الأمــير عبد القــادر الجزائــري، الــذي قـاوم العـدو الفرنسي في الجزائر سبعة عشر عاماً، إلا أنه استسـلم أخـيراً وسـلم نفسه للفرنسيين، فنفوه إلى خارج البلاد، ثم أطلقوا سراحه، ورتبــوا له مبلغــاً من المــال سـنوياً، وزار بـاريس ثم اســتقرّ في دمشـــق، وحين انهـــزمت فرنسا (عـــام 1987م) أظهر كمـــال الأسف إظهـــاراً للاعـــتراف بمصـداقيتها، وحين قـام ابنه (محـيي الـدين) بـإعلان الجهـاد ضد فرنسا مـرة أخـرى، تـبرأ عبد القـادر منـه، وكـــان ذلك ســـبباً في انفضـــاض القبائل عنه وفشل حركته.[1]

د- **أما الطائفة الرابعة**: فقد والت المســــــتعمر وقــاتلت إخوانها في سـبيله، ويمثلها كثـير من زعمــاء الطريقة التيجانية.

وفي رسالة للمارشـال ((بوجو)) أول حـاكم فرنسي للجزائر إلى شـــيخ الطريقة التيجانيـــة، ذات النفـــوذ الواسع جـاء فيهـا: ((أنه لـولا موقف الطريقة التيجانية المتعــاطف!! لكــان اســتقرار الفرنســيين في البلاد المفتوحة حدثاً أصعب بكثير مما كان)).[2]

وكان شيوخ الطـرق الخونة يقومـون بكتابة عـرائض بتوقيعاتهم وتوقيعات أتباعهم، يملؤونها بالثناء والشــكر لفرنسا، التي كانت تعتبرهم ممثلين للشعب، ولا غرابة

[1] (?) الأحوال الدينية عند المسلمين: ص328.

[2] (?) التيجانية: علي بن محمد الدخيل الله، ص61، دار طيبة، الرياض.

بعد ذلك أن يقـول الحـاكم الفرنسي في الجزائـر: إن الحكومة الفرنسية تعظم زاوية من زوايا الطـرق أكـثر من تعظيمها لثكنة جنودها وقوادها، وأن الـذي يحـارب الطرق إنما يحارب فرنسا!![1]

وقد سـجلت مجلة الفتح ((المجلد السـادس)) قصة صـاحب السـجادة الكـبرى، وهو محمد الكبـير رئيس الطريقة التيجانية والخطـاب الـذي ألقـاه بين يـدي الكولونيل ((سـيكوني)) الفرنسـي، وصف فيها فرنسا المسـتعمرة بأنها أم الـوطن الكـبرى، وقـال: إن من الـواجب علينا إعانة فرنسا حبيبة قلوبنا ماديـاً وأدبيـاً وسياسـياً.. وقـال: إن سـيدي أحمد حمل تشـكرات الجزائـريين، وبـرهن على ارتباطه بفرنسـا، فـتزوج ((أوليلي بيكار)) وهو أول مسلم تزوج بأجنبية.

وكانت هذه المرأة قد أصدرت كتاباً أسمته ((أمـيرة الرمال)) تعني نفسـها، ملأته بالمطـاعن على الطريقة التيجانية وعلى مسـلمي الجزائـر، وذكـرت أن (أحمد التيجـاني) قد تزوجها وأجـرى الطقـوس الكردينـال ((لافيجري)) على حسب الطقوس المسيحية.

وبقيت أورلي على دينها ومـذهبها الكـاثوليكي، ولما تـوفي عنها زوجهـا، خلفه عليهـا، وعلى السـجادة التيجانية أخـوه ((علي)) فـأطلق عليها لقب (زوجة السيدين).[2]

وقد كافأتها السلطات الفرنسية لقاء خدماتها بوسام جوقة الشرق وقالت عنها: إن هـذه السـيدة قد أدارت

---

1 (?) الفكر والثقافة المعاصرة في شـمال أفريقيـا: أنـور الجنـدي، (ص51، 52)، الـدار القوميـة للطباعـة والنشر، القاهرة، 1385هـ.

2 (?) التيجانية: علي بن محمد الدخيل الله، ص61.

الزاوية التيجانية إدارة حسنة، كما تحب فرنسا، وساقت إلينا جنوداً من أحباب هذه الطريقة ومريديها، يجاهدون في سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص.[1]

إن هذه المواقف المتخاذلة من الجهاد، بل والتآمر مع العدو ضد المواطنين والمجاهدين، لهو وصمة عار في سجل كثير من الحركات المتصوفة، ودليل على بعدها عن صفاء عقيدتها، وتعاليم شرعها الحنيف.

[1] (?) المرجع السابق نفسه.

6- أسلوب التربية عند المتصوفة:

للصوفيين عالمهم الخـاص، فيه يسـبحون ويهيمـون، وقد دربوا مريديهم على أفكارهم وبـدعتهم، مع إلحـاح على الطاعــــة، بل وإلغـــــاء للمنطق والعقـــــل، لأن المتصـــوفة لا يجـــيزون الاعـــتراض على مشـــايخهم ويقولون: ((من قـال لأسـتاذه: لِمَ؟ لا يفلح لأن الشـيخ في أهله كالنبي في أمته)).[1]

* **ومن مخـاطر الصـوفية أنها فصـلت بين الدين والدنيا**، بين الآخرة والحياة الدنيا ((فقد اتّكؤوا على الآيات التي وردت في ذمّ الدنيا، والأحاديث الــتي وردت في ذمها، واتّكؤوا على حـال الزهـاد وأخبـارهم، واعتــبروا أنه لا ســبيل إلى درء المعاصي إلا باحتقــار الــدنيا وازدرائهــا، .. لكن هــذا شــيء واعتبــار الــدنيا والآخرة معسكرين متقابلين متضادين شيء آخر)).[2]

قــال تعــالى: **{ وَابْتَــغِ فِيمَا آتَــاكَ اللَّهُ الــدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الــدُّنْيَا }** [القصـص: 77].

* ومن ثم فقد وضع المتصـــــوفة قواعد عامة لتربية مريديهم، وكلها تحوم حـول الخضـوع التـام من المريد للشيخ، بحيث يتحول التلميذ المسـكين إلى آلة جوفـاء تردد ما يقال لها بلا تفكـير ولا شخصـية مسـتقلة، ومن ثم أمروهم بلبس معين، ومشية معينـة، وطريقة معينة وشيخ معين.[3]

---

1 (?) غيث المواهب العلية: التفزي الرندي، جـ1، ص197. وكشف المحجوب: الهجويري، ص252.

2 (?) مفاهيم ينبغي أن تصحح: الأستاذ محمد قطب، ص306.

3 (?) الصوفية: الأستاذ محمد العبدة، ص78.

* **ويؤكد الصوفية على وجـوب اتّبـاع المريد لشـيخ معين،** وتكـون إرشـاداته وتعاليمه هي أهم ما يجب أن ينفذه المريد.

يقـول القشـيري: ((لو أن رجلاً جمع العلـوم كلهـا، وصـــحب طوائف النـــاس، لا يبلغ مبلغ الرجـــال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام مؤدب)).[1]

ويقـول أبو يزيد البسـطامي: ((من لم يكن له شـيخ فشـيخه الشـيطان)) ويقـول القشـيري كـذلك: ((فمن رده قلب شيخ من الشيوخ، فهو الشقي المحروم)).

ويؤكد السـهروردي هـذه التربية الذليلة حين يقول: ((وهكـذا أدب المريد مع الشـيخ، أن يكـون مسـلوب الاختيار، لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره)).[2]

وقال بعضهم في ذلك:[3]

وكن عنده كالميت ... يقلبه ما شـاء وهو
ولا تعـــترض فيما ... عليه فـــــــــإن
وســـــلم له فيما ... على غـير مشـروع

* ومن أقـوالهم وقواعـدهم في ذلـك: أن المريد لا ينبغي له الكلام إلا بما شـاهده وعاينـه، والصـمت عليه واجب، والفكر عليه حـــــرام، والنظر عليه في الأدلة محظـــور.. والأولى بالشـــيخ إذا رأى المريد يجنح إلى

---

1 (?) الرسالة القشيرية في علم التصوف: عبد الكريم القشيري، ص44، الطبعة الأولى، القاهرة، 1972م.

2 (?) عوارف المعارف: عبد القادر السهروردي، ص403، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، 1966م.

3 (?) تنوير القلوب: ص529، نقلاً عن النقشبندية: ص79، عبد الرحمن دمشقية.

استعمال عقله في النظريــات، ولا يرجع إلى رأيه فيما يدل عليه، فليطرده من منزله)).[1]

* لقد خالف القوم الكتاب والسنة في هـذه التربيـة، وأدت هذه الطرق إلى الغلو في المشايخ.

من ذلك مثلاً أن الشيخ نجم الدين، كان يسـتحي أن يصلي باتجاه القبلة وخلفه ((القطب الشيخ أبو العباس المرسي)) فـــأدار وجهه باتجـــاه القطب!! ولكن أبا العبـاس كـان متواضـعاً فقـال لـه: أنا لا أرضى خلاف السنة.[2]

وعلم السـلوك في الإسـلام سـهل ميسـور، يمكن اسـتقاؤه مباشـرة من الكتـاب والسـنة، فلا رهبانية ولا طقوس في الدين ولله الحمد.

((وجميع الصـحابة رضي الله عنهم، كـانوا يعلمـون السـلوك بدلالة الكتـاب والسـنة، لا يحتـاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة، ومع هذا لم يحصل بينهم نزاع في ذلـك، كما تنـازعوا في بعض مسـائل الفقه)) ((أما ما ظهر من حاجة بعض العبـاد والزهـاد إلى تقليد شـيخ معين في السـلوك، فسـببه ما حصل لهم من إعـراض عن طلب العلم النبوي الصافي الذي يعـرف به طريق الله ورسوله)).[3]

((فأصحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، لم يربـوا هـذه التربية الخانعـة، ولكنهم تربـوا تربية القيـادة والرجولـة، فكـان أحـدهم يسـأل رسـول الله

---

1 (?) الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط: ابن عربي، المنشور مع ذخائر الأعلاق، ص269-270، ط. مطبعة السعادة، القاهرة.

2 (?) لطائف المنن: ابن عطاء الله السكندري، ص77.

3 (?) الفتاوى: ابن تيمية، جـ19، ص273.

صـــلى الله عليه وســـلم أوحي هـــذا أم هو الـــرأي والمشورة؟ فإن كان ذلك الرأي والمشورة أدلى برأيه وكان رسول الله يستمع إليهم، ويناقشهم وجوه الـرأي ولا يقـول لهم: كيف تعترضـون عليّ، وأنا سـيد الخلق ورسول من رب العالمين؟

ومع حبهم الشـديد لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، كـانوا لا يقومـون لـه، ولا يقبلـون يديـه، كلما دخـل، وذلك لمعـرفتهم أنه يكـره المبالغة في تعظيم البشر.[1]

وأين هؤلاء المتصـوفة من ضـرورة الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـــر؟! أين هم من قوله صـــلى الله عليه وســـلم : ((لا طاعة لمخلـــوق في معصـــية الخالق)).

فمن آداب المريد مع شـيخه ألا يعـترض عليه فيما فعله، ولو كان ظاهره حراماً.[2]

إن تربية الأتبـــاع، وعمليـــات غسل الأدمغة جعلت كثـيراً من هـؤلاء يسـيرون كالقطعـان البشـرية، لا يفكـرون فيما يقومـون بـه، حـتى لو خـالف النصـوص الشرعية.

((لهذا مفتي الحنفية - في بغداد - ((الشـيخ عبد الله بن صبغة الله بن إبراهيم الحيدري النقشبندي)) يـأمره شـيخه الصـوفي الشـهير ((خالد الشـهرزوري)) بحمل الماء على ظهره وتسـبيله في أسـواق بغـداد وأزقتهـا، وسقي العطاش من حاضر وبـاد، فامتثل الأمـر، وفعل

---

1 (?) انظر: الصوفية: محمد العبدة، ص80.

2 (?) تنوير القلوب: 528.

ذلك مـدة عشـرين يومـاً على التـوالي، ثم أمـره بـبيع المـاء من دون تسـبيل، ففعل ذلك عشـرة أيـام... مع كونه من أجل العلماء وأفضل الفضلاء.[1]

يقول محقق الكتاب الشيخ ((محمد بهجت البيطار)) معلقـاً على ذلـك: ((أليس هـذا من العجيب الغـريب؟ أديب كبير، وشاعر في اللغات الثلاث: العربية والتركية والفارسية، ثم هو من أجل العلماء، يكلف بحمل المـاء على ظهره، وسـقي المـارة في مدينة بغـداد عشـرين يوماً، وبيعه لمدة عشـرة أيـام، ولمن يـترك نشر العلم والدين؟ للسقائين والحمالين؟ اللهم أرنا الحق حقـاً)).[2]

إن هــؤلاء المتصــوفة درّبــوا مريــديهم أن يلغــوا عقولهم، وأن يلغـوا العـادات وتـرك الهيئـات الحسـنة، والوقوف في مواقف الذل والتسول... ومن ذلك قصة الشيخ علي الدرقاوي[3] الذي كان مدرساً يعلم التلاميذ ومن ثم أمـره شـيخه ((سـعيد المعـدري)) أن يـترك التــدريس في المدرســة، وأن يــدور في الأســواق ويتكفف النـــاس فيهـــا. كـــان يمد يديه وهو يقـــول ((أطعمــوني فــإني جــائع)) أمــوت جوعــاً، وقد لبس أسـمالاً باليـة، وتـدلى وراء كتفه جـراب مثقـوب من أصله.. وكان يتبعه الصـبيان والهمج والرعـاع.. وكـانت والدته آنــذاك، يكــاد الألم يمــزق كبــدها على ما حل بولــدها وجــاءوا بولــدها، مقيــداً فصــنعت له أطــايب

---

1 (?) حلية البشر: ص1025.

2 (?) السابق: ص1025.

3 (?) كتاب المعسول: محمد مختار السنوسي، جـ1، ص205، نقلاً عن الحياة الدينية عنـد المسـلمين: علي بن بخيت الزهراني، ص323-324 بإيجاز.

الطعـام، إلا أنه سـرعان ما كـان ينسـحب إلى سـطح الــدار ويصــرخ، ألا من يشــبع جوعــتي الملتهبــة، ولو بقطعة من الخـبز.. قـالت والدتـه: ثم نبـادر إلى إيوائه داخل البيت، ونحن نتقطع على ولدها العالم الذي صار مجنونـاً يتخبـط.. بسـبب ذلك الرجل المعـدري الـذي أفسده، تقصد شيخه ((سعيد المعدري)) فمـاذا أفـادت هـذه التربية إلا التشـرد والـذل والسـؤال، ثم العقـوق والتمرّد على الوالدين، بما كـان يصـدره شـيوخهم من أوامر قاسية وتعليمات منحرفة؟

* هــذه خطــوط عريضة في أســلوب التربية عند المتصوفة، ربت أتباعاً خاضعين، مسـخت شخصـياتهم، وانــزووا في التكايا والزوايا يــرددون أوراد شــيوخهم، ويعارضون بها ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة

الحمد لله الـذي بنعمته تتم الصـالحات، فحمـداً لك اللهم على نعمك التي لا تحصى وبعد..

فـإن الحـديث عن البـدع الثلاث الـتي عالجها هـذا الكتاب يوقفنا عند بعض النتائج الهامة ومن أبرزها:

1- إن هـــذه البـــدع العقديـــة، قد تغلغلت في المجتمعـات الإسـلامية، بل ولم تسـلم منها قطاعـات كبيرة من التيارات الإسـلامية الموجـودة على السـاحة حتى الآن.

فعنـدما نشـاهد أن بعضـها قد تَبَنّى فكر الإرجـاء في منطلقاته وأحكامـه، نـرى أن بعضـها الآخر قد لجأ إلى النقيض من الغلو والتطـــرف، في حين أن جماعـــات أخرى قد عاشت في أجواء التصوف ومواجيده.

2- لقد اعتمد منهج أصـــحاب البـــدع على مناقضة منهج أهل السـنة والجماعـة، وتأليه العقـل، مع تأويل السنة أو رفضها، وردِ مقاصد الشرع، إذ جعلـوا للهـوى على أنفسهم سلطاناً.

وقد عرضت أهم ضـــــــــلالات المبتدعة من خلال الحديث عن منهج أهل البدع في الاستدلال.

3- ففكر الإرجـاء مثلاً، أبعد العقيـدة عن مضـمونها الحقيقي، فَفَصَلَ بين القول والعمـل، وأفسد النفـوس بعقيدة ترى أن ارتكاب جميع المحرمـات، وتـرك جميع الطاعات لا يذهب شيئاً من الإيمـان من أجل ألا يقعـوا في قضية التكفير على الكبـيرة، شـأن الخـوارج وكـان من آثار هذا الفكر أن رضي الناس بإبعاد الشـريعة عن

واقع الحيــاة والنــاس، وشــجعت مــبررات المرجئة الملاحــدة والفســقة على ارتكــاب المعاصي علنــاً، ماداموا لا يجدون رادعاً، ومادام فكر الإرجاء يحكم لهم بالإيمـان ويسـتهين بقضـية المعاصي لأنها من الأعمـال التي لا علاقة لها بالإيمان.

* أما فكر الخوارج فقد برز مجدداً، وتلـون بمفـاهيم ومنطلقات، تأثرت بظروف العصر وملابساته.

فتكفـــــير المعين، ومقاطعة الجمعة والجماعـــــة، والعزلة عن المجتمعـات، واسـتباحة دمـاء المسـلمين، تشـــبه إلى حد بعيد عقائد الخـــوارج، مع اختلاف في قضايا أخرى أشرنا إليها خلال البحث.

إن فكر التطــرف هــذا إنما جــاء كــردة فعل على تسـيب فكر المرجئة الجـدد، وخاصة فيما يخص تحكيم شرع الله، الذي أهمل في أكثر المجتمعات الإسلامية.

وقد ضخّمت ظـاهرة الغلو هـذه من قبل العَلْمـانيين والغربيين إذ استغلوا تطرف بعض الفئـات - على قلّتها - من أجل الإجهـاز على شــباب الصـحوة الإســلامية، المعتدل منها والمتطرف.

* أما الصـــوفية، فما زالت تتســـرب إلى صـــفوف الكثـيرين وتشـيع في النفـوس الخرافة والاتكاليـة، مع العزلة وتعيش في شطحاتها في أبراج بعيـدة عن واقع الحيـاة الجـادة، تـترنّم على نغمـات المنشـدين، ووجد المـــــولهين وترديد أوراد الطريقة المفضـــــلة.. وقد أســقطوا التكــاليف الشــرعية عن مشــايخهم، وقــال غلاتهم بوحـدة الوجـود والفنـاء والعصـمة، إلى آخر ما عرضنا له من عقائد القوم وأفكارهم.

4- إن البدعة أشد من المعصية، لأن المعصية يُتـاب منهـا، أما البدعة فقلّما يرجع صـاحبها عنهـا.. ولـذلك فخـير علاج للحـدّ من هـذه البـدع هو التربية المتوازنة التي لا تهتم بجانب دون آخر.

وأن نــربي أبناءنا على ضــرورة الالــتزام بتعــاليم الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح لهما.

وأن نحصّــنهم بــالعلم الشــرعي باســتمرار، وأن نحذّرهم من التيارات المنحرفة، مع بيان مفاسدها.

ولابد من التنفير من البدعة وبيان حكمها في الدين، وأن كل بدعة ضـلالة، وأن مقاطعة أهل البــدع حسب الأصول الشرعية، خير رادع وزاجر لأصحابها.

اللهم اجعل عملي كله صـالحاً، ولوجهك خالصـاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً.

والحمد لله رب العالمين،،،

أهم المصادر والمراجع

((أ))

القرآن الكريم:

1- الإبانة في أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري، مطـابع جامعة الإمـام محمد بن سـعود الإسـلامية، 1400هـ.

2- أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية: خـادم حسـين إلهي بخش، دار حراء للنشر، الطبعة الأولى.

3- اجتمـاع الجيـوش الإسـلامية على غـزو المعطّلة الجهميـــة: ابن القيم، مكتبة الريـــاض الحديثـــة، البطحاء، الرياض.

4- أحكام القرآن: أبو بكر محمد عبد الله، تحقيق علي محمد البجـــاوي، طبعة دار الفكـــر، بـــيروت، لبنان.

5- الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- الأحوال الدينية عند المسلمين في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة المسـلمين: رسـالة ماجسـتير، جامعة أم القـرى، علي بن بخيت الزهراني، 1414هـ.

7- الإبداع في مضار الابتداع: الشيخ علي بن محفـــوظ، توزيع دار الإصـــلاح، الـــدمام، الطبعة الخامسة، 1956م.

8- أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر، دار الرسالة، مكة المكرمـة، الطبعة الأولى، 1413هـ.

9- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: د. صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1411هـ.

10- الاعتصـــام: الإمـــام الشـــاطبي، مكتبة الريـــاض الحديثة، الرياض.

11- اقتضاء الصراط المسـتقيم: ابن تيميـة، تحقيق د. ناصر العقل، 1404هـ.

12- الإيمـــان: شـــيخ الإســـلام ابن تيميـــة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.

13- إغاثة اللهفان من مصايد الشـيطان: تحقيق محمد حامد الفقي، تـأليف ابن قيم الجوزيـة، بـيروت، دار المعرفة.

14- الافتخار: للداعي أبي يعقـوب السجسـتاني، طبعة لبنان.

15- الأنوار المقدسية: عبد الوهاب الشـعراني، مطبعة بغداد.

16- أصول الدين: عبد القادر البغدادي، الطبعة الثانية، بيروت.

17- الإســلام والقـــوى الدوليـــة: د. حامد ربيـــع، دار الموقف العربي، 1981م.

18- البداية والنهايـــــة: للحافظ ابن كثـــــير، طبعة دار الفكر، بيروت، 1978م.

19- البحر المحيـــط: لأبي حيـــان، مطبعة الســـعادة بمصر، ط1، 1328م.

((ت))

20- تاريخ التصوف في الإسلام: د. قاسم غني، ترجمة صـــادق نشـــأت، طبعة مكتبة النهضة المصـــرية، القاهرة.

21- تـاريخ الخلفـاء: السـيوطي، تحقيق محمد محـيي الدين عبد الحميد، مطبعة القاهرة.

22- تحكيم القــوانين: محمد بن إبــراهيم آل الشــيخ، الطبعة الثانية، الرياض، 1403هـ.

23- تـــذكرة الأوليـــاء: فريد الـــدين العطـــار، طبعة باكستان.

24- تذكرة الحفاظ: الذهبي، طبعة القاهرة.

25- التصوف: المنشأ والمصادر، إحسـان إلهي ظهـير، الطبعة الأولى، 1406هـ، إدارة ترجمـــان الســـنة، لاهور.

26- التصـــوف الإســـلامي منهجـــاً وســـلوكاً: د. عبد الرحمن عميرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

27- التصـــوف في مصر إبـــان العصر العثمـــاني: د. توفيق الطويل، مكتبة الاعتماد، مصر.

28- التصوف في ميزان البحث والتحقيق: عبد القـادر بن حبيب الله السندي، مكتبة ابن القيم، 1410هـ.

29- التطرف الـديني: د. صـلاح الصـاوي، نشر الآفـاق الدولية للإعلام، 1413هـ.

30- التعريفـات: الجرجـاني، علي بن محمد بن علي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1405هـ.

31- تـاريخ الأمم والملـوك: محمد بن جرير الطـبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

32- التكفـير، جـذوره، أسـبابه، مبرراتـه: د. نعمـان السـامرائي، المنـارة للطباعة والنشـر، بـيروت، الطبعة الثانية.

33- التكفير والهجرة وجهاً لوجه: رجب مـدكور، مكتبة الدين القيم، القاهرة، 1405هـ.

34- تلـبيس إبليس: الحافظ ابن الجـوزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ، بيروت.

35- تهذيب الآثـار: محمد بن جرير الطـبري، تحقيق د. ناصر الرشـيد - د.عبد القيـوم عبد رب النـبي، عـام 1407هـ.

((ج))

37- جامع بيان العلم وفضـله: ابن عبد الـبر، توزيع دار الباز، مكة المكرمة، 1398هـ.

38- جـامع العلـوم والحكم: ابن رجب الحنبلي البغدادي، مؤسسة الكتب الثقافية، بـيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ.

39- جمهورية البوسـنة والهرسك قلب أوروبا الإسـلامي: د. أحمد بن علي تمـراز وحسـين عمر سـباهتش، دار الأرض للنشر والخـدمات الإعلاميـة، 1413هـ.

40- الجـواب الكـافي لمن سـأل عن الـدواء الشـافي: لابن القيم الجوزية، طبعة بيروت.

((ح))

41- حاضر العـــالم الإســـلامي: لـــوثرب ســـتودارد الأمــريكي، نقله إلى العربية عجــاج نــويهض، بقلم شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة.

42- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو: محمد سرور زين العابدين، دار الأرقم، ط 1407هـ.

43- حكم الانتمـاء إلى الفـرق والأحـزاب والجماعـات الإسلامية: الشيخ بكر أبو زيد، الطبعة الأولى.

44- الحجة في بيـان المحجـة: أبو القاسم الأصـبهاني، رسـالة دكتـوراة، إعـداد محمد محمـود أبو رحيم، جامعة أم القرى، 1406هـ.

45- الحياة الدينية عند العـرب بين الجاهلية والإسـلام: محمد الناصر - خولـــة درويش، دار عـــالم الكتب، الرياض، 1417هـ.

((خ))

46- خريف الغضب: محمد حسنين هيكـل، دار طلاس، القاهرة.

47- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: سيد قطب، دار القرآن الكريم، 1398هـ.

48- دراســات في الفــرق: د. صــابر طعيمــة، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ.

49- دراسات في التصوف: إحسان إلهي ظهـير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، 1409هـ.

50- درء تعـارض العقل والنقـل: شـيخ الإسـلام ابن تيميـــة، الطبعة الأولى، جامعة الإمـــام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 1401هـ.

51- دراســات قرآنيــة: الأســتاذ محمد قطب، دار الشروق.

((ذ))

52- ذخـائر الأعلاق: ابن عـربي، طبعة مكتبة الكليـات الأزهرية بالقاهرة.

53- الذخيرة في الحقيقـة: للـداعي الإسـماعيلي علي بن الوليد، طبعة دار الثقافة، بيروت.

54- ذكريـاتي مع جماعة المسـلمين: عبد الـرحمن أبو الخـــير، دار البحـــوث العلمية للنشـــر، الكـــويت، 1400هـ.

((ر))

55- الرسالة القشيرية: عبد الكريم القشـيري: تحقيق د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

56- رياض الأسماع في أحكام الذكر والسماع: مطبعة التمدن، مصر، 1903م.

57- الــرد على الزنادقة والجهميــة: الإمــام أحمد بن حنبل، المطبعة السلفية، 1393هـ.

((س))

58- سقوط الأندلس: د. ناصر بن سليمان العمر، مطبعة دار الوطن، الرياض، 1412هـ.

59- السنة: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل: تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني، ط1، دار ابن الأرقم.

60- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1402هـ.

61- السيد البدوي أو دولة الدراويش في مصر: مطبعة الحرية، 1948م.

62- السيد البدوي (دراسة نقدية): د. عبد الله صابر، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1991م.

63- سيدي أحمد الدردير: د. عبد الحليم محمود، ط/القاهرة، 1974م.

64- سير أعلام النبلاء: الإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

((ش))

65- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: الشيخ أبو القاسم اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد الحمدان، دار طيبة، الرياض.

66- شرح السنة: الإمام البغوي، تحقيق: الأرناؤوط - الشاويش، المكتب الإسلامي.

67- شـــــــرح الســــــنة: أبو محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيـق: د. محمد بن سـعيد القحطـاني، ط1، دار ابن القيم.

68- شرح العقيدة الطحاويـة: الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1408هـ.

69- شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزيــة، مكتبة الســوادي، جــدة، تحقيق مصطفى الشلبي، 1412هـ.

70- شــطحات الصــوفية: د. عبد الــرحمن بــدوي، ط الكويت.

((ص))

71- الصــارم المســلول على شــاتم الرســول: شــيخ الإسلام ابن تيمية.

72- صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، ط2، 1406هـ، المكتب الإسلامي.

73- صـحيح مسـلم بشـرح النـووي: نشر وتوزيع إدارة البحـــــوث العلمية والإفتـــــاء بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.

74- الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبـدة - طـارق عبد الحليم، ط1، 1406هـ، دار الأرقم، الكويت.

75- الصـــوفية والفقـــراء: ابن تيميـــة، ط دار الفتح، القاهرة.

76- الصــحوة الإســلامية بين الجحــود والتطــرف: د. يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، قطر، 1402هـ.

77- الصلة بين التصوف والتشيع: د. كامل مصطفى الشيبي، ط بيروت، 1982م.

((ض))

78- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة: د. عبد الله القرني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ.

((ط))

79- طبقات ابن سعد: طبعة الشعب بمصر.

80- الطبقات الكبرى: الشعراني، طبعة الحلبي، 1954م.

81- طريق الدعوة في ظلال القرآن: أحمد فايز، بيروت، الطبعة السادسة.

((ظ))

82- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: د. سفر الحوالي، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، 1405هـ.

83- ظاهرة التكفير (تاريخها، خطرها، أسبابها، علاجها): الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة، 1412هـ.

((ع))

84- عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن الجبرتي، دار الفارس، بيروت.

85- العَلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1414هـ.

86- عــوارف المعــارف: الســهروردي، دار الكتــاب العربي، بيروت، 1403هـ.

((غ))

87- الغلو في الـدين في حيـاة المسـلمين المعاصـرة: عبد الـرحمن بن معلا اللويحـق، مؤسسة الرسـالة، 1412هـ.

88- غيث المـواهب العلية في شـرح الحكم العطائيـة: النفــزي الرنــدي، دار الكتب الحديثــة، القــاهرة، 1970م.

((ف))

89- الفتــاوى: شــيخ الإســلام ابن تيميــة، جمع عبد الــرحمن بن محمد بن قاســم، مكتبة المعــارف، الرباط، المغرب.

90- فتــاوى اللجنة الدائمة للبحــوث العلمية والإفتــاء: جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الــدويش، دار أولي النهي.

91- فتح الباري شرح صحيح البخـاري: الإمـام الحافظ ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، القاهرة.

92- الفتــوى الحموية الكــبرى: ابن تيميــة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

93- الفصل في الملل والأهــواء والنحــل: ابن حــزم، طبعة مصر.

94- الفتوحــات الإلهيــة: ابن عجيبة الحســني، عــالم الفكر، القاهرة.

95- الفتوحــات المكيــة: ابن عــربي، الهيئة المصــرية العامة للكتاب، 1405هـ.

96- فضائح الباطنية: الإمـام محمد الغـزالي، مؤسسة دار الكتاب الثقافية، الكويت.

97- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا: أنور الجندي، الـدار القومية للطباعة والنشـر، القـاهرة، 1995م.

98- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسـلامي: تحقيق د. عبد العزيز القـــــارئ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط1، 1396هـ.

99- فصــوص الحكم: ابن عــربي، طبعة دار الكتــاب العربي، بيروت.

100- الفوائـــــد: ابن القيم، المطبعة القيمـــــة، ط1، 1400هـ.

((ق))

101- قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكـابر: محمد أبي الهدى الرفاعي، بيروت، 1400هـ.

102- قواعد التصـوف: أحمد بن رزق، مكتبة الكليـات الأزهرية، القاهرة.

103- قــوت القلــوب: لأبي طــالب المكي، طبعة دار صادر، بيروت.

((ك))

104- كشف الشــبهات: تعليق محمد حامد الفقي، دار الثقافة للطباعة بمكة، 1413هـ.

105- الكواشف الجلية عن معـــاني الواســـطية: عبد العزيز المحمد الســـلمان، مؤسسة مكة للطباعة دار الإعلام.

((ل))

106- لطـائف المنن: ابن عطـاء الاسـكندري، تحقيق شـيخ الجـامع الأزهر عبـدالحليم محمـود، مطبعة حسان، القاهرة.

107- اللمع: الطوسي أبو نصر السـراج، ط دار الكتب الحديثة بمصر.

108- لوامع الأنـوار البهية وسـواطع الأسـرار الأثريـة: الســـفاريني، مكتبة أســـامة، الريـــاض، ط2، 1405هـ.

((م))

109- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسـلامية المعاصـرة منهـا: د. ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن، ط1.

110- مدارج السالكين: ابن القيم الجوزيـــة، دار الراية للنشر، ط1، 1411هـ.

111- المدرسة الشـــاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي: د. عبدالحليم محمود، مطبعة دار الكتب الحديثة، مصر.

112- المجـــالس الرفاعيـــة: أحمد الرفـــاعي، مطبعة الإرشاد، بغداد.

113- مـذابح وجـرائم محـاكم التفـتيش في الأنـدلس: محمد علي قطب، بيروت، 1407هـ.

114- مفـــاهيم ينبغي أن تصـــحح: محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1408هـ.

115- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: الإمام أبو الحسن الأشـــــعري، دار النشر (فراتر شـــــتايز بفيســــــيادن)، ط3، 1400هـ، مكتبة النهضة المصرية.

116- مقدمة ابن خلـدون، طبعة مصـر، دار المصـحف بالقاهرة.

117- مقدمة كتاب كبرى اليقينيات: د. سـعيد رمضـان البوطي.

118- منهـاج السـنة النبويـة: ابن تيميـة، طبعة لاهـور، باكستان.

119- مواقع النجــوم: ابن عــربي، مطبعة الســعادة، مصر، ط1.

120- موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصـوفية: د. أحمد البناني، جامعة أم القرى، ط2، 1413هـ.

121- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مصر.

((ن))

122- النجـوم الزاهـرة: ابن تغـري بـردي، مطبعة دار الكتب المصرية، 1935م.

123- النفحة العلية في أوراد الشــاذلية: عبد القـــادر زكي، مكتبة المثنى، القاهرة.

124- النقشبندية: عبد الرحمن دمشقية، دار طيبة، الرياض، 1404هـ.

125- نهر الذهب في تاريخ حلب: كامل حسين الجلي، المطبعة المارونية، 1342هـ.

((هـ))

126- هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية.

((و))

127- واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب، ط1، 1407هـ، مؤسسة المدينة، جدة.

128- وفيات الأعيان: ابن خلكان، طبعة بيروت.

الصحف والمجلات

1- مجلة البيان: المنتدى الإسلامي، لندن.

2- مجلة السياسة الأسبوعية.

3- مجلة الرابطة: مكة المكرمة.

4- مجلة المرأة.

5- صحيفة الأهرام.

6- جريدة الحياة.

وبعض الصـحف والمجلات الأجنبية المشـار إليها في ثنايا البحث.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع الصفحة

الباب الثاني
الغلو في الدين ((التطرف))

تمهيد:

الفصل الأول: الغلو والتطرف في حياة المسلمين المعاصرة.

المبحث الأول: مفهوم الغلو - أنواع الغلو.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية لظاهرة الغلو.

- ظاهرة التكفير عند الخوارج.
- موقف أهل السنة من غلو الخوارج.
- هل لجماعـــات الغلو المعاصر صـــلة بفكر الخوارج؟

المبحث الثالث:

ظاهرة الغلو المعاصر، وأبرز الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة.

1- التحـــــاكم للأنظمة والقـــــوانين الوضعية.

2- الاضطهاد السياسي.

3- الجهل بالعلوم الشرعية.

4- الفساد العقدي في حياة الأمة.

5- الفساد الخلقي.

6- غياب دور العلماء الثقات.

المبحث الرابع:

مظاهر الغلو عند بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة

1- التكفير بالمعصية.

2- تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية.
3- تكفـير الحـاكم بغـير ما أنـزل الله بإطلاق.
4- تكفـير الأتبـاع المحكـومين بغـير ما أنزل الله.
5- تكفـــــير الخـــــارج على الجماعة المسلمة.
6- المقصود بالجماعة.
7- مقاطعة الجمعة والجماعة في المساجد.
8- تحريم التعليم والدعوة إلى الأمية.
المبحث الخامس: كيف تعالج هذه الظاهرة.
1- الاعتصـام بالكتـاب والسـنة ونشر عقيدة السلف.
2- نشر العلم الشرعي.
3- إحياء دور العلماء.
4- تحكيم شـــرع الله ونبذ القـــوانين الوضعية.
5- محاورة أهل الغلو.
6- البعد عن الازدواجية والتناقض.
الفصل الثاني: الغلو والتطرف عند غير المسلمين.
المبحث الأول: دور الأعداء في تضخيم هذه الظاهرة عند المسلمين
1- دور الدوائر الغربية.

العبادة.
المرحلة الثانيـة: وقد أدخل المتصـوفة مصـطلحات غامضة وأعلنـوا سـقوط التكاليف الشرعية عن أوليائهم.
المرحلة الثالثـة: تسـربت الفلسـفة اليونانية إليها مع القول بوحدة الوجود.
الفصل الثاني: الانحرافات العقدية عند أهل التصوف.
المبحث الأول: الشريعة والحقيقة ((الظاهر والباطن)).
- الظاهر والباطن.
- سقوط التكاليف.
- التأويل الباطني في التفسير.
المبحث الثاني: الأولياء والكرامات.
- الولاية الحقة.
- الكرامات عند الأولياء والتابعين.
- الفـرق بين كرامـات الأوليـاء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية.
- الكرامات عند المتصوفة.
المبحث الثالث: الصلة بين التصوف والتشيع.
المطلب الأول: التشابه بين التصوف والتشيع في الأفكار والمعتقدات.
أ- في مراتب الصوفية ودرجاتهم.
ب- الغلو في علي وفي بنيه.
جـ- التشـابه في ادّعـاء علم الغيب والعـروج إلى السـماء، وتـنزل الملائكة

صدر للمؤلف الكتب التالية:

***   سلسلة الجاهلية في الشعر الجاهلي:**

1- الحياة السياسية عند العرب.

2- أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام.

3- المرأة بين الجاهلية والإسلام؛ بالاشـتراك مع (حرمـه) السيدة: خولة درويش.

*** الكتب التربوية، (بالاشتراك أيضاً):**

1- تربية الأطفال في رحاب الإسلام.

2- تربية المراهق في رحاب الإسلام.

3- تربية الموهوب في رحاب الإسلام.

*** كتب أخرى:**

1- بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة.

2- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب.

3- الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري: عهد نور الدين وصلاح الدين.

4- تأملات في رحاب البيت العتيق: دروس من السيرة في العهد المكي.

5- علماء الشـام في القـرن العشـرين: وجهـودهم في إيقاظ الأمة والتصدّي للتيارات الوافدة.

*** تحت الطبع:**

1- المدرسة العصـــــرانية في نزعتها الماديـــــة: تعطيل للنصوص وفتنة في التغريب.

2- الشيخوخة: دراسة شرعية – اجتماعية – نفسية.